زهر الآداب

وثمر الألباب

لأبي إسحق الحصري القيرواني

مفصل ومضبوط ومشروح

بقلم

الدكتور زكي مبارك

الجزء الرابع

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية بمصر
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

صناعة الكلام

قال الجاحظ : صناعة الكلام عِلق نفيس، وجوهر ثمين ، هو الكنز الذى لا يفنى ولا يبلى ، والصاحب الذى لا يمل ولا يقلى ، وهو العيار على كل صناعة والزمام لكل عبادة ، والقسطاس الذى به يستبين نقص كل شىء ورجحانه ، والراووق الذى يعرف به صفاء كل شىء وكدره ، كل علم عليه عيال ، وهو لكل شىء آلة ومثال — وقال ابن الرومى

ما عذر معتزلىّ مُوسرٍ منعت * كفاه معتزلياً مثله صفدا

أيزعم القدر المحتوم يبسطهُ * ان قال ذاك فقد حل الذى عقدا

وقال

لذوى الجدال اذا غدوا لجدالهم * حجج تضل عن الهدى وتجورُ

وهن كآنية الزجاج تصادمت * فهوت وكلٌّ كاسر مكسور

فالقاتل المقتول ثم لضعفهِ * ولوهمه والآسر المأسور

وقال الناشئ يفتخر بالكلام

ونحن أناسٌ يعرف الناس فضلنا * بألسننا زينت صدور المحافلِ

تنير وجوه الحق عند جوابنا * اذا أظلمت يوماً وجوه المسائل

صمتنا فلم نترك مقالاً لصامت * وقلنا فلم نترك مقالا لقائل

وقال يصف أصحابه

فلو شهدت مقامى ثم أنديتى * يوم الخصام وماء الموت يطّردُ

فى فتية لم يلاق الناس مذ وجدوا * لهم شبيهاً ولا يلقون إن فقدوا

مجاورُ والفضل أفلاك العلى سبل التـ * ـقوى محل الهدى عُمد النهى الوطد

كأنهم فى صدور الناس أفئدةٌ * تحس ما أخطؤا فيها وما عمدوا
يبدون للناس ماتخفى ضمائرهم * كأنهم وجدوا منها الذى وجدوا
دلوا على باطن الدنيا بظاهرها * وعلم ماغاب عنهم بالذى شهدوا
مطالع الحق مامن شبهة غسقت * الا ومنهم لديها كوكب يقِدُ

وقال سعيد بن حميد

قالت اكتم هواىَ واكن عن اسمى * بالعزيز المهيمن الجبار
قلت لا أستطيع ذلك قالت * صرت بعدى تقول بالاجبار
وتخليت عن مقالة بشر ابـــــن غياث لمذهب النجار

وقال اسماعيل بن عباد الصاحب

كنت دهراً أقول بالإستطاعه * وأرى الجبر ضلةً وشناعه
ففقدت استطاعتى فى هوى ظـــــبى فسمعاً للمجبرين وطاعه

وقال أيضا

ولما تناءت بالحبيب ديارهُ * وصُودرت ممن غار فيه على وهمِ
تمكن منى الشوق غير مخالسٍ * كمعتزلىّ قد تمكن من خصم

لامية ابن الطثرية

وأنشد محمد بن سلام بعض هذه الأبيات التى أنشدها وزعم أنها لأبي كبير الهذلى ورويت ليزيد بن الطثرية وغيره والرواة يدخلون بعض الشعر فى بعض وهو

عقيلية أما ملاث إزارها * فدعص وأما خصرها فنحيل
تقيظ أكناف الحمى ويظلها * بنعمان من وادى الاراك مقيل
فيا خلة النفس التى ليس دونها * لنا من أخلاء الصفاء خليل
ويا من كتمنا حبه لم يطع به * عدو ولم يؤمن عليه دخيل
أما من مقام أشتكى غربة النوى * وخوف العدا فيه اليك سبيل

أليس قليلاً نظرةٌ ان نظرتها * اليكِ؟ وكلا ليس منك قليل
وان عناء النفس مادمت هكذا * عتود الهوى محجوبة لطويل
أراجعةٌ قلبي عليّ فرائح * مع الركب لم يكتتب عليك قتيل
فلا تحملي وزري وأنت ضعيفة * فحمل دمي يوم الحساب ثقيل
فياجنة الدنيا ويامنتهى المنى * ويانور عيني هل اليك وصول
فديتكِ أعدائي كثير وشقتي * بعيد وأشياعي لديك قليل
وكنت اذا ماجئت جئت بعلةٍ * فأفنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بأرضك حاجةٌ * ولا كل يوم لي اليك رسول

رفق المحب

وأنشد ابن سلام لكثير

واني لمستسقٍ لها الله كلما * لوى الدَّين معتلٌّ وشحّ غريم
سحائب لا من صيّب ذي صواعق * ولا محرقات مالهن حميم
ولا مخلفات حين هجن بنسمةٍ * اليهن هوجاء المهب عقيم
اذا ماهبطن القاع قد مات نبتهُ * بكين به حتى يعيش هشيم

عمران بن حطان والحجاج

ولما ظفر الحجاج بعمران بن حطان الشاري قال: اضربوا عنق ابن الفاجرة ، فقال عمران لبئسما أدبك أهلك ياحجاج ! كيف أمنت أن أجيبك بمثل مالقيتني به ، أبعد الموت منزلة أصانعك عليها ؟ فأطرق الحجاج استحياء وقال : خلوا عنه فخرج الى أصحابه فقالوا : والله ما أطلقك الا الله ، فارجع الى حربه معنا . فقال : هيهات ! غلّ يداً مُطلقها ، وأسر رقبةً معتقها ! وأنشد

أأقاتل الحجاج عن سلطانهِ * بيدٍ تقرّ بانها مولاتهُ

إنى اذاً لأخو الدناءة والذى * عفّت على عرفانه جهلاتهُ
ماذا أقول اذا وقفت موازياً * فى الصف واحتجت له فعلاته
وتحدث الأكفاء ان صنائعا * غرست لدىّ فحنظلت نخلاته
أأقول جار علىّ؟ انى فيكمُ * لأحق من جارت عليه ولاته
تالله ما كدت الأمير بآلة * وجوارحى وسلاحها آلاته

أخذ أبو تمام هذا فقال معتذراً الى أبى المغيث موسى بن ابراهيم الرافعى

أألبس هجر القول من لو هجوتهُ * اذاً لهجانى عنه معروفه عندى
كريم متى امدحه امدحه والورى * معى واذا ما لمته لمته وحدى

وعمران بن حطان هو القائل

لم يعجز الموت شىء دون خالقهِ * والموت فانٍ اذا ما غاله الاجلُ
وكل كرب أمام الموت منقطع * بالموت والموت فيما بعده جلل[1]

وكان الفرزدق عمل بيتا وحلف بالطلاق أن جريراً لا ينقضه فقال

فانىَ للموت الذى هو نازلٌ * بنفسك فانظر كيف أنت محاوله

فاتصل ذلك بجرير فقال أنا أبو حرزة طلقت امرأة الخبيث وقال

أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالدٌ * فجئنى بمثل الدهر شيئاً يطاوله

وانما أشار جرير الى قول عمران . وهو عمران بن حطان بن ظبيان بن سهل ابن معاوية بن الحرث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ويكنى أبا شهاب وكان من الشُّراة وكان من أخطب الناس وأفصحهم وكان اذا خطب ثارت الخوارج الى سلاحها ، وكان من أقبح الناس وجها ، قالت له امرأته وكانت فى الجمال مثله فى القبح: انى لأرجو أن أكون وإياك فى الجنة، لان الله رزقك مثلى فشكرت ورزقت مثلك فصبرت !

(١) جلل : يسير ، وهو من أسماء الأضداد

شهامة الاعراب

دخل اعرابي على بعض الولاة فقال : أصلح الله الامير اجعلني زماما من أزِمَّتك ، فاني مِسعر حرب ، وركاب لجب ، شديد على الاعداء ، لين على الاصدقاء منطوى الحصيلة ، قليل الثميلة ، غرار النوم ، قد غذتني الحروب أفاويقها ، وحلبت الدهر أشطره ، فلا يمنعك مني الدمامة ، فان تحتها لشهامة

الدنيا وأهلها

قال المسيح عليه السلام: الدنيا لابليس مزرعة ، وأهلها له حُراث ، وقال ابليس لعنه الله: العجب لبني آدم يحبون الله ويعصونه، ويبغضوني ويطيعوني

الكلمات الطيبات

خرج الزهري يوما من عند هشام بن عبد الملك فقال : مارأيت كاليوم ، ولا سمعت كاربع كلمات تكلم بهن رجل عند هشام دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين احفظ عني أربع كلمات ، فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك ، قال ماهن ؟ قال لا تعد عِدة لا تثق من نفسك بانجازها ، ولا يغرنك المرتقى وان كان سهلاً اذا كان المنحدَر وعرا ، واعلم أن للاعمال جزاء فاتق العواقب ،وأن للامور بغتات فكن على حذر. قال عيسى بن دأب فحدثت بهذا الحديث المهدى وفي يده لقمة قد رفعها الى فيه فأمسكها ، وقال ويحك أعد عليّ! فقلت ياأمير المؤمنين أسغ لقمتك، فقال: حديثك أحب اليّ

عقد البيعة ليزيد

لما عقد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون فقال لعمرو بن سعيد قم يا أبا أمية، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فان يزيد بن معاوية أجل تأمنونه ، وأمل تأملونه ، ان استطلتم الى حكمه وسعكم ، وان احتجتم الى رأيه أرشدكم ، وان افتقرتم الى ذات يده أغناكم ، جذع قارع ، سُوبِق فسبق ، ومُوجد فمجد وقُورع فقرع ، وهو خلف أمير المؤمنين ، ولا خلف عنه ، فقال له معاوية اجلس فقد أبلغت

عمرو بن سعيد

وعمرو بن سعيد هذا هو الأشدق لمشادقته فى الكلام ، وقيل بل كان أفقم مائل الشدق ، وهذا قول عوانة بن الحكم الكلبي، وهو خلاف قول الشاعر :

تشادق حتى مات فى القول شدقهُ * وكل خطيب لا أبالك أشدقُ

وكان سعيد بن العاص أحد خطباء بنى أمية وبلغائهم، ولما مات سعيد دخل عمرو على معاوية فاستنطقه فقالْ : ان أول كل مركب صعب ، وان مع اليوم غدا ، فقال معاوية وفى هذه العلة الى من أوصى بك أبوك ؟ قال أوصى الىّ ولم يوص بى ، فقال معاوية ان ابن سعيد هذا لأشدق

تواضع الرشيد

قال ابن السماك للرشيد: يا أمير المؤمنين تواضعك فى شرفك أفضل من شرفك ان رجلا آتاه الله مالا وجمالا وحسبا ، فواسى فى ماله ، وعف فى جماله ، وتواضع فى شرفه ، كتب فى ديوان الله عز وجل

المتنبي في مصر

نالت أبا الطيب المتنبي علة بمصر فكان بعض اخوانه المصريين يكثر الإلمام به ، فلما أبل قطعه ،فكتب اليه : وصلتني أعزك الله معتلا ، وقطعتني مُبلا ، فان رأيت ان لا تكدر الصحة علي ،وتحبب العلة الي ، فعلت (وفي هذه العلة يقول)

أقمت بأرض مصرَ فلا ورائي * تخب بيَ الركاب ولا أمامي
عليل الجسم ممتنع القيام * شديد السكر من غير المدام
وزائرتي كأن بها حياء * فليس تزور الا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا * فعافتها وباتت في عظامي
يضيق الجلد عن نفسي وعنها * فتوسعه بأنواع السقام
إذا ما فارقتني غسلتني * كأنا عاكفان على حرام
كأن الصبح يطردها فتجري * مدامعها بأربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق * مراقبة المشوق المستهام
وتصدق وعدها والصدق شر * اذا ألقاك في الكُرب العظام

العيادة والمرض

ألفاظ لأهل العصر في العيادة وما جانسها من ذكر المرض والتشكي وبلوته وسوء أثره والانزعاج بعوارضه — عرض لي مرض أساء بالنجاة ظني ، وكاد يصرف وجه الإفاقة عني — هو شورى بين أمراض أربعة ، صداع لا يخف ،وحمى لا تغب وزكام لا يجف ، وسعال لا يكف — علة هو في اسرها معتقل ، وبقيدها مكبل امراض تلونت علي ، وأساءت بي والي ،فأنا أشكر الله تعالى إذ جعلها عظة وتذكيرا ولم يبق منها الآن الا يسيرا ، أحسب أن الامراض قد أقسمت على أن تجعل اعضائي مرابعها — علل لا يصدر منها آن لتكرير ورد ، ولا يعزل منها لتكدير

وال الا بولى عهد — قد كبرت تلك العلة فمادت عللا — علل برته برى الأخلة ، ونقضته نقص الأهلة ، وتركته عرضا ، وأوسعته مرضا ، وغادرته الخيال أكثف منه جثة ، والطيف أوفر منه قوة — عرض له من المرض ماصار معه القنوط يغاديه ويراوحه ، واليأس يخاطبه ويصافحه — قد ورد من سوء الظن أوخم المناهل ، وبات من وحشىّ الرجاء على مراحل — ظل نجمه يترجح بين الاضاءة والأفول ، وشمسه تتمثل بين الاشراق والغروب — أصبح فلان لا يقلّ رأسه ، ولا يجر ظله وثيابه ، ويد المنية تقرع بابه ، ماهو للعلة الا عرض ، ولسهام المنية إلا غرض — شاهدت نفسى وهى تخرج ، ولقيت روحى وهى تعرج ، وعرفت كيف تكون السكرة ، وكيف تقع الغمرة ، وكيف طعم البعد والفراق ، وكيف يلتف الساق بالساق — مرض لحقنى دوخته ، وملكتنى روعته ، وجدت للسكرة فى نفسى ألما أوحشه آنسه ، وآنسه أوحشه — بلغنى من شكايته ما أوحش جناب الانس ، وأرانى الظلمة فى مطلع الشمس — قد بلغنى ماعرض لك من المرض ، وألم بك من الألم فتحامل على سوداء صدرى ، وأقذى سواد طرفى ، وقد استنفد القلق لعلتك ، ما أعده الصبر من ذخيرة ، وأضعف ماقواه العزم من بصيرة ، قلبى يتقلب على حد السيف الى أن أعرف انكشاف العارض وسرباله ، وأتحقق انحساره وانتقاله ، انتهى الى من الخبر العارض ، حسم الله مادته ، وقصر مدته ، ما أرانى الأفق مظلما وطريق العيش مبهما

تهوين العلة

فِقر فى تهوين العلة بحسن الرجاء وحسن المشاركة والاهتمام بحلولها والاستبشار بزوالها — ان الذى بلغنى من ضعفه قد أضعف المقة ، وان لم يضعف الظن بالله والثقة ، قد استشف العافية من ثوب رقيق — ما أكثر ما رأينا هذه العلل حلت ثم تجلت ، وتوالت ثم تولت — خبرنى فلان بعلتك فأشركنى فيها ألما وقلقا ، فلا أعلّ الله لك جسما ولا حالا ، فليس نكاية الشغل فى قلبى بأقل من نكاية الشكاية فى جسمك ،

ولا استيلاء القلق على نفسى بأشد من اعتراض السقم لبدنك ، ومن ذا الذى يصح جسمه اذا تألمت احدى يديه ، ومن يحل محلها فى القرب اليه؟ أنا منزعج لشكاتك ، مبتهج بمعافاتك ، ان كانت علتك قد قرحت وجرحت ،فان صحتك قد آست وآنست [1] بلغتنى شكايتك فارتعت ، ثم عرفت خفتها فارتحت — الحمد لله على قرب المدة بين المحنة والمنحة ، والنقمة والنعمة ، وعلى أنه لم يمس لك بأيدى المخافة حتى تداركك بحسن الرأفة ، ولم يستسلم لخطة الحذر ، حتى سلم من ورطة القدر

شكاة أهل الفضل

ولهم فى شكاة أهل الفضل والسؤدد — شكاية مولاى التى تتألم منها المروءة والفضل ، ويسقم منها الكرم المحض ، شكايته التى غصت بها حلوق المجد وحرجت لها صدور أهل الأدب والعلم ، وبدا الشحوب معها على وجه الحرية ، وحرم معها البشر على عروة المروءة — قد اعتل بعلته الكرم ، وشكا بشكايته السيف والقلم — شكاة عرضت معه لشخص الكرم الغض ، والشرف المحض — لو قبلت مهجتى فدية دون وعكه لجدت بها ، وساعة أنس بفقدها لبذلتها ، عالما بأنى أفدى الكرم لا غير ، والفضل ولا ضير

بوادر الشفاء

ولهم فى تنسم الاقبال وذكر الإبلال — قد شيمت بارقة العافية ، وشممت رائحة الصحة — اقبل صنع الله من حيث لم أحتسب ، وجاءنى لطفه من حيث لا أرتقب وتدرجت الى الإبلال وقد حسبته حلما ، ورضيت به دون الاستقلال غنما ، وقد تخلصت الى شط العافية لما تداركنى الله تعالى بلطيفه من لطائفه ، وجعل هبة الروح عارفة من عوارفه ، وتنسمت روح الحياة ، بعد ان أشفيت على الوفاة ، وثنيت وجهى الى الدنيا بعد مواجهتى للدار الأخرى — قد صافح الاقبال والابلال ،

---

(١) آست : داوت

وقارب النهوض والاستقلال — سيريك الله من العافية الذى أذاقك ، ويسيغك شربها ، ولا يعيد عليك مكروهها — قد استقل استقلال السيف حُودث عهده وأعيد فرنده ، والقمر انكشف سِرارُه ، وذاعت أسراره — حين استقلت يدى بالقلم ، بشرتك بانحياز الألم — قد أتاك الله بالسلامة الفائضة ، وعافاك من الشكاية العارضة — أبل فانشرحت الصدور ، وشمل السرور * الحمد لله الذى حرس جسمك وعافاه ، ومحا عنه أكثر السقم وعفاه * الحمد لله الذى جعل العافية عقبى ما شكيت ، والسلامة عوضا عما قاسيت — الحمد لله الذى أعفاك من معاناة الالم ، وعافاك للفضل والكرم ، ونظمنى معك فى سلك النعمة ، وضمنى اليك فى منبلج الصحة * الحمد لله الذى جعل السلامة ثوبك الذى لا تنضوه ، وسبيلك فيما تأمُله وترجوه — الله يجعل السلامة أطول برديك ، وأشدهما سبوغا عليك ، ويدفع فى صدور المكاره دون دفعك نحور المعاذير قبل الانتهاء الى ظلك ، لازالت العافية شعارك ، ماواصل ليلك نهارك

أدعية العيادة

فِقر فى أدعية العيادة والاستشفاء بكتبها * أغناك الله عن الطب والاطباء ، بالسلامة والشفاء ، وجعله عليك تمحيصاً لاتنغيصاً ، وتذكيراً لاتنكيراً ، وأدبا لا غضباً — الله يدرّ لك صوب العافية ، ويضفى عليك ثوب الكفاية الوافية — أوصل الله تعالى اليك من برد الشفاء ، ما يكفيك حر الادواء * كتابك قد أدى روح السلامة فى أعضائى ، وأوصل برد العافية الى أحشائى — تركنى كتابك والنعم تثب الى صحتى ، والخطوب تتجافى عن مهجتى ، بعد امراض اكتنفت وأعراض اختلفت — قد استبق كتابك والعافية الى جسمى كأنهما فرسا رهان يتباريان ، ورسيلا مضمار يتجاريان — أبدلنى كتابك من حُزون الشكاية سهول المعافاة ، ومن شدة التألم ، رجاء التنعم

كلام الاطباء والفلاسفة

قطعة من كلام الاطباء والفلاسفة — العاقل يترك ما يحب ليستغنى عن العلاج بما يكره — جالينوس: المرض هرم عارض، والهرم مرض طبيعي — وله : مجالسة الثقيل حمى الروح ـ بختيشوع : أكل القليل مما يضر أصلح من أكل الكثير مما ينفع ـ حنة ابن ماسويه : عليك من الطعام بما حدث ، ومن الشراب بما قدم[1] وقال له المأمون : ما أحسن ما يُتنقل به على النبيذ ؟ قال قول أبي نواس ، يريد قوله

الحمد لله ليس لى مثلُ * خمرى شرابى ونقلىَ القُبَلُ

ثابت بن قرة: ليس شيء أضر بالشيخ من أن تكون له جارية حسناء ، وطباخ حاذق ، لانه يكثر من الطعام فيسقم ، ومن الجماع فيهرم (غيره) ليس لثلاث حيلة : فقرٌ يخالطه كسل ، وخصومة يخامرها حسد ، ومرض يمازجه هرم * ثلاث يجب مداراتهم : المسلط ، والمريض ، والمرأة * ثلاثة يعذرون على سوء الخلق : المريض، والمسافر، والصائم

حكم باقية

مجموعة فى ذكر المرض والصحة والموت لغير واحد — شيئان لا يُعرفان إلا بعد ذهابهما : الصحة والشباب ـ مرارة السقم توجد حلاوة الصحة ـ هذا كقول أبي تمام

إساءة دهر أذكرت حسن فعله * الىّ ولولا الشرْى لم يعرف الشهدْ

وقوله

والحادثات وان أصابك بؤسها * فهو الذى أدراك كيف نعيمها

ما سلامة بدن معرض للآفات، وبقاء عمر معرض للساعات؟ قال أبو العتاهية

إن الفتى يصبح للسقام * كالغرض المنصوب للسهام

أخطأ رام وأصاب رام

(١) الشراب هنا هو الخمر ، لأن القدم لا يجود بها ...

وقيل لبعض الاطباء وقد نهكته العلة : ألا تتعالج ؟ فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء ، واذا قدر الرب بطل حذر المربوب ، ونعم الدواء الأمل ، وبئس الداء الاجل (بزرجمهر) ان كان شيء فوق الحياة فالصحة ، وان كان شيء فوق الموت فالمرض ، وان كان شيء مثل الحياة فالغنى ، وان كان شيء مثل الموت فالفقر (غيره) خير من الحياة مالا تطيب الحياة الا به ، وشر من الموت مايتمنى الموت له . قال المتنبي في مرثية أم سيف الدولة

أطاب النفس أنكِ مت موتاً * تمنته البواقي والخوالي

وزُلتِ ولم ترىْ يوماً كريهاً * تُسرُّ النفس فيه بالزوال

رِواق العز فوقك مسبطرٌ * وملك عليّ ابنك في كمال

الموت باب الآخرة (الحسن بن أبي الحسين) ما رأيت يقيناً لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت — ابن المعتز :الموت سهم مرسل اليك ، وعمرك بقدر سيره اليك، أخذه بعض أهل العصر فقال

لا تأمن الموت الخؤو * ن وخف بوادر آفته

فالموت سهم مرسلٌ * والعمر قدر مسافته

البستي

لايغرنك أنني لين المس * فعزمي اذا انتضيت حسامُ

أنا كالورد فيه راحة قوم * ثم فيه لآخرين زُكام

وقال آخر

ان الجهول تضرني أخلاقهُ * ضرر السعال لمن به استسقاء

لآخر وهو البستي

فلا تكن عجلا في الأمر تطلبهُ * فليس يحمد قبل النضج بحرانُ

وقال آخر

لاتلتمس إلا رئيساً فاضلاً * إن الكبار أطبّ للاوجاع

وقال آخر

وانى لاختصي بعض الرجال * وان كان قَدْماً ثقيلا عياما
فان الجبن على أنهُ * ثقيل وخيمٌ يشهّى الطعاما

وقال المتنبى

لعل عتبك محمودٌ عواقبهُ * وربما صحت الاجسام بالعلل

وقال أيضاً

أعيذها نظرات منك صادقةً * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورمُ

بلال بن أبى بردة

قال أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبى : كان بلال ابن أبى بردة جَلداً حين ابتُلى ، أحضره يوسف بن عمر فى قيوده لبعض الامر وهم بالحيرة فقام خالد بن صفوان فقال ليوسف : أيها الأمير ! ان عدو الله بلالا ضربنى وحبسنى ولم أفارق جماعة ، ولا خلعت يدا من طاعة ، ثم التفت الى بلال فقال : الحمد لله الذى أزال سلطانك ، وهدّ أركانك ، وأزال جمالك ، وغير حالك ، فوالله لقد كنت شديد الحجاب ، مستخفاً بالشريف ، مظهراً للعصبية ! فقال بلال ياخالد انما استطلت علىّ بثلاث هن معك علىّ : الأمير مقبل عليك ، وهو عنى معرض وأنت مطلق وأنا مأسور ، وأنت فى طينتك ، وأنا غريب ! فأفحمه . وكان سبب ضرب بلال خالداً فى ولايته أن بلالا مر بخالد فى موكب عظيم فقال خالد :

سحابة صيف عن قليل تقشعُ

فسمعه بلال فقال : والله لا تقشع أو يصيبك منها شؤبوب برد [1] وأمر بضربه وحبسه

---

(١) الشؤبوب ، بضم الشين ، الدفعة من المطر

رثاء قدح

وقال أبو الفتح كشاجم يرثي قدحا له انكسر :

عراني الزمان بأحداثه * فبعضٌ أطفت وبعض فدح
وعندى فجائعُ للحادثات * وليس كفجعتنا بالقدح
وعاء المدام وتاج الكرام * ومدني السرور ومقصى الترح
ومعرض راح متى تكسه * ومستودع السر منها يبح
وجسم هوىّ وان لم يكن * يرى للهوىّ بكف شبح
يرد على الشخص تمثالهُ * وان تتخذه مراةً صلح
ويعبق في نكهات المدام * فتحسب منـه عبيراً نفح
ورق فلو حل في كفه * ولا شيءٌ في أختها مارجح
يكاد مع المـاء ان مسهُ * لمـا فيه من شكله ينفسح
هوى في أنامل مجدولةٍ * فياعجبا من لطيف ردح
فأفقدنيه على طـيةٍ * به للزمان غريم ملح
كأن له ناظرا ينتقى * فمـا يتعمد غير الملح
أقلب ما انتقت الحادثا ت منه وفي العين دمع يسح
وقد قدح الوجد من حر * على القلب من ناره ما قدح
وأعجب من زمن مانح * وآخر يسلب تلك المنح
فلا تبعدن فكم في اختنا * كليم عليك وقلب قرح
سيقفر بعدك رسم الابريق * وتوحش منك مغاني الصبح

وصف قدح

ومن أحسن ماقيل فى وصف قدح ، قول ابن الرومى يصف قدحا أهداه الى على بن يحيى المنجم

وبديع من البدائع يسبى * كل عقل ويطّبى كل طرف[1]
رق فى الحسن والملاحة حتى * ما يوفيه واصف حق وصف
كفم الحِب فى الملاحة بل اشـ * ـهى وان كان لا يناجى بحرف[2]
تنفذ العين فيه حتى تراها * أخطأته من رقة المستشف
كهواء بلا هباء مشوب * بضياء أرقْ بذاك وأصفِ
صِيغ من جوهر مصفًّى طباعا * لا علاجاً بكيمياء مصف
وسط القـدر لم يكبَّر لجرع * متوال ولم يصغَّر لرشف
لا صؤول على العقول جهولٌ * بل حليم عنهن فى غير ضعف
فيه نون معقرب عطفته * حكماء القيون أحكم عطف
مثل عطف الاصداغ فى وجنات * من حبيب يزهى بحسن وظرف
ما رأى الناظرون قداً وشكلاً * مثله فارساً على بطن كف

وقال ابو القاسم التنوخى

وراحٍ من الشمس مخلوقةٍ * بدت لك فى قدح من نهار
هواء ولـكنه جامد * وماء ولـكنه غير جار
اذا ما تأملتها وهى فيه * تأملت نوراً محيطاً بنار
فهذا النهاية فى الابيضاض * وهذا النهاية فى الاحمرار
وما كان فى الحق أن يُقرنا * لفرط التنافى وبعد النفار
ولـكن تجاوز شكلاهما الـ * ـبسيطة فاتفقا فى الجوار

---

(١) يطبى : يفتن (٢) الحب بالكسر ، الحبيب

كأن المدير لها باليمين * اذا قام للسقى أو باليسار
تدرّع ثوبا من الياسمين * له فرد كم من الجلنار

رثاء منديل

وقال أبو الفتح كشاجم يرثى منديل كُم :

من يبك وجداً على هالك * فانما أبكى على مسبجة
جاذبنيها رشأٌ أغيدٌ * فجادت النفس بها مُحرجه
بديعة فى نسجها مثلها * يفقد من يحسن أن ينسجه
كأنما رِقة أشكالها * من رقة العشاق مستخرجه
كأنما مفتول أهدابها * أيدى رُبَى فى نسق مزوجه
كأنما تفريق أعلامها * طاوسة تختال أو دُرَّجَه
لينة جددها حسنها * لا رثة السلك ولا مُنهجه
كم رقعة من عند معشوقةٍ * ترسل فى اثنائها مدرجه
أو رشحة من سقية عذبة * تبرد حر الكبد المنضجه
الى تحيات لِطافٍ بها * تسكن منى مهجة مزعجه
كانت لمسح الكاس حتى ترى * منها لآثار القذى مخرجه
وخاتم يعقد فيها اذا * آثرت من كفى أن أخرجه
وأتقى الجام بها كلما * كاله المازج أو توّجه
فاستأثر الدهر بها إنهُ * ذو همة مجلية مرهجه
فأصبحت فى كمّ مختالةٍ * ملجمة فى هجرنا مسرجه

سقوط الثلج

وقال أيضا يصف سقوط الثلج

الثلج يسقط أم لجين يسبك * أم ذا حصى الكافور ظل يفرّكُ

راحت به الارض الفضاء كأنها * فى كل ناحية بثغر تضحك
شابت مفارقها فبيّن ضحكها * طورا وعهدى بالمشيب ينسّك
أربى على خضر الغصون فأصبحت * كالدر فى قضب الزبرجد يسلك
وتردّت الاشجار منه ملاءةً * عما قليل بالرياح تهتك
كانت كعود الهند طُرّىَ فانكفى * فى لون أبيضَ وهو أسود أحلك
والجو من داجى الهواء كأنهُ * خلعٌ تمنبر تارة وتمسك
نفذى من الاوتار حظلك انما * يتحرك الاطراب حين تحرك
فاليوم يوزن بالملاحم انهُ * سيطلّ فيه دم الدنان ويسفك

الصبوح

وقال أيضاً

باكر فهذى صحبة قره * واليوم يومٌ سماؤه بره
ثلج وشمس وصوب غادية * والارض من كل جانب غُرّه
باتت وقيعانها زبرجدةٌ * فأصبحت قد تحولت دره
كأنها والثلوج تسقطها * تغار ممن أحبه ثغره
كأن فى الجو أيدياً نشرت * دراً علينا فأسرعت نشره
شابت فسرت بذاك وابتهجت * وكان عهدى بالشيب يستكره
قد حليت بالبياض بلدتنا * فاجل علينا الكؤوس فى الخره

وقال الصنوبرى

ذهّب كؤوسك ياغلا * م فان ذا يومٌ مفضض
الجو يُجلى فى البيا * ض وفى حُلى الكافور يُعرض
أرأيت ! ذا ثلج وذا * ورد على الاغصان ينفض
ورد الربيع موردٌ * والورد فى تشرين أبيض

وقال البستي

كم نظمنا عقود فص وأنس * وجعلنا الزمان فيهن سلكا
وفتقنا الدنان في كل يوم * عزل الكأس فيه رشدا ونسكا
فكأن السماء تنحل كافو * رآ علينا ونحن نفتق مسكا

وصف الجمد

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي يصف الجمد

رب جنين من جَنَى النمير * مهتّك الاستار والضمير
سللتهُ من رحم الغدير * كأنها صفائح البلور
أو أُكَرٌ تجسّمت من نور * أو قِطع من خالص الكافور
لو بقيت سلكا على الدهور * تعطلت قلائد النحور
وأخجلت جواهر البحور * ياحسنه في زمن الحدور
إذ قيظه مثل حشى المهجور * يهدى الى الا كباد والصدور
رَوحاً يُجلّى نفثة المصدور * ويجلب السرور للمقرور

وصف أيام الشتاء

ألفاظ لأهل العصر في وصف الثلج والبرد والأيام الشتوية

ألقى الشتاء كلكله ، وأحلّ بنا أثقاله — مد الشتاء رِواقه، وألقى أوراقه ، وحلّ نطاقه — ضرب الشتاء بجِرانه ، واستقل باركانه ، أناخ بنوازله ، وأرسى بكلا كله ، وكلح بوجهه ، وكشر عن أنيابه — قد عادت الجبال شِيبا ، ولبست من الثلج مُلاءً قشيبا — شابت مفارق البروج ، بترا كم الثلوج ، ألم الشيب بها ، وابيضت لممها — قد صار البرد عجابا ، والثلج حجابا ، برد يغير الالوان ، ويقشف الابدان — برد يقضقض الاعضاء ، وينفض الاحشاء — برد يجمد الريق في الاشداق ، والدمع في الآماق — بردٌ حال بين الكلب وهريره ، والأسد وزئيره ، والطير

وصفيره ، والماء وخريره — نحن بين نتق وزلق وذلق — يوم كأن الارض شابت لهوله — يوم فضى الجلباب ، مسكى النقاب ، عبوس قمطرير ، كشرعن ناب الزمهرير ، وفرش الارض بالقوارير — يوم أخذ الشمال زِمامه ، وكسا الصر ثيابه — يوم كأن الدنيا فيه كافورة ، والارض قارورة ، والسماء بلورة — يوم أرضه كالقوارير اللامعة ، وهواؤه كالزنابير اللاسعة — يوم أرضه كالزجاج ، وسماؤه كاطراف الزجاج — يوم يثقل فيه الخفيف اذا هجم ، ويخف الثقيل اذا هجر ، نحن فيه بين أطباق البرد فما نستغيث الا بحر الراح ، وسَورة الاقداح — ليس للبرد كالبرد ، والخمر ، والجمر — اذا كَلِب الشتاء فترياق سمومه الطلا ، ودرق سيوفه الصلا

وصف القيظ

نقيض ذلك من كلامهم فى وصف القيظ وشدة الحر — قوِى سلطان الحر ، وبُسط بساط الجمر — حر الصيف ، كحد السيف — أوقدت الشمس نارها ، وأذكت أوارها — حر يلفح حُر الوجه — حر يشبه قلب الصب ، ويذيب دماغ الضب — هاجرة كانها من قلوب العشاق ، اذا اشتعلت فيها نار الفراق — هاجرة تحكى نار الهجر ، وتذيب قلب الصخر ، كأن البسيطة من وقدة الحر ، بساطٌ من الجمر — حر تهرب له الحرباء من الشمس — قد صهرت الهاجرة الابدان وركبت الجنادب العيدان — حر ينضج الجلود ، ويذيب الجلمود — أيام كأيام الفرقة امتدادا ، وحر كحر الوجد اشتدادا — حر لا يطيب معه عيش ، ولا ينفع معه ثلج ولا خيش — حمارّة القيظ تغلى كدم ذى الغيظ — أب آب بجيش مرجله ، وتنور قسطله — هاجرة كقلب المهجور ، والتنور المسجور — هاجرة كالسعير الهاجم ، يجر أذيال السمائم

العجلة أم الندامة

وقال بعض الحكماء : إياك والعجلة فان العرب كانت تكنيها أم الندامة لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يقدر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ويذم قبل أن يخبُر ، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة ، واعتزل السلامة .

سليمان بن وهب

ولما ولى المهدى محمد بن الواثق بن المعتصم سليمان بن وهب وزارته قام إليه رجل من ذوى حرمته فقال : أعز الله الوزير ! أنا خادمك المؤمل لدولتك ، السعيد بأيامك ، المنطوى القلب على ودك ، المنشور اللسان بمدحك ، المرتهن بشكر نعمتك ، وقد قال الشاعر

وفّيت كل صديق ودّنى ثمناً * الا مؤمل دولاتى وأيامى
فانى ضامنٌ أن لا أكافئهُ * إلا بتسويغه فضلى وانعامى

وانى لكما قال القيسى : مازلت أمتطى النهار اليك ، وأستدل بفضلك عليك ، حتى اذا اجتن الليل ، فغض البصر ، ومحا الأثر ، أقام بدنى ، وسافر أملى ، والاجتهاد عذر ، فاذا بلغتك فقد ! قال سليمان لاعليك ، فانى عارف بوسيلتك ، محتاج إلى كفايتك واصطناعك ، ولست أؤخر عن يومى هذا توليتك مايحسن عليك أثره ، ويطيب لك خبره

وزير المعتز بالله

وكتب محمد بن عباد الى أبى الفضل جعفر بن محمد الاسكاف وزير المعتز بالله وكان المعتز يختص به ، ويتقرب اليه قبل الوزارة : مازلت أيدك الله تعالى أذم

الدهر بندمك اياه ، وأنتظر لنفسى ولك عقباه ، وأتمنى زوال من لاذنب له الى عاقبة محمودة تكون بزوال حاله ، وأترك الإعذار فى الطلب على الاختلال الشديد ضناً بالمعروف عندى إلا عن أهله ، وحبساً لشعرى إلا عن مستحقه — فوقع فى كتابه لم أؤخر ذكرك ناسياً لحقك ، ولا مهملاً لواجبك ، ولا موهناً لمهم أمرك ، لكنى ترقبت اتساع الحال ، وانفساح الاعمال ، لأخصك باسناها خطرا ، وباجلها قدرا وأعودها بنفع عليك ، وأوفرها رزقاً لك ، وأقربها مسافة منك ، فاذا كنت ممن يحفزه الإعجال ، ولا يتسع له الإمهال ، فسأختار لك خير مايشير اليه الوقت ، وأنعم النظر فيه ، فأجعله أول ما أمضيه

شكوى فى تهنئة

ولما ولى سليمان بن وهب الوزارة كتب اليه عبد الله بن عبيد الله بن طاهر

أبى دهرنا إسعافنا فى نفوسنا * وأسعفنا فيمن نحب ونكرمُ
فقلت له نعماك فيهم أتمها * ودع أمرنا ان المهم مقدم

فعجب من لطيف شكواه فى تهنئته ، وقضى حوائجه

حسن التقسيم

ووقع عبيد الله فى أمر رجل خرج عن الطاعة: أنا قادرٌ على إخراج هذه النعرة من رأسه ، والوحرة من صدره ، والنحرة من نفسه — ونحو هذا التقسيم قول قتيبة ابن مسلم بخراسان: من كان فى يده شئٌ من مال عبيد الله بن حازم فلينبذه ، أو فى فمه فليلفظه ، أو فى صدره فليقذفه

بقية بنى أمية

وقال عبيد بن على بعد قتله من قتل من بنى أمية لاسماعيل بن عمر : اسأل عما فعلت بأصحابك . قال كانوا يدا فقطعتها ، وعقدة فنقضتها ، وركناً فهدمته ، وجناحاً فقصصته ، قال انى لخليق بأن ألحقك بهم ، قال إنى إذاً لسعيد

جرير بن عبد الله

وقال المنصور لجرير بن عبد الله: انى لأعدك لأمر كبير ! قال يا أمير المؤمنين قد أعد الله لك منى قلباً معقوداً بنصيحتك ، ويدا مبسوطة بطاعتك ، وسيفاً مسلولاً على أعدائك

القاسم بن الحسن بن سهل

وكتب الحسن بن وهب إلى القاسم بن الحسن بن سهل يعزيه : مد الله فى عمرك موفوراً غير منتقَص ، وممنوحاً غير ممتحَن ، ومعطًى غير مستلَب

ومن جيد التقسيم مع المطابقة قول بعض الكتاب: إن أهل النصح والرأى لا يساويهم أهل الأفن والغش ، ليس من جمع الى الكفاية الأمانة ، كمن أضاف الى العجز الخيانة

هند بنت النعمان

وقالت هند بنت النعمان بن المنذر لرجل دعت له وقد أولاها يداً : شكرتك يد نالتها خصاصة بعد ثروة ، وأغناك الله عن يد نالتها ثروة بعد فاقة

ومن بديع التقسيم فى هذا النوع قول البحترى

كأنك السيف حدّاه ورونقهُ * والغيث وابله الدانى وريّقهُ

هل المكارم الا ماتُجمّعهُ * أو المواهب الا ماتفرّقهُ

الحسن بن سهل والمأمون

وقال الحسن بن سهل يوما للمأمون: الحمد لله يا أمير المؤمنين على جزيل ما آتاك، وسنيّ ما أعطاك ، إذ قسّم لك الخلافة ، ووهب لك معها الحجة ، ومكّنك بالسلطان ، وحلاّه لك بالعدل ، وأيدك بالظفر ، وشفعه لك بالعفو ، وأوجب لك السعادة ، وقرنها بالسيادة ، فمن فُتِح له فى مثل عطية الله لك ، أم من ألبسه الله تعالى من زينة المواهب ما ألبسك ، أم من ترادفت نعمة الله تعالى عليه ترادفها عليك ، أم هل حاولها أحد وارتبطها بمثل محاولتك ، أم أى حاجة بقيت لرعيتك لم يجدرها عندك ، أم أى قيّم للاسلام انتهى الى عنايتك ودرجتك ، تعالى الله تعالى ما أعظم ما خصّ القرنَ الذى انت ناصره ، وسبحان الله! أى نعمة طبقت الارض بك إن أُدّىَ شكرها الى باريها ، والمنعم على العباد بها ، ان الله تعالى خلق السماء فى فلكها ضياء يستنير بها جميع الخلائق ، فكل جوهر زها حسنه ونوره ، فهل لبسته زينته الا بما اتصل به من نورك ، وكذلك كل ولىّ من أوليائك سعد بافعاله فى دولتك ، وحسنت صنائعه عند رعيتك ، فانما نالها بما أيدته من رأيك وتدبيرك ، وأسعدته من حسنك وتقويمك

غرائب الحظوظ

قال بعض الظرفاء : اجتمع لقينة أربعة من عشاقها وكلهم يدارى عن صاحبه أمره ، ويخفى عنه خبره ، ويومىء اليها بحاجبه ، ويناجيها بلحظه ، وكان أحدهم غائبا فقدم ، والآخر مقيما قد عزم على الشخوص ، والثالث قد سلفت أيامه ، والرابع مودته مستأنفة ، فضحكت الى واحد ، وبكت الى آخر ، وأقصت آخر ، وأطمعت آخر ، واقترح كل واحد ما يشا كل بثه وشأنه ، فاجابته ، فقال القادم جُعلت فداكِ أتحسنين هذا ؟ وأنشأ

ومن ينأ عن دار الهوى يُكثر البكا * وقول لعلّي أو عسى سيكونُ
وما اخترت نأى الدار عنك لسلوةٍ * ولكن مقاديرٌ لهنّ شؤونُ

فقالت أحسنت ، ولكن لاأقيم لَحْنه ، وليكن مطارحة لتستغنى به عنه ، لقربه منه ، وأنا به أحذق ، ثم غنت وقالت

وما زلت مُذ شطّت بك الدار باكيا * اؤمل منك العطف حين تؤوبَ
فأضعفت مابي حين أُبت وزدتنى * عذاباً وإعراضاً وأنت قريب

وقال الطاعن جُعلت فداك أتحسنين

أزف الفراق فأعلى جزعاً * ودعى العتاب فانى سَفِرُ
ان المحب يصد مقتربا * فاذا تباعد شفه الذكر

قالت نعم وأحسن منه ومن إيقاعه ثم غنت

لأقيمنّ مأتما عن قريب * ليس بعد الفراق غير النحيبِ
ربما أوجع النوى القلب حزناً * ثم لاسيما فراق الحبيب

ثم قال السالف : جعلت فداك أتحسنين

كنا نعاتبكم ليالىَ عودكم * حُلو المذاق وفيكم مستعتَبُ
والآن حين بدا التنكر منكمُ * ذهب العتاب فليس فيكم معتب

قالت لا ولكن أحسن منه فى معناه ثم غنت

وصلتك لما كان ودك خالصاً * وأعرضت لما صار نَهْباً مقسما
ولا يلبث الحوض الجديد بناؤهُ * اذا كثر الورّاد أن يتهدما

فقال الآخر أتحسنين جعلت فداك

انى لأعظم أن أجود بحاجتى * واذا قرأت صحيفتي فتفهمى
وعليك عهد الله ان أبثثتهِ * أحداً ولا أبديته بتكلم

فقالت أحسن من غناء صاحبه ثم غنت

لعمرك مااستودعت سرى وسرها * سوانا حذاراً أن تذيع السرائر

ولا خاطبتْها مقلتاىَ بنظرةٍ * فتعلم نجوانا العيون النواظر
ولـكن جعلت الوهم بينى وبينها * رسولا فأدى ما تكن الضمائر
أ كاتم ما فى النفس خوفاً من الهوى * مخافة أن يُغرى بذكرك ذاكر
فتفرقوا وكلهم قد أومأ بحاجته ، وأجابته بجوابه

مجلس حظ

قال ابو العباس بن المعتز كان لنا مجلس حظ أرسلت بسببه خادمة الى قينة فأجابت فلما مرت فى الطريق وجدت فيه حارسا حراميا فرجعت فارسلت أعاتبها فكتبت الى : لم أتخلف عن المسير الى سيدى فى عشيتى أمس لأرى وجهه المبارك وأجيب دعاءه ، الا لعلة قد عرفتها فلانة ، ثم خفت أن يسبق الى قلبه الطاهر أنى قد تخلفت بغير عذر ، فأحببت أن تقرأ عذرى بخطى ، ووالله ما أقدر على الحركة ولا شىء أسر الىّ من رؤيتك ، والجلوس بين يديك ، وأنت يامولاى جاهى وسندى لا فقدت سندى ، ولك رأيك فى بسط العذر موفقاً . وكتبت فى أسفل الـكتاب

أليس من الحرمان حظ سُلبتهُ * وأحوجنى فيه البلاء الى العذرِ
فصبراً فما هذا بأول حادث * رمتنى به الاقدار من حيث لا أدرى

فأجبتها : كيف أرد عذر من لا تتسلط التهمة عليه ، ولا تهتدى الموجدة اليه وكيف أعلمه قبول المعاذير ، ولا آمن بعض جواهره الىّ يسير الى انتهاز فرصة فيما عاد الى الفرطة ، فان سلمت من ذلك فمن يجيرنى من توكله على تقديم العذر ووقوعه موقع التصديق فى كل وقت ، فتتصل أيام الشغل والعلة ، وتنقضى أيام الفراغ والصحة ، فتطول مدة الغيبة ، وتَدرُس آثار المودة. وكتبت آخر الرقعة :

اذا غبت لم تعرف مكانىَ لذةٌ * ولم يلق نفسى لهوها وسرورها
وبدلت سمعاً واهياً غير ممسك * لقول وعيناً لا يرانى ضميرها

حزم الوزراء

وكتب الى بعض الوزراء: ما زال الحاسد لنا عليك أيها الوزير ينصب الحبائل ويطلب الغوائل ، حتى انتهز فرصته ، وأبلغك شيأ زخرفه ، وكذبا زوّره ، وكيف الاحتراس ممن أحضر ويغيب ، ويقول وأمسك ، مرتصد لا يغفل ، وما كر لا يفتر ، وربما استنصح الغاش ، وصدق الكاذب ، والحظوة لا تدرك بالحيلة ، ولا يجرى أكثرها على حسب السبب والوسيلة . فأجابه: حصول الثقة بك أعزك الله يغنى عن حضورك ، وصدق حالتك يحتج عنك ، وما تقرر عندنا من نيتك وطويتك يغنى عن اعتذارك

شعر ابن المعتز

وقال ابن المعتز

أخنى عليك الدهر مقتدراً * والدهر ألأم قادرٍ ظفرا
ما زلت تلقى كل حادثةٍ * حتى حناك وبيض الشعرا
فالآن هل لك فى مقاربةٍ * فلقد بلغت الشيب والكبرا
لله اخوان فقدتهمُ * سكنوا بطون الارض والُحفَرا
أين السبيل الى لقاْئهمُ * أم من يحدث عنهم خبرا
كم مورق بالبشر مبتسم * لا أجتنى من غصنه ثمرا
ما زال يُوليِنى خلائقهُ * وصبرت أرقبه وما صبرا
وعدو غيب طالب لدمى * لو يستطيع لجاوز القدرا
يورى زنادى كى يخاد عنى * ويُطير فى أثوابىَ الشررا

وقال أيضا

وانى على اشفاق نفسى من العدا * لتسنح مِنى نظرةٌ ثم اطرفُ

كما حلئت عن بردماء طريدة * تمد اليه جيدها وهي تعزف [1]

وقال

وما زلت مذشدت يدي عقد مئزري * غناي عن الغير افتقاري الى نفسي
ودل عليّ الحمد مجدي وعفتي * كما دل إشراق النهار على الشمس

وقال

سعى الى الدنّ بالمبزال ينقره * ساق توشح بالمنديل حين وثب
لما وجاها بدت صفراء صافية * كأنما قُدّ سير من أديم ذهب

وقال

لبست صفرة فكم فتنت من * أعين قد رأيتها وعقول
مثل شمس الغروب تسحب ذيلا * صبغته بزعفران الأصيل

والشمس عند طلوعها ، وعند غروبها ، يمكن النظر اليها ويمكن التشبيه
قال قيس بن الخطيم

فرأيت مثل الشمس عند طلوعها * في الحسن أو كدنوها للمغرب

شعر قيس بن الخطيم

ولما قدم جرير ابن الخطفى المدينة اجتمع اليه أهلها ، وقالوا يا أبا حرزة ! أنشدنا من شعرك ، قال ما تصنعون به وفيكم من يقول

اني شربت وكنت غير شروب * وتقرّب الاحلام غير قريب
ما تمنعي يقظا فقد نولته * في النوم غير مصرّد محسوب
كان المنى يلقى بها فلقيتها * فلهوت عن لهو أرى مكذوب
فرأيت مثل الشمس عند طلوعها * في الحسن أو كدنوها لغروب
يخطو على برد يبين خطاهما * عذق مخافة خابر لغيوب

(١) حلئت : منعت

يعقوب بن داود

وقّع يزيد بن خالد الكوفي رقعة الى يعقوب بن داود ضمنها

قل لابن داود والانباء سائرة * لايحرز الأجر الا من له عمل
ياذا الذى لم تزل يمناه قد خلقت * فيها لباغى نداه العلّ والنهَلَ
ان كنت مسدى معروفٍ الى رجلٍ * لفضل شكرٍ فانى ذلك الرجل
فامنن علىّ ببر منك ينعشنى * فانى شاكر للعرف محتمل

قال يعقوب: قد جربنا شكرك فوجدناه قد سبق برنا ، وقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم ، وليست آخر مالك عندنا ، فاستوفاها حتى مات . ولما سخط المهدى على يعقوب أحضره ، فقال: يايعقوب: قال لبيك يا أمير المؤمنين تلبية مكروب لوجدتك شرِق بغُصتك ، قال ألم أرفع قدرك وأنت خامل ، وأسيّر ذكرك وأنت هامل ، وألبسك من نعم الله تعالى ونعمى مالم أجد عندك طاقة لحمله ، ولا قياماً بشكره فكيف رأيت الله تعالى أظهر عليك ، ورد كيدك اليك ؛ قال يا أمير المؤمنين ان كنت قلت هذا بتيقن وعلم فانى معترف ، وان كان بسعاية الباغين ، ونمائم المعاندين ، فأنت أعلم بأكثرها ، وأنا عائذ بكرمك ، وعميم شرفك ، فقال لولا الحسب فى دمك لألبستك قميصاً لاتشد عليه ازرارا ، ثم أمر به الى السجن ، فتولى وهو يقول : الوفاء يا أمير المؤمنين كرم ، والمودة رحم ، وما على العفو ندم ، وأنت بالعفو جدير ، وبالمحاسن خليق ، فأقام فى السجن الى أن أخرجه الرشيد

أخذ معنى قول المهدى لألبستك قميصاً لاتشد عليه أزرارا أبو تمام فقال

طوّقته بالحسام طوق ردًى * أغناه عن مس طوقه بيده

وقال ابن عمر فى معنى قول الطائى

طوقته بحسام طوق داهيةٍ * لايستطيع عليه شد أزرارِ

ولما قبض المهدى على يعقوب ورأى أبو الحسن النميرى ميل الناس عليه . وكان مختلطا به قال :

يعقوب لا تبعد وجُنّبت الردى * فلأبكينّك ما بكى الغصن الندى

لو أن خيرك كان شرًّا كلّهُ * عند الذين عدوا عليك لما عدا

أخذ هذا المعنى بعض المحدثين فقال

لوأن هجرك كان وصلا كلّهُ * مما أقاسى منك كان قليلا

حزم الواثق

قال أبو العيناء : دخل ابن أبى دؤاد على الواثق فقال : مازال اليوم قوم فى ثلبك ونقصك ! فقال يا أمير المؤمنين لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، والله ولىّ جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذل يا أمير المؤمنين من أنت ناصره ، وما ضاق من كنت جاراً له ، فما قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال قلت يا أبا عبد الله

وسعى الىّ بعيب عزة معشرٌ * جعل الآله خدودهن نعالها

ظرف ابن أبى دؤاد

قال الفتح بن خاقان مارأيت أظرف من ابن أبى دؤاد ، كنت يوما ألاعب المتوكل بالنرد ، فاستؤذن له عليه ، فلما قرب منا هممت برفعها فمنعنى المتوكل وقال : أجاهر الله بشئ وأستره عن عباده ؟ فقال له المتوكل لما دخل : أراد الفتح أن يرفع النرد ! قال يخاف يا أمير المؤمنين ان أعلم عليه ! فاستحليناه ، وقد كنا تجهمناه

شبيب بن شيبة وخالد بن صفوان

قيل لبعض الامراء إن شبيب ابن شيبة ليتعمل الكلام ويستدعيه فلو أمرته أن يصعد المنبر فجأة لافتضح ، فأمر رسولا فاخذ بيده فأصعده المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : ان الامير أشبه أربعة فنها الاسد الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر ، فاما الاسد الخادر فأشبه صولته ومضاءه ، وأما البحر الزاخر فأشبه جوده وعطاءه ، وأما القمر الباهر فأشبه نوره وضياءه ، وأما الربيع الناضر فاشبه حسنه وبهاءه ، ثم نزل (وهذا) الكلام ينسب الى ابن عباس يقوله فى على ابن أبى طالب رضى الله عنهما ، وكان شبيب ابن شيبة من أفصح الناس وأخطبهم ، ويشبّه بخالد ابن صفوان ، غير أن خالدا كان أعلى منه قدرا فى الخاصة والعامة ، وذكر خالد شبيباً فقال : ليس له صديق فى السر ولا عدو فى العلانية . وكانت بينهما مفاوضة للنسب والجوار والصناعة ، وكان شبيب كما قال الشاعر :

فتىً شبيباً عن قراع كتيبةٍ * وأدنِ شبيباً من كلام ملفّقِ

وكان لا ينظر اليه أحد وهو يخطب الا تبين فيه الخجل. وقال أبو تمام لعلى ابن الجهم

لو كنتُ يوماً بالنجوم مصدقاً * لزعمتُ أنك نلتَ شكل عطاردِ

أو قدمتك السن خلت بانه * من لفظك اشتقت بلاغة خالد

وقالت له امرأة انك لجميل يا أبا صفوان . قال كيف تقولين هذا وما فىّ عمود الجمال ولا رداؤه ، ولا برنسه : عموده الطول ، ولست بطويل ، ورداؤه البياض ، ولست بأبيض ، وبرنسه الشعر الابيض ، وأنا أشمط ! ولكن قولى انك لمليح. وكان خالد حافظا للاخبار فى الاسلام وأيام الفتن ، وحديث الخلفاء ، ونوادر الولاة ، وكل ماتصرف فيه أهل الأدب ، وله يقول مكى ابن سوادة

عليمٌ بتنزيل الكتاب ملقَّنٌ * ذكورٌ لما أسداه أولَ أولا
يبذ قريع القوم فى كل محفل * ولوكان سحبان الخطيب ودغفلا
ترى خطباء الناس يوما ارتجاله * كأنهم الكروان صادف أجدلا(١)

سحبان

أما سحبان الذى ذكره فهو خطيب العرب بأسرها ، غير منازَع ولا مدافَع ، وكان إذا خطب لم يُعد حرفاً ، ولم يتوقف ، ولم يتحبس ، ولم يفكر فى استنباط ، وكان يسيل عرقاً كأنه آذىٌّ بحر (٢) ويقال إن معاوية قدم عليه وفد من خراسان وجههم سعيد بن عثمان ، وطلب سحبان فلم يوجد عامة النهار ثم اقتضب من ناحية كان فيها اقتضاباً ، فدخل عليه فقال: تكلم ، فقال انظروا لى عصاً تقيم أوَدى ، فقال معاوية ماتصنع بها ؟ فقال ما كان يصنع موسى عليه الصلاة والسلام وهو يخاطب ربه وعصاه بيده ، فجاؤه بعصا فلم يرضها ، فقال جيئونى بعصاى ، فأخذها ثم قام فتكلم من صلاة الظهر الى صلاة العصر ، ماتنحنح ، ولا سعل ، ولا توقف ، ولا احتبس ، ولا ابتدأ فى معنى فخرج منه إلى غيره حتى أتمه ، ولم يبق منه شىء ، ولا سأل عن أى جنس من الكلام يخطب فيه ، فما زالت تلك حاله وكل عين فى السماطين شاخصة الى أن أشار له معاوية بيده ان اسكت ، فأشار سحبان بيده أن دعنى لا تقطع علىّ كلامى ، فقال له معاوية أنت أخطب العرب ، فقال سحبان : والعجم ، والجن ، والانس

عجلان

وكان ابنه عجلان حلو اللسان ، جيد الكلام ، مليح الاشارة ، يجمع مع خطابته شعراً جيداً ، ويضرب الامثال اذا خطب ، ويجمع النادر من الشعر ، والسائر من المثل ، فتحلو خطبته ، وكان يزن كلامه وزنا

(١) الاجدل . الصقر (٢) الآذى: الموج

دغفل

وأما دغفل الذى ذكره مكى بن سوادة فهو دغفل بن حنظلة بن يزيد أحد بنى ذهل بن ثعلبة النسابة ، وكان أعلم الناس بأنساب العرب ، والآباء ، والأمهات ، وأحفظهم لمثالبها ، وأشدهم تنقيراً وبحثاً عن معايب العرب ، ومثالب النسب ، قال له معاوية يوماً والله أن قلت فى هذا النسب من قريش لما تجد فى آل حرب مقالا ، فتبسم دغفل ، فقال له معاوية والله لتخبرنى بتبسمك ، وما انضمت عليه جوانحك ، أو لأضربن عنقك ، وما آمرك أن تكذب أو تزيد فقال يا أمير المؤمنين أنتم من بنى عبد مناف كسنام كوماء فتية [1] ذات مرعى خصيب ، وماء عذب ، وأكمة بارزة ، فهل يوجد فى سنام هذه مدب قراد من عاهة ؟ فقال له معاوية أولى لك لو قلت غير هذا ، أما على ذلك لو رأيت هنداً وأباها ، وزوجها ، وأخاها ، وعمها ، وخالها ، لرأيت رجالا تحار أبصار من رآهم فيهم فلا تجاوزهم الى غيرهم ، جلالة وبهاء

الحجاج وبعض الاعراب

وعلى ذكر العصا لقى الحجاج اعرابيا فقال : من أين أقبلت ؟ قال من البادية قال ما بيدك ؟ قال عصا أركزها لصلاتى ، وأعدها لعداتى ، وأسوق بها دابتى ، وأقوى بها على سفرى ، وأعتمد بها فى مشيى ، ليتسع بها خطوى ، وأثب بها النهر فتؤمننى ؟ وألقى عليها كسائى فيسترنى من الحر ، ويقينى من القر ، وتدنى ما بعد منى ، وهى محمل سفرتى ، وعلاقة إداوتى [2] ، ومشجب ثيابى [3] اعتمد بها عند الضراب ، وأقرع بها الابواب ، وأنفى بها عقور الكلاب ، تنوب عن الرمح فى الطعان ، وعن الحرب عند منازلة الاقران ، ورثتها عن أبى ، وأورثها بعدى ابنى ، وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخرى ، كثيرة لا تحصى

---

(١) الكوماء : الناقة العظيمة السنام (٢) الاداوة المطهرة
(٣) المشجب ماتوضع عليه الثياب

عزة الخليل

قال النضر بن شميل كتب سليمان بن على الى الخليل بن احمد يستدعيه الخروج اليه ، وبعث اليه بمال فرده وكتب اليه

أبلغْ سليمان أني عنه في سعةٍ * وفي غنًى غير اني لست ذا مالِ
شُحًّا بنفسيَ إني لا أرى أحداً * يموت هُزلا ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال نعرفهُ * ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال
والمال يغشى أناساً لا خلاق لهم * كالسيل يغشى أصول الدِّندِنِ البالى
كل امرئٍ بسبيل الموت مرتهنٌ * فاعمل لنفسك انى شاغل بالى

أخذ هذا الطائى فقال :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالى

وقال أيضاً يصف قوماً خصوا بابن أبى دؤاد

نزلوا مركز الندى وذراهُ * وعدتنا من دون ذاك العوادى
غير أن الرُّبا إلى سُبل الانـــــواء أدنى والحظ عند الوهاد

وهذا الشعر أملح شعر الخليل ، وكان شعره قليلا ضعيفاً ، بالاضافة إليه ، وهو أستاذ النحو والغريب ، وقد اخترع علم العروض من غير مثال تقدمه ، وعنه أخذ سيبويه ، وسعيد بن مسعدة ، وأئمة البصريين ، وكان أوسع الناس فطنة ، وألطفهم ذهنا . قال الطائى :

فلو نُشر الخليل له لعفَّت * رزاياه على فِطن الخليلِ

تعزية الصابى لمحمد بن العباس

وكتب أبو اسحق الصابى الى محمد بن العباس يعزيه عن طفل

الدنيا أطال الله بقاء الرئيس أقدار ترد فى أوقاتها ، وقضايا تجرى إلى غاياتها

ولا يرد منها شئ عن مداه ، ولا يصد عن مطلبه ومنحاه ، فهى كالسهام التى تثبت فى الأغراض ، ولا ترجع بالاعتراض ، ومن عرف ذلك معرفة الرئيس لم يغض من الزيادة ، ولم يقنط عند المصيبة ، ولم يجزع عند النقيصة ، وأمن أن يستخف أحد الطرفين حكمه ، ويستنزل أحد الأمرين حزمه ، ولم يدع أن يوطن نفسه على النازلة قبل نزولها ، ويأخذ الاهبة للحالة قبل حلولها ، وأن يجاور الخير بالشكر ، ويساور المحنة بالصبر ، فيتخير فائدة الأولى عاجلا ، ويستمرئ عائدة الاخرى آجلا ، وقد نفذ من قضاء الله تعالى فى المولى الجليل قدرا . الحديث سنا ، ما أرمض وأومض ، وأقلق وامض ، ومسنى من التألم له مايحق على مثلى ممن توالت أيدى الرئيس اليه ، ووجبت مشاركته فى الملم عليه ، فانا لله وانا إليه راجعون ، وعند الله نحتسبه غصناً ذوى ، وشهاباً خبا ، وفرعا دل على أصله ، وخطيا أنبته وشيجه ، واياه أسأل أن يجعله للرئيس فرطا صالحا ، وذخرا عتيدا ، وأن ينفعه يوم الدين حيث لاينفع الا مثله بين البنين ، بجوده ومجده ، ولئن كان المصاب عظيما ، والحادث فيه جسيما ، لقد أحسن الله اليه ، والى الرئيس فيه ، أما اليه فان الله نزهه باخترام ، عن اقتراف الآثام ، وصانه الاختضار ، عن ملابسة الاوزار ، فورد دنياه رشيدا ، وصدر عنها سعيداً ، نقى الصحيفة من سواد الذنوب ، برىء الساحة من درن العيوب ، لم تدنسه الجرائر ، ولم تعلق به الصغائر ، والكبائر ، قد رفع الله عنه دقيق الحساب ، وأسهم له الثواب ، مع أهل الصواب ، وألحقه بالصديقين الفاضلين فى المعاد ، وبوأه حيث فضلهم من غير سعى واجتهاد ، وأما الرئيس فان الله عز وجل لما اختار ذلك قبضه قبل رؤيته على الحالة التى تصعب معها الفرقة ، وتتضاعف عندها الحرقة ، وحماه من فتنة المرافقة ، ليرفعه عن جزع المفارقة ، وكان هو المبقى فى دنياه ، وهو الواحد الماضى الذخيرة لاخراه ، وقد قيل أن تسلم الجلة فالسخل هدر ، وعزيز علىّ أن أقول قول المهون للامر من بعده ، ولا أوفى التوجع عليه واجب فقده ، فهو له سلالة ، ومنه بضعة ،

ولكن ذلك طريق التسلية ، وسبيل التعزية ، والمنهج المسلوك فى مخاطبة مثله ، ممن يقبل منفعة الذكرى ، وان أغناه الاستبصار ، ولا يأبى ورود الموعظة ، وان كفاه الاعتبار ، والله تعالى يقى الرئيس المصائب ، ويعيذه من النوائب ، ويرعاه بعينه التى لاتنام ، ويجعله فى حماه الذى لايرام ، ويبقيه موفورا غير منتقص ، ويقدمنا الى السوء أمامه ، والى المحذور قدامه ، ويبدأ بى من بينهم فى هذه الدعوة ، اذ كنت أراها من أسعد أحوالى ، وأعدها من أبلغ أمانىّ وآمالى

كتاب للصابى الى بعض الرؤساء

وكتب الى بعض الرؤساء : قد جرت العادة أطال الله بقاء الامير بالتمهيد للحاجة قبل موردها ، واسلاف الظنون الداعية الى نجاحها ، وسالك هذه السبيل يسيء الظن بالمسؤول ، فهو لايلتمس فضله إلا بالاجزاء ، ولا يستدعى طوله إلا بالاقتضاء ، والامير بكرمه الغريب ، ومذهبه البديع ، يؤثر أن يكون السلف له ، والابتداء منه ، ويوجب المهاجم برغبته عليه ، حق الثقة به منه ، والحمد لله الذى أفرده بالطرائق الشريفة ، ووحده بالخلائق المنيفة ، وجعله عين زمانه البصيرة ، ولمعته الباقية المنيرة

كتاب لبديع الزمان

وكتب البديع فى بابه الى بعض أصحابه : لك أعزك الله عادة فضل ، فى كل فصل ، ولنا شبه مقت ، فى كل وقت ، ولعمرى ان ذا الحاجة مقيت الطلعة ، ثقيل الوطأة ، ولكن ليسوا سواء

أيام الشباب

وقال على بن محمد بن الحسن العلوى

واهًا لايام الشبا * ب وما لبسن من الزخارف
وذهابهن بما عرفن من المناكر والمعارف

أيام ذكرك في دوا * وين الصبا صدر الصحائف
واهاً لايامي وأيا * م الشهيات المراشف
الغارسات البان قضـ * باناً على كُثُب الروادف
والجاعلات البدر ما * بين الحواجب والسوالف
أيام يظهرن الخلا * ف بغير نيات المخالف
وقف النعيم على الصبا * وزللت من تلك المواقف

أيام المشيب

ابن المعتز

دعتني الى عهد الصبا ربة الخدرِ * وألقت قناع الخز عن واضح الثغر
وقالت وماء العين يخلط كحلها * بصفرة ماء الزعفران على النحر
لمن تطلب الدنيا اذا كنت قابضاً * عنانك عن ذات الوشاحين والشذر
أراك جعلت الشيب للهجر علةً * كأن هلال الشهر ليس من الشهر

وقال

يامن كلفت بحبهِ * كلفي بكاسات العُقارِ
وحياة مافي وجنتيـ * ـك من الشقائق والبهار
وولوع ردفك بالترجـ * ـرج تحت خصرك في الازار
ماإن رأيت لحسن وجـ * ـهك في البرية من نِجار
لما رأيت الشيب من * وجهي بما يحكي الخمار
قالت ذهبت بحجتي * عني بحسن الإعتذار
يا هذه أرأيت ليـ * ـلا مذ خلقت بلا نهار

وقال خالد الكاتب

نظرت اليَّ بعين من لم يعدلِ * لما تمكن طرفها من مقتلي

لما رأت شيباً ألمّ بمفرقي * صدت صدود مفارق متجمل
وظللت أطلب وصلها بتملق * والشيب يغمزها بان لا تفعلي

وقال ابن الرومي

كفى حزناً ان الشباب معجلٌ * قصير الليالي والمشيب مخلدُ
وعزّ الذي عن ليل الشباب معاشرٌ * فقالوا نهار الشيب أهدى وأرشد
فقلت نهار المرء أهدى لسعيهِ * ولكنّ ظل الليل أندى وأبرد
محار الفتى شيخوخة أو منية * ومرجوع وهاج المصابيح رِمّدِدُ

وقال

كان الشباب وقلبي فيه منغمسٌ * في لذةٍ لست أدري ما دواعيها
رَوْح على النفس منه كاد يبردها * برد النسيم ولا ينفك يحييها
كأن نفسيَ كانت منه سارحةً * في جنة بات ساقي المزن يسقيها
يمضي الشباب ويبقى من لبانته * شجوٌ على النفس لا ينفك يشجيها
ما كان أعظم عندي قدر نعمتهِ * لنفسه لا لحلم كان يصبيها
ما كان يوزن إعجاب النساء بهِ * والنفس أوزنُ إعجاباً بما فيها

وقال

اذا ما رأتك البيض صدت وربما * غدوت وطرف البيض نحوك أصوَر (١)
وما ظلمتك الغانيات بصدها * وان كان في أحكامها ما يجوّر
أعر طرفك المرآة وانظر فان نبا * بعينيك عنك الشيب فالبيض أعذر
اذا شنئت عين الفتى شيب نفسهِ * فعين سواه بالشناءة أجدر (٢)

وقال كشاجم

وقفتني ما بين جزر وبُوس * وثنت بعد ضحكة بعبوسِ
اذ رأتني مشطت عاجا بعاج * ووهي الآبنوس بالآبنوس

(١) أصور : مائل (٢) الشناءة : البغض

وقال أيضاً

بكّرت تبصّرني الرشاد كأنني * لا أهتدى لمذاهب الابرارِ
وتقول ويحك قد كبرت عن الصبا * ورمى الزمان اليك بالأعذار
فالى متى تصبو وأنت متيمٌ * متقلب فى راحة الإقتار
فأجبتها إنى قد عرفت مذاهبي * فصرفت معرفتي الى الانكار

وقال احمد بن زياد الكاتب

ولما رأيت الشيب حل بياضهُ * بمفرَق رأسي قلت أهلا ومرحبا
ولو خِلت أنى ان تركت تحيتى * تنكّب عنى رمت ان يتنكبا
ولكن اذا ماحل كُرهٌ فسامحت * به النفس يوما كان للكره أذهبا

كأن هذا البيت ينظر الى قول الاول

وجاشت الىّ النفس أول مرةٍ * فردّت الى معروفها فاستقرتِ

أبو الطيب

انكرت طارقة الحوادث مرةً * ثم اعترفت بها فصارت ديدنا

ابن الرومى

لاح شيبي فصرت أمرح فيهِ * مرَح الطِرف فى اللجام المحلى
وتولى الشباب فازددت غيا * فى ميادين باطلى إذ تولى
ان من ساءه الزمان بشئٍ * لحقيق اذاً بأن يتسلى

المتنبي

أتراني أسوء نفسى لمّا * ساءنى الدهر؟ لالعمرىَ كلا

البحتري (١)

تصفو الحياة لجاهل أو غافل * عما مضى فيها وما يتوقعُ
ولمن يغالط فى الحقائق نفسهُ * ويسومها طلب المحال فيطمع
يكفيك من حق تخيّل باطلٌ * تردى به نفس اللهيف فترجع

---

(١) صوابه : المتنبي

وقلما تصح مغالطات أهل العقول عند أهل التحصيل ، وما أحسن ما قال الطائى

لعب الشيب بالمفارق بل جدّ * فأبكى تماضراً ولعوبا
ياسيب الثغام ذنبك أبقى * حسناتى عند الحسان ذنوبا[1]
لو رأى الله أن فى الشيب فضلا * جاورته الابرار فى الخلد شيبا

التسلى عن الهموم

وقد جاء فى التشاغل عن الدهر واحداثه ، ونكباته ، ومصائبه ، ونجماته ، والتسلى عن الهموم ، ببنت الكروم ، شعر كثير ، ومما يتعلق منه بذكر الشيب قول ابن الرومى

سأعرض عمن اعرض الدهر دونه * وأشربها صرفا وان لام لُوَّمُ
فانى رأيت الكاس أكرم خلةً * وفت لى ورأسى بالمشيب معمم
وصلت فلم تبخل علىّ بوصلها * وقد بخلت بالوصل عنىَ تكتُم
ومن صارم اللذات انحان بعضها * ليرغم دهراً ساءهُ فهو أرغم
أمن بعد مثوى المرء فى بطن أمهِ * الى ضيق مثواه من القبر يسلم
ولم يلق بين الضيق والضيق فرجة * أبى الله ان الله بالعبد أرحم

وقال المطوى

أعجبتنّ إن أناخ بىَ الدهــــر فحاكمتهُ الى الاقداحِ
لا تُردّ الهموم ينشبن أظفا * راً حدادا بشرب ماء قراح
أحمد الله صارت الراح تأسو * دون أن تؤذى النقاب جراحى

ابن الرومى

وقد كنت ذا حال أطيل اذّ كارها * وارعاءها قلباً نوى الدهر معجبا
فبدلت حالا غير هاتيك غايتى * تناسىّ ذكراها لتغرب مغربا

(١) الثغام نبت ابيض

وكنت أدير الكأس ملأى روية * لأجذل مسرورا بها ولأطربا
وكانت مزيداً فى سروري ومتعتي * فأضحت معزى من همومي ومهربا

وهذا كما قال فى قينة وان لم يكن من هذا الباب

شاهدت فى بعض ما شاهدت مسمعة * كأنما يومها يومان فى يوم
ظللت أشرب بالأرطال لا طرباً * لذاك بل طلباً للسكر والنوم

وصف الشيب

ومن مليح شعره فى الشيب

ومن نكد الدنيا اذا ماتنكرت * أمور وان عدت صغاراً عظائم
اذا رمت بالمنقاش نتف أشاهبي * أتيح له من بينهن الاداهم
يروّع منقاشي نجوم مسائحي * وهن لعيني طالعات نواجم

وقال كشاجم

اخي قم فعاونى على نتف شيبةٍ * فانيَ منها فى عذاب وفى حربِ
اذا مامضى المنقاش يأتى بها أتت * وقد أخذت من دونها جارة الجنب
كجانٍ على السلطان يجزى بذنبه * تعلق بالجيران من شدة الرعب

قال مؤلف الكتاب :

وقد وشحت هذا الكتاب بقطع مختارة فى الشيب والشباب وجئت ههنا بجملة ، وهذا النوع أعظم من أن تحيط به أخبار ، أو يبلغه اختيار

شذور لأهل العصر فى وصف الشيب ومدحه وذمه:

ذوى غصن شبابه ، بدت فى رأسه طلائع المشيب — غزاه الشيب بجيوشه — طوى الشيب شبابه ، أقمر ليل شبابه ، ألجمه بلجامه ، وقاده بزمامه ، علاه غبار وقائع الدهر — وزن هذا لابن المعتز * هذا غبار وقائع الدهر * بيناهو راقد فى ليل الشباب أيقظه صبح المشيب — طوى مراحل الشباب ، وأنفق عمره بغير

حساب — جاوزمن الشباب مراحل ، وورد من الشيب مناهل — فلّ الدهر شب شبابه ، ومحامحاسن روائه — أكل باكورة الشباب ، وانفق نضارة الزمان — أخلق برد الصبا ، ونهاه النهى عن الهوى — طار غراب شبابه — انتهى شبابه ، وشاب اترابه — استبدل بالادهم الأبلق ، وبالغراب العقعق — انتهى الى أشد الكهل ، واستعاض من الغراب بقادمة النسر — افترّ عن ناب القارح ، وقرع ناجذ الحلم ، وارتاض بلجام الدهر ، وأدرك عنصر الحنكة ، وأوان المسكة — جمع قوة الشباب الى وقار المشيب — أسفر صبح المشيب وعلته أبهة الكبر — خرج عن حد الحداثة وارتفع عن غِرة الغرارة — نفض جبة الصبا ، وتولى داعية الحجى — لما قام له الشيب مقام النصيح ، عدل عن علائق الحداثة بتوبة نصوح — الشيب حلية العقل وشيمة الوقار — الشيب زبدة مخضتها الايام ، وفضة محضتها الانام ، وسبكتها التجارب سرى فى طريق الرشد بمصباح الشيب ، عصى شياطين الشباب ، واطاع ملائكة الشيب — الشيخ يقول عن عِيان ، والشاب عن سماع — فى الشيب استحكام الوقار وتناهى الجلال ، وميسم التجربة ، وشاهد الحنكة — الشيب مقدمة الموت والهرم والمؤذن بالخرف ، والقائد للموت . الشيب رسول المنية ـ الشيب عنوان الفناء الموت ساحل والشيب سفينة تقرب من الساحل ـ صفا فلان على طول العمر ، صفاء التبر على مقت الجمر ـ لقد تناهت به الايام تهذيبا وتحليا ، وتناهت به السن تجريباً وتحنيكا . قد وعظه الشيب بوخطه ، وحنطه السن بابنه وسبطه ، قد تضاعفت عقود عمره ، وأخذت الايام من جسمه — وجد مسّ الكبر ، ولحقه ضعف الشيخوخة ، وأساء إليه أثر السن ، واعتراض الوهن — هو من ذوى الاسنان العالية ، والصحبة للايام الخالية ، هو هِمٌّ هرم قد أخذ الزمان من عقله كما أخذ من عمره ، ثلمه الدهر ثلمة الاناء ، وتركه كذى الغارب المنكوب ، والسنام المجبوب رماده من قومه الكبر ، أريق ماء شبابه ، واستشن أديمه ، كسر الزمان جناحه ، ونقص مِرته — طوى الدهر منه مانشر ، وقيده الكبر ، يرسف رسفان المقيد ،

هو شيخ مجيب الجنة ، واهى المنة ، مفلول القوة ، ثقلت عليه الحركة ، واختلفت اليه رسل المنية ، ما هو الا شمس العصر على القصر ، أركانه قد وهت ، ومدته قد تناهت . هل بعد الغاية منزلة ، أو بعد الشيب سوى الموت مرحلة؟ ما الذى يرجى ممن كان مثله فى تعاجز الخطا ، وتخاذل القوى ، وتدانى المدى ، والتوجه الى الدار الاخرى ، وبعد دِقة العظم ، ورقة الجلد ، وضعف الحس ، وتخاذل الاعضاء ، وتفاوت الاعتدال ، والقرب من الزوال ، والذى بقى منه زِماء يرقبه المنون بمرصد ، وحشاشة هى هامة اليوم أوغد ، قد خلق عمره ، وانطوى عيشه ، وبلغ ساحل الحياة ، ووقف على ثنية الوداع ، وأشرف على دار المقامة ، فلم يبق الا أنفاس معدودة ، وحركات محصودة — نضب غدير شبابه

فقرات فى المشيب

فِقر لغير واحد فى ذكر المشيب — قيس بن عاصم : الشيب خطام المنية — أكثم بن صيفى : المشيب عنوان الموت — الحجاج بن يوسف : الشيب نذير الآخرة — غيره : الشيب نوم الموت — العتبى : الشيب مجمع الامراض — العتابى : الشيب نذير المنة — محمود الوراق : الشيب أحد الميتتين — ابن المعتز : الشيب أول مواعد الفناء — وقال : عظِّم الكبير فانه عرف الله قبلك ، وارحم الصغير فانه أغر بالدنيا منك — غيره : الشيب قناع الموت ، الشيب غمام قطره الغموم ، الشيب قذى عين الشباب — نظر سليمان بن وهب فى المرآة فرأى الشيب فقال : عيب لاعدمناه ! وقيل لأبى العيناء : كيف أصبحت ؟ فقال فى داء يتمناه الناس ! ابن المعتز

انكرت شر مشيبي وولت * بدموع فى الرداء سجوم
اعذرى باشر شيبي بهم * ان شيب الرأس نور الهموم

مسلم بن الوليد

الشيب كرهٌ وكرهٌ ان أفارقهُ * فاعجب لشىء على البغضاء مودودِ

يمضي الشباب فيأتي بعده بدلٌ * والشيب يذهب مفقودا بمفقود

وقال آخر

لو أن عمر الفتى حسابٌ * كان له شيبه عذابا

وقال بعضهم

ولي صاحبٌ ما كنت أهوى اقترابهُ * فلما التقينا كان أكرم صاحبِ

عزيزٌ علينا ان يفارق بعدما * تمنيت دهرا ان يكون مجانبي

يعني الشيب ، يقول : لم أكن أشتهي اقترابه ، فلما حل كان أكرم صاحب عزيز عليَّ مجانبته ، لأنه لا يجانب الا بالموت — أبو اسحق الصابي

والعمر مثل الكاس ير * سب في أواخره القذى

أبو الفضل الميكالي

أمتع شبابك من لهو ومن طربٍ * ولا تُصخ للملام سمع مكترثِ

فخير عمر الفتى ريعان جدته * والعمر من فضة والشيب من خبَثِ

الخضاب

في ذكر الخضاب — الخضاب أحد الشبابين — عبدان الاصفهاني

في مشيبي شماتةٌ لعداتي * وهو ناع منغص لي حياتي

ويعيب الخضاب قومٌ وفيهِ * ليَ أنس الى حضور وفاتي

لا ومن يعلم السرائر اني * ما تطلبت حلية الغانيات

انما رمت أن يغيّب عني * ما تريْنيه كل يوم مِراتي

وهو ناعٍ اليَّ نفسي ومن ذا * سره ان يرى وجوه النعاة

ابن المعتز بالله

رأت شيبةً قد كنت أغفلت قصها * ولم تتعهدها أكف الخواضب

فقالت أشيب ما أرى؟ قلت شامةٌ * فقالت لقد شانتك عند الحبائب

الامير أبو الفضل الميكالى

قد أبى لى خضابَ شيبى مرادٌ * حدثتنى بكتم سرى ولوع
خاف أن يحدث الخضاب نصولا * ونصول الخضاب شىء بديع

وقالوا: الخضاب من شهود الزور ، والخضاب حداد المشيب ، فكيف يخضب الكبير — الخضاب كفن الشيب — ابن الرومى

ليس تغنى شهادة الشعر الاسـ * ـود شيأً اذا استشن الاديمُ
أفيرجو مسوِّد ان يزكى * شاهد الخضب أين ضل الحليمُ
يالعمرى ما للخضاب لدى الابـ * ـصار الا التكذيب والتأثيمَ
يدّعى للكبير شرخ شبابٍ * قد تولّى به الشباب القديم
والسواد الدعىُّ أوجب تكذيـ * ـباً اذا كذّب السواد الصميم

وله أيضا فى هذا المعنى

كما لو أردنا أن نحيل شبابنا * مشيبا ولم يأت المشيب تعذرا
كذلك يعنينا إحالة شيبنا * شباباً اذا ثوب الشباب تحسرا
أبى الله تدبير ابن آدم نفسه * وأن لا يكون العبد الا مدبَّرا

وقال

قل للمسوّد حين شيّب هكذا * غش الغوانى فى الهوى اياكا
كذب الغوانى فى سواد عذاره * فكذبنه فى ردهن كذا كا
هيهات غرك أن يقال غرائرٌ * أى الدواهى غيرهنّ دها كا
لاتحسبن خدعتهنّ بحيلةٍ * بل أنت ويحك خادعتك منا كا

وقال أبو الطيب المتنبى

ومن هوى كل من ليست مموهةً * تركت لون مشيبى غير مخضوب
ومن هوى الصدق فى قولى وعادته * رغبت عن شعَر فى الوجه مكذوب
ليت الحوادث باعتنى الذى أخذت * منى بحلمى الذى أعطت وتجريبى

فما الحداثة من حلم بمانعةٍ * قد يوجد الحلم فى الشبان والشِيب

غيره

ياخاضب الشيب بالحناء يستره * سل الآله له سترا من النارِ

وقد سلك أبو القاسم طريقاً فى قوله

أفدى المخاضبة التى أتبعتها * نفسا يشيّع عيسها إذ آبا

والله لولا أن يسفهنى الصبا * ويقول بعض القائلين تصابى

لكسرت دملجها لضيق عناقهِ * ولثمت من فيها البرود رضابا

بنتم فلولا أن أغير لمتى * عتباً وألقاكم علىّ غضابا

لخضبت شيباً فى عذارى كامنا * ومحوت محو النفس منه شبابا

وخلعته خلع النجاد مذمما * واعتضت من جلبابه جلبابا

ولبست مبيضّ الحداد عليكمُ * لو أننى أجد البياض خضابا

وإذا أردت الى المشيب وفادةً * فاجعل اليه مطيّك الاحقابا

فلتأخذنّ من الزمان حمامة * ولتدفعنّ الى الزمان غرابا

ماذا أقول لريب دهر خائن * جمع العداة وفرّق الاحبابا

الوليد بن يزيد

وقيل للوليد بن يزيد بن عبد الملك لما غلبت عليه لذّاته ، وملكته شهواته : ياأمير المؤمنين ، ان الرعية ضاعت بتضييعك أمرها ، وتركك مايجب عليك من أمر مصلحتها ، فقال ما الذى أغفلناه من واجب حقها ، وألزمناه من مفروض ذمامها ؛ أما كرمنا دائم ، ومعروفنا شامل ، وسلطاننا قائم ، واتما لنا مانحن فيه ، بسط لنا فى النعمة ، ومكن لنا فى المكرمة ، وأزكى لنا فى الامة ، ومُدّلنا فى الحرمة ، فان تركت مابه وسّع ، وامتنعت عما به أنعم ، كنت أنا المزيل لنعمتى بمالاينال الرعية ضرره ، ولايؤذيها ثقله ، ياحاجب لاتأذن لأحد فى الكلام

وقال عمرو بن عتبة للوليد بن يزيد وكان خاصا به : ياأمير المؤمنين انطقنى

بالانس وأنا أسكت بالهيبة ، وأراك تأمر بأشياء أنا أخافها عليك ، أفأسكت مطيعاً أم أقول مشفقاً ؟ قال : كلٌ مقبول منك ، معلوم لي فيك ، ولله فينا علم غيب نحن صائرون إليه ! ونعود فنقول : فقتل الوليد بعد ذلك بشهر

الحجاج وأهل العراق

وقال عبد الملك بن مروان للحجاج : انى استعملتك على العراق ، فاخرج اليها كميش الازار ، شديد العوار ، قليل العثار ، منطوى الحصيلة ، قليل الثميلة ، غرار النوم ، طويل اليوم ، واضغط الكوفة ضغطة تحبق منها أهل البصرة

جامع المحاربى

وشكا الحجاج يوما سوء طاعة أهل العراق ، وسقم مذهبهم ، وسخط طريقتهم ، فقال له جامع المحاربى : أما انهم لو أحبوك لاطاعوك ، على أنهم ما يشنئونك لبلدك ، ولا لذات يدك ، إلا لما نقموه من أفعالك ، فدع ما يبعدهم عنك الى ما يدنيهم منك ، والتمس العافية ممن دونك ، تعطها ممن فوقك ، وليكن ايقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك ثلاثاً ، فقال له الحجاج : والله ما أرى أن أردّ بنى اللخناء الى طاعتى الا بالسيف ، فقال جامع : أيها الامير ان السيف اذا لاقى السيف ذهب الخيار ، قال الحجاج : الخيار يومئذ لله ، قال جامع أجل ولكن لا ندرى لمن يجعله الله ، فغضب الحجاج وقال : ياهناه انك من محارب ، فقال جامع :

وللحرب سمينا وكنا محارباً * اذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا

فقال له الحجاج : والله لقد هممت أن أخلع لسانك ، واضرب به وجهك ، فقال جامع ان صدقناك أغضبناك ، وان كذبناك أغضبنا الله ، فقال الحجاج أجل ، وسكن سلطانه ، واشتغل ببعض الامر ، وخرج جامع وانسل من صفوف الناس ،

وانحاز الى جبل العراق . وكان جامع لسنا مفوّها ، وهو الذى يقول للحجاج حين بنى واسطا : بنيتها فى غير بلدك ، وأورثتها غير ولدك . وكان الحجاج من الفصحاء البلغاء ، ويقال ما رُؤى حضرى أفصح من الحجاج ومن الحسن البصرى. وكان يحب أهل الجهارة والبلاغة ، ويؤثرهم ويقربهم

ابن القرية

ولما دخل أيوبُ بن القرية على الحجاج ، وكان فيمن أسر من أصحاب عبد الرحمن بن الاشعث بن قيس الكندى قال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال ثلاثة صفوف ، كأنها ركب وُقوف : دنيا وآخرة ومعروف . فقال له الحجاج بئسما منّيت به نفسك يا ابن القرية ، أتراني ممن تخدعه بكلامك وخطبك ، والله لأنت أقرب الى الآخرة من موضع نعلى هذه ، قال : أقلنى عثرتى ، وأسِغنى ريقى ، فانه لابد للجواد من كبوة ، والسيف من نبوة ، والحليم من صبوة ، قال أنت الى القبر أقرب منك الى العفو ، ألست القائل وأنت تحرض حزب الشيطان ، وعدو الرحمن « تغدّوا بالحجاج قبل أن يتعشى بكم » وقد رويت هذه اللفظة للغضبان بن القبعثرى ، ثم قدمه فضرب عنقه — قال الخريمى لأبى دلف وأخذه من قول ابن القرية

له كلِمٌ فيك معقولةٌ * وان القلوب كركب وقوف

كثير بن أبى كثير

وبعث الحجاج الى عامله بالبصرة : اختر لى عشرة من عندك . فاختار رجالا فيهم كثير بن أبى كثير ، وكان عربيا فصيحا ، فقال كثير ما أرانى أفلت من يد الحجاج الا باللحن ، فلما دخلنا عليه دعانى فقال ما اسمك ؟ فقلت كثير قال ابنُ من ! فقلت فى نفسى ان قلت ابن أبِى كثير لم آمن أن يتجاوزها ، قلت ابن أبا كثير ، فقال اعزب لعنك الله ولعن من بعث معك ! !

آل جفنة

وقال النابغة الذبياني يمدح آل جفنة

ولله عينا من رأى أهل قبة * أضر لمن عادوا وأكثر نافعا

وأعظم أحلاماً وأكثر سيدا * وأفضل مشفوعا اليه وشافعا

متى تلقهم لاتلق للبيت عورة * فلا الضيف ممنوعا ولا الجار ضائعا

شعر النابغة الجعدى

وأنشد محمد بن سلام الجمحى للنابغة الجعدى

فتى كملت أخلاقه غير أنه * جواد فما يبقى من المال باقيا

فتى تم فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الاعاديا

شعر الحطيئة

ومن حسن المدح وجيد الشعر قول الحطيئة

تزور امرأ يعطى على الحمد ماله * ومن يعط أثمان المحامد يحمد

يرى البخل لا يبقى على المرء ماله * ويعلم أن المال غير مخلد

كسوب ومتلاف اذا ما سألته * تهلل واهتز اهتزاز المهند

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه هذا البيت فقال ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقوله

يسوسون أحلاما بعيداً أناتها * وان غضبوا جاء الحفيظة والجد

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم * من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا

أولئك قوم ان بنوا أحسن البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا

وان كانت النعماء فيهم جزوا بها * وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا

مطاعين للهيجا مكاشيف للدجى * بنى لهم آباؤهم وبنى الجد

ويعذلني أبناء سعدٍ عليهمُ * وماقلت الابالذى علمت سعد

شعر منصور النميري

وقال منصور النميرى

ترى الخيل يوم الحرب يظمأن تحتهُ * ويروى القنا في كفه والمناصلُ
حلالٌ لأطراف الأسنة نحرهُ * حرام عليها منه متنٌ وكاهلُ

وقال آخر

فتًى دهــره شطرانِ فيما ينوبهُ * ففي بأسه شطرٌ وفي جوده شطر
فلامن بغاة الخير في عينه قذًى * ولامن زئير الحرب في أذنه وقرُ

خطر الشراب

وقال بعض الظرفاء : الشراب أول الخراب ، ومفتــاح كل باب ، يمحق الأموال ، ويذهب الجمال ، ويهدم المروءة ، ويوهن القوة ، ويضع الشريف ، ويهين الظريف ، ويذل العزيز ، ويفلس التجار ، ويهتــك الاستار ، ويورث الشنار — وقال يزيد بن محمد المهلبى

لعمرك مايحصى على الكاس شرها * وان كان فيها لذةٌ ورخاء
مراراً تريك الغى رشدا وتارةً * تخيّل ان المحسنين أساؤا
وأن الصديق الماحض الود مبغضٌ * وان مديح المــادحين هجاء
وجربت اخوان النبيذ فقلمــا * يدوم لاخوان النبيذ اخاء

حيل الطفيليين

عوتب طفيلي على التطفيل فقال: والله ما بنيت المنازل الا لتُدخل ، ولا نصبت الموائد الا لتؤكل ، وانى لاجمع فيها خلالا ؛ ادخل مجالسا ؛ واقعدمؤانسا وأنبسط وان كان رب الدار عابسا ؛ ولا أتكلف مغرما ؛ ولا أنفق درهمــا ؛

ولا أتعب خادما — وقال أبو دراج الطفيلي لأصحابه : لا يهولنكم اغلاق الباب ، ولا شدة الحجاب ، وسوء الجواب ، وعبوس البواب ، ولا تحذير الغراب ، ولا منابذة الألقاب ، فان ذلك صائر بكم الى محمود النوال ، ومغن لكم عن ذل السؤال ، واحتملوا اللكزة الموهنة ، واللطمة المزمنة ، فى جلب الظفر بالبغية ، والدرك للأمنية ، والزموا المطارحة للمعاشرين ، والخفة للواردين والصادرين ، والتملق للملهين ، والبشاشة للمطربين ، فاذا وصلتم الى مرادكم فكلوا محتكرين ، وادخروا لغدكم مجتهدين ، فانكم أحق بالطعام ممن دعى اليه ، وأولى به ممن وُضع له ، وكونوا لوقتـه حافظين ، وفى طلبه مشمرين ، واذكروا قول أبى نواس :

ليخمس مال الله من كل فاجر * وذى بطنة للطيبات أكولِ

شعر أبى نواس

هذا يقوله أبو نواس فى أبيات يستندر كلها ، ويستظرف جلها ، وهى :

وخيمةِ ناطور برأسِ منيفـةٍ * تهمّ يدا من رامها بدليـلِ
اذا عارضتها الشمس فاءت ظلالها * وان واجهتهـا آذنت بدخولِ
حططنا بها الاثقال قبل هجيرةٍ * عبورية تذكى بغير فتيل
تأنّت قليـلا ثم فاءت بمذقةٍ * من الظل فى رث الاناء ضئيل
كأن لديها بين عطفى نعامةٍ * جفا زورها عن منزل ومقيل
حلبت لأصحابى بهادرة الصبا * بصفراء من ماء الكروم شمول
اذا ما أتت دون اللهاة من الفتى * دعا همهُ من صدره برحيل
فلما توافى الليل جنحا من الدجى * تصابيت واستجملت غير جميل
وأعطيت من أهوى الحديث كما بدا * وذللت صعبا كان غيـر ذلول
يغطى اذا وسدت يسراى خدهُ * ألا ربما طالبت غير مُنيلِ

فأنزلت حاجاتى بحقوىْ مساعدٍ * وان كان أدنى صاحب وخليل
فأصبحت أحلى السكر والسكر محسن * ألا رب احسان عليك ثقيل
كفى حزناً ان الجواد مقتّر * عليه ولا معروف عند بخيل
سأبغى الغنى اما وزير خليفة * يقوم سواء أو مخيف سبيل
بكل فتى لا يستطار فؤاده * اذا نوه الزحفان باسم قتيل
ليخمس مال الله من كل فاجرٍ * وذى بطنة للطيبات أكول
ألم تر أن المال عون على التقى * وليس جواد معدم كبخيل

صفات الأكلة والطفيليين

ألفاظ لأهل العصر فى صفة الطفيليين والأكلة وغيرهم

شيطان معدته رجيم ، وسلطانها ظلوم — هو آكلُ من النار ، وأشربُ من الرمل ، لو أكل الفيل ما كفاه ، ولو شرب النيل ما أرواه ، يجوب البلاد ، حتى يقع على جفنة جواد ، يرى ركوب البريد ، فى حصول الثريد ، أصابعه ألزم للشواء ، من سفود الشواء ، وأنامله كالشبكة ، فى صيد السمكة ، هو أجوع من ذيب معنس بين أعاريب — العيون قد تقلبت ، والأكباد قد تلهبت ، والأفواه قد تحلبت — امتدت الى الخوان الأعناق ، وتحلبت له الاشداق

وصف طائر

سأل المهدى صباح بن خاقان عن طائر له جاء من آفاق الغابة فقال : يا أمير المؤمنين لو لم يبن بحسن الصورة لبان بحسن الصفة ، قال صفه لى قال نعم يا أمير المؤمنين ، قُدَّ قد الجلم ، وقوّم تقويم القلم ، ينظر من جمرتين ، ويلفظ بدرتين ، ويمشى على عقيقتين ، تكفيه الحبة ، وترويه الغبة ، ان كان فى قفص فلقه ، أو تحت ثوب خرقه ، اذا أقبل فديناه ، واذا أدبر حميناه

لوعة الوجد

دخل عبد الله بن مصعب الزبيرى على المهدى ، فقال ويحك يازبيرى دخلت على الخيزران فلما قامت لتصلح من شأنها نظرت الى حسنة! فقلت يا أمير المؤمنين أدركك فى ذلك ما أدرك المخزومى حيث قال

بينما نحن بالبلاكث فالقا * ع سراعا والعيس تهوى هُوِيّا
خطرت خطرة على القلب من ذكـــــراك وهنا فما استطعت مضيا
قلت لبيك اذ دعانى لك الشو * ق وللحاديين حُثّا المطيا

فأمر فرفعت الستور عن حسنة. ثم قال لى يا زبيرى واسوأتاه من الخيزران! ثم انثنى راجعاً اليها فقلت يا أمير المؤمنين أدركك فى هذا ما أدرك جميلا حيث يقول (١)

وانت التى حبّبت شغباً الى بدا * الىّ واوطانى بلاد سواهما
حللت بهذا حلة ثم حلة * بهذا فطاب الواديان كلاهما

فدخل على الخيزران فما لبث أن خرج ، قال الزبيرى فلما دخلت عليه قال انشدنى فأنشدته لصخر بن الجعد

هنيئاً لكأس جذها الحبل بعدما * عقدنا لكأس موثقاً لا نخونها (٢)
وإشماتها الاعداء لما تألبوا * حوالىّ واشتدت علىّ ضغونها
فان تصبحى وكلت عينىّ بالبكا * وأشمت أعدائى فقرت عيونها
فان حراما أن أخونك ما دعا * ببلبل قمرى الحمام وجونها
وما طرد الليل النهار وما دعت * على فنن ورقاء شاك رنينها

فأمر له على كل بيت بألف دينار ، وكانت الخيزران وحسنة أحظى النساء عند المهدى

---

(١) نسب ابو تمام هذه الابيات الى كثير (٢) الجذ القطع

وصف غلام

وصف اليوسفي غلاما فقال: كان يعرف المراد باللحظ ، كما يعرفه باللفظ ، ويعاين في الناظر ، ما يحوى الخاطر ، أقرب الى داعيه ، من يد متعاطيه ، حديد الذهن ثاقب الفهم ، خفيف الجسم ، يغنيك عن الملامة ، ولا يحوجك الى الاستزادة .

وقال أبو نواس

ومنتظرٍ رَجْعَ الحديث بطرفهِ * اذا ما انثنى من لينه فضح الغصنا
اذا جعل اللحظ الخفى كلامهُ * جعلت له عينى لتفهمه أذنا

(غيره)[1]

وانى لطرف العين بالعين زاجرٌ * فقد كدت لا يخفى علىّ ضميرُ[2]

وقد طرق هذا المعنى وان لم يكن منه من قال :

بلوت اخلاء هذا الزمان * فأقللت بالهجر منهم نصيبى
وكلهمُ ان تصفحتهم * صديق العِيان عدو المغيب
تفقدْ تساقُط لحظ المريب * فان العيون وجوه القلوب

وهو كقول المهدى

ومطلع من نفسه ما يسرهُ * عليه من اللحظ الخفى دليلُ
اذا القلب لم يبد الذى فى ضميرهِ * ففى اللحظ والالفاظ منه رسول

خالد بن صفوان

ودخل خالد بن صفوان على على بن الجهم بن أبى حذيفة فألفاه يريد الركوب فقربوا اليه حماراً ليركبه ، فقال خالد أما علمت أن العير عار ، والحمار شنار ، منكر الصوت ، قبيح الفوت ، مرتج فى الضحل ، مرتطم فى الوحل ، ليس يركبه فحل ولا يمتطيه رحل ، راكبه مقرف ، ومسايره متشرف ؟ فاستوحش ابن أبى حذيفة

---

(١) هو أيضاً أبو نواس (٢) الزجر : العيافة والتكهن

من ركوبه ونزل عنه ، وركب فرسا ودفع الحمار الى خالد فركبه ، فقال له ويحك ياخالد! أتنهى عن شيء وتأتيه ؟ فقال أصلحك الله عير من بنات الكربال ، واضح السربال ، محكم القوائم ، يحمل الرجل ، ويبلغ العقبة ، ويمنعني أن أكون جباراً عنيداً ، ان لم اعترف بمكانى فقد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين

عزة النفس

قال ابن داب خرجت مع بعض الأمراء فى سفر الى الشام فمر بي رجل كنت أعرفه حسن الحال من أصحاب الاموال الظاهرة فى حال رثة ، فسلم عليّ فقلت ما الذى غير حالك ؟ فقال تنقل الزمان ، وكر الحدثان ، فآثرت الضرب فى البلدان والبعد عن المعارف والخلان ، وقد كان الأمير الذى أنت معه صديقا لى ، فاخترت البعد من الاشكال ، حين خصنى الاقلال ، واستعملت قول الشاعر

سأعمل نص العيس حتى يكفنى * غنى المال يوماً أو غنى الحدثانِ
فللموت خير من حياة يُرى لها * على المرء ذى العلياء مس هوان
متى يتكلم يُلغ حكم كلامهِ * وان لم يقل قالوا عديم بيان
وان الغنى فى أهله يرزق الغنى * بغير لسان ناطق بلسان

قال ابن داب فلما اجتمعت مع الامير فى المنزل وصفت له الرجل ، فقال لى ويحك اطلبه حتى أصلح من حاله ، فطلبته فأعوزنى

رثاء قتيل

وقال أبو الشيص يرثى قتيلا :

ختلته المنون بعد اختيالِ * بين صفين من قناً ونصالِ
فى رداءٍ من الصفيح ثقيل * وقميص من الحديد مُذالِ

حارثة بن بدر

وقال حارثة بن بدر الفزارى يرثى زيادا

صلى الاله على قبر وشهّرهُ * عنـد الثوية يسفى فوقه المورُ
تهدى اليه قريش نعش سيدها * فثمّ حل الندى والعز والخير
أبا المغيرة والدنيا مفجِعة * وان من غرت الدنيا لمغرور
قد كان عندك للمعروف عارفةٌ * وكان عندك للنكران تنكير
وكنت تُغشى فتعطى المال فى سعة * فالآن بابك امسى وهو مهجور
ولا تلين اذا عوشرت معتسراً * وكان أمرك ماسويت ميسور
لم يعرف الناس مذ غيبت فتيتهم * ولم يجلّ ظلاما عنهمُ نور
فالناس بعدك قد خفت حلومهمُ * كأنما نفخت فيها الأعاصير

أخذ هذا البيت من قول مهلهل بن ربيعة فى أخيه كليب ، وكان اذا انتدى لم يحل حبوته ، ولم يستطع أحد أن يتكلم الا مجيبا له ، اجلالا ومهابة

أنبئت أن النار بعدك أوقدت * واستبّ بعدك يا كليب المجلس
وتنازعوا فى أمر كل عظيمة * لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

وكان حارثة ذا بيان وجهارة ، وكان شاعرا عالما بالاخبار والالقاب ، وكان قد غلب على زياد ، وكان منهوما فى الشراب ، فعوتب زياد فى الاستئثار به فقال : كيف أطرح رجلا يسايرنى مذ دخلت العراق ، ولم يصطك ركابه بركابى ، ولا تقدمنى فنظرت الى قفاه ، ولا تأخرنى فلويت عنقى اليه ، ولا أخذ علىّ الشمس فى الشتاء ، ولا الريح فى الصيف ، ولا سألته عن باب فى العلم الا ظننت أنه لا يحسن غيره. وقال له زياد من أخطب أنا أم أنت ؟ فقال الأمير أخطب اذا توعّد او وعد ، وبرق ورعد ، وأنا أخطب فى الوفادة ، والثناء ، والتحبير ، وأنا اكذب اذا خطبت ، واحشو كلامى بزيادات شهية ، والأمير يقصد الى الحق ، وميزان العدل ، ولا يزيد فى كلامه ، ولا ينقص منه. فقال له زياد لقد أجدت تخليص

صفتى وصفتك. ولما مات زياد جفاه عبيدالله فقال ان أبا المغيرة بلغ مبلغا لا يلحقه عيب وأنا أنسب الى ما يغلب عليّ وأنت نديم الشراب ، وأنا حديث السن ، فتى قربتك فظهرت منك رائحة الشراب لم آمن ان يُظن بى فدع الشراب وكن أول داخل وآخر خارج ، فقال له حارثة أنا لا أدعه ما ملك ضرى ونفعى، ولا أدعه للحال عندك ، ولـكن اصرفنى الى بعض اعمالك ، فولاه شرق بلاد الاهواز ، وقال أبو الاسود الدؤلى وكان صديقا لحارثة

أحارِ بن بدر قد وليت ولايةً * فكن جرذاً فيها تخون وتسرقُ
ولا تدعنْ للناس شيأ أصبتهُ * فحظك من ملك العراقين مشرق
فما الناس الا قائل فمكذب * يقول بما يهوى وأنت مصدق
يقولون اقوالا بظن وتهمةٍ * فان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

فقال له حارثة

جزاك إله العرش خير جزائهِ * فقد قلت معروفاً وأوصيت كافيا
أمرت بشئ لو أمرت بغيرهِ * لألفيتنى فيـه لأمرك عاصيا

وصف امرأة

قال الأصمعى سمعت امرأة من العرب تصف امرأة وهى تقول : سطعاء بضة ، بيضاء غضة ، وذماء رخصة ، قباء طفله ، تنظر بعينى شادن ظمآن ، وتبسم عن منثور الاقحوان ، فى غب التهتان ، بأساريع الكثبان ، خلقها عميم ، وكلامها رخيم ، فهى كما قال الشاعر :

كأنها فى القُمُص الرقاق * مخة ساق بين كفىْ ساقِ
أعجلها الشارى عن احتراقِ

ووصف اعرابى امرأة يحبها فقال : هى زينة الحضور ، وباب من أبواب السرور ، ولذكرها فى المغيب ، والبعد من الرقيب ، أشهى الينا من كل ولد ونسيب ، بها عرف فضل الحور العين ، واشتيق بها اليهن يوم الدين

كلام الاعراب

وسئل اعرابى عن سفر أكدى فيه فقال : ماغنمنا الا ماقصرنا فى صلاتنا فأما ما أكلته الهواجر ، ولقيته منا الا باعر ، فأمر استخففناه ، لما أملناه

حاتم الطائى

وقال عبد قيس بن خفاف البرجمى لحاتم الطائى وقد ورد عليه فى دماء حملها قام عن بعضها ، وعجز عن بعض ، انى حملت دماء عوّلت فيها على مالى وآمالى ، فأما مالى فقدمته ، وكنت أكبر آمالى ، فان تحملها فكم من حق قضيت ، وغم كفيت ، وان حال دون ذلك حائل لم أذم يومك ، ولم آيس من غدك

تكاليف الحياة

قيل لاعرابى لم لا تضرب فى الارض ؟ فقال يمنعنى من ذلك طفل بارك ، ولص سافك ، ثم انى لست بعد ذلك واثقا بنجح طلبتى ، ولا معتقدا قضاء حاجتى ، ولا راجيا عطف قرابتى ، لأنى أقدم على قوم أطغاهم الشيطان ، واستمالهم السلطان ، وساعدهم الزمان ، وأسكرتهم حداثة الاسنان

تظلم أعرابية

خرج المهدى بعد هدأة من الليل يطوف بالبيت فسمع اعرابية من جانب المسجد تقول : قوم متظلمون ، نبت عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ، وعضتهم السنون ، باد رجالهم ، وذهب مالهم ، وكثر عيالهم ، ابناء سبيل ، وانضاء طريق وصية الله ، ووصية رسول الله ، فهل آمرٌ بخير ، كلأه الله فى سفره ، وخلفه فى أهله ؟ فأمر نصراً الخادم فدفع لها خمسمائة درهم

المقامة الازاذية

ومن انشاء البديع فى مقامات أبى الفتح الاسكندرى حدثنى عيسى بن هشام قال: كنت ببغداذ ، فى وقت الازاذ [1] فخرجت الى السوق أعتام من أنواعه [2] لا بتياعه ، فسرت غير بعيد الى رجل قد أخذ أنواع الفواكه وصففها ، وجمع أنواع الرطب وصنفها، فقبضت من كل شىء أحسنه ، وقرضت من كل نوع أجوده وحين جمعت حواشى الازار ، على تلك الأوزار ، أخذت عيناى رجلا قد لف رأسه حياء ، ونصب جسده ، وبسط يده ، واحتضن عياله ، وتأبط أطفاله ، وهو يقول بصوت يدفع الضعف فى صدره ، والحرض فى ظهره

ويلى على كفين من سَوِيقِ [3] * أوشحمة تضرب بالدقيق [4]

أو قصعة تُملأ من خِرديق [5] * تفثأ عنا سطوات الريق [6]

تقيمنا عن منهج الطريق * يا رزاق الثروة بعد الضيق

سهّل على كف فتى لبيق [7] * ذى حسب فى مجده عتيق

يهدى الينا قدم التوفيق * ينقذ عيشى من يد الترنيق

قال عيسى بن هشام فأخذت من فاضل الكيس اخذةً وأنلته إياها فقال :

يا من حبانى بجميـــل برهْ * أفضى الى الله بحسن سره

واستحفظ الله جميل ستره * ان كان لا طاقة لى بشكره

فالله ربى من وراء أجـــره

قال عيسى بن هشام فقلت : ان فى الكيس فضلا ، فابرز لى عن باطنك اخرج لك عن آخره ، فأماط لثامه فاذا شيخنا ابو الفتح السكندرى، فقلت ويحك اى داهية انت ؟ فقال

---

(١) الازاذ نوع من التمر (٢) اعتام : اختار (٣) السويق جريش الشعير والقمح (٤) الشحمة المضروبة بالدقيق هى العصيدة

(٥) الخرديق المرقة (٦) يفثأ : يسكن (٧) اللبيق واللبق : الحاذق

نقضّى العمر تشبيهاً * على الناس وتمويها
أرى الايام لاتبقى * على حال فأحكيها
فيوما شرها فىّ * ويوما شرتى فيها

رسائل بديع الزمان

— ١ —

وسأل البديع أبا نصر ابن المزربان عارية بعض ما يتجمل به فأمسك عن اجابته ، فأعاد الكتاب اليه بما نسخته : لاأزال أطال الله تعالى بقاء مولانا الشيخ لسوء الانتقاد ، وحسن الاعتقاد ، أمسح جبين الخجل ، وأمد يمين العجل ، ولضعف الحاسة ، فى الفراسة ، أحسب الورم شحما ، والسراب شرابا ، حتى اذا تجشمت موارده ، لأشرب بارده ، لم أجد شيئا . وما حسبت الشيخ سيدى ممن تجبنه هذه الحملة وتشمله هذه الجملة ، حتى عرضت على النار عوده ، وسبرت بالسؤال جوده ، وكاتبته أستعير حلية جمال سحابة يوم أو شطره ، بل مسا فقميل أو قدره ، فغاص فى الفطنة غوصاً عميقاً ، ونظر فى الكيس نظراً دقيقاً ، وقال هذا رجل مشحوذ المدية ، فى أبواب الكدية[1] ، قد جعل استعارة الاعلاق طريق اقتراسها ، وسبب احتباسها ، وقد منّى ضرسه ، وحدث بالمحال نفسه ، ولا أضيفه فى هذا الباب ، أحسن من التغافل عن الجواب ، فضلا عن الايجاب ، وكلا فما فى أبواب الرد أقبح مما قرع ، ولا فى شرائع البخل أوحش مما شرع ، ثم العذر له من جهتى مبسوط ان بسطه الفضل ، ومقبول ان قبله المجد ، وانما كاتبته لأعيد الحال القديمة ، وأشترط له على نفسى أن أريحه من سوم الحاجات من بعد ، فمن لم يَستحى من أعطى ، لم يُستحي له من أعفى ، وعلى حسب جوابه اجرى المودة فيما بعد ، فان رأى أن يجيب فعل ان شاء الله

(١) الكدية بضم الكاف هى الشحاذة والسؤال

— ٢ —

وله الى سهل بن محمد بن سليمان: انا اذا طويت عن خدمة مولاى أطال الله بقاءه يوماً لم أرفع له بصرى ، ولم أعده من عمرى ، وكأنى بالشيخ أعزه الله اذا أخللت بفروض خدمته ، من قصد حضرته ، والمثول فى جملة حاشيته ، وحملة غاشيته ، يقول ان هذا الجائع لما شبع وتضلع ، وا كتسى وتلفع ، وتجلل وتبرقع تربع وترفع ، فما يطوف بهذا الجناب ، ولا يظهر بهذا الباب ، وأنا الرجل الذى آواه من فقر ، واغناه من فقر ، وآمنه من خوف ، إذلا حُرٌّ بوادى عوف ، حتى اذا وردت عليه رقعتى هذه ، وأعارها طرف كرمه ، وظرف شيمه ، ونظر فى عنوانها اسمى قال بعداً وسحقاً وحتا ونحتاً ، وطعنا ولعنا ، فما أكذب سراب أخلاقه ، وأكثر أسراب نفاقه ، فالآن انحل عن عقدته . وانتبه من رقدته . وكاتبنى يستعيدنى كلا لا أزوجه الرضا ولا قلامة ، ولا أمنحه المنى ولا كرامة ، بل أدعه يركب راسه ويقاسى انفاسه ، فستأتينى به الليالى . والكيس الخالى ، ثم أريه ميزان قدره ، وأذيقه وبال أمره ، حتى اذا بلغ موضع الحاجة من الرقعة قال : مأربة لا حفاوة ، ووطر ساقه ، لانزاع شاقه ، فهذا بذا . ولا أبعد من تلك الهمم العالية ، والاخلاق السامية أن يقول مرحبا بالرقعة وكاتبها ، وأهلا بالمخاطبة وصاحبها ، وقضاء الحاجة بانجاحها ، وابرازها ، وهى الرقعة التى سالت الى من التمسته كما اقترحته بما طالبته ، فرأيه فيه موفق ان شاء الله تعالى

— ٣ —

وله أيضا الى بعض الرؤساء يسأله اطلاق محبوس: الشيخ أطال الله بقاءه اذا وصل يدى بيده لم ألمس الجوزاء الا قاعداً ، وقد ناطها منة فى عنق الدهر . وصاغها اكليلا لجبين الشكر . وما اقصر يدى عن الجزاء . ولسانى عن الثناء . وهذا الجاهل قد عرف نفسه، وقلع ضرسه. ورأى ميزان قدره . وذاق وبال أمره . وجهز الى كتيبة

عجائز فاجرات . فأطلقن العويل والاليل ، وبعثنني شفيعاً الى . واستعن بى على ، وتوسلن بكلمة الاستسلام . ولحمة الاسلام . فى فك هذا الغلام ، فان أحب الشيخ أن يجمع فى الطول بين الحوض والكوثر . وينظم فى الفضل مابين الروض والمطر . شفع فى اطلاقه مكارمه . وشرف بذلك خادمه . وأنجز نا بالافراج عنه . موفقاً ان شاء الله تعالى

عفو المأمون

وقال رجل لابراهيم بن المهدى اشفع لى الى أمير المؤمنين فى فك أخى من حبسه ، وكان محبوسا فى عداد العصاة ، فقال للمأمون ليس للعاصى بعد القدرة عليه ذنب ، وليس للعاتب بعد ذلك عليه عذر ، فقال صدقت فما طلبتك ؟ قال فلان هبه لى قال هو لك

وسأل أبو عبادة أحمد بن أبى خالد أن يطلق له أسارى ففعل ، فقال فككتنا أسرك ، فقال: لافكّ الله رقاب الأحرار من أياديك!

التهنئة بالاطلاق من الاسر

ألفاظ لأهل العصر فى التهنئة بالاطلاق من الأسر . الحمد لله حمد الاخلاص ، على حسن الخلاص ، الذى أفضى بك من ذلة رق ، الى عزة عتق ، ومن تصلية جحيم ، الى جنة نعيم — خرج من العقال ، خروج السيف من الصقال — خرج من إساره ، خروج البدر من سراره — الحمد لله الذى فك أسراً ، وجعل من بعد العسر يسراً — خرج من البلاء ، خروج السيف من الجلاء — قد جعل الله لك من مضايق الأمور مخرجا نجيحاً ، ومن مغالق الاهوال مسرحاً فسيحاً

مدح أبى نواس للامين

مدح أبو نواس الامين محمداً فى خلافته بقصيدته التى يقول فيها

أقول والعيس تعرَوْرى الفلاة بنا * صفر الازمة من مثنى ووحدانِ

يا ناق لا تسأمى أو تبلغى ملكا * تقبيل راحته والركن سيان

مقابلا بين أملاك تفضله * ولادتان من المنصور ثنتان

متى تحطى اليه الرجل سالمةً * تستجمع الخلق فى تمثال انسان

قال هذا لان محمدا ولده المنصور مرتين من قِبَل أن أباه هرون الرشيد بن المهدى محمد بن أبى جعفر المنصور ، ومن قِبل ان أمه أمة العزيز بنت جعفر بن المنصور وكان المنصور دخل عليها وهى طفلة تلعب ، فقال ما أنت الا زبيدة ، فغلب عليها هذا اللقب ، ولم يل الخلافة من أبواه هاشميان غير على بن أبى طالب وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وابنه الحسن وأمه فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم والامين محمد بن الرشيد

رجع القول فلما أنشده القصيدة قال ما ينبغى ان يسمع مدحك بعد قولك فى الخصيب بن عبد الحميد

اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فأىّ فتى بعد الخصيب تزورُ

فتى يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم ان الدائرات تدورُ

فما فاته جود ولا حل دونهُ * ولكن يسير الجود حيث يسير

فقال يا أمير المؤمنين كل مدح فى الخصيب وغيره فمدح فيك ، لانى أقول ثم ارتجل

ملكت على طير السعادة واليُمْن * وجاءت لك العلياء مقتبل السنّ

بحيا وجود الدين تحيا مهنأ * بحسن واحسان مع اليُمْن والامن

لقد طابت الدنيا بطيب ثنائه * وزادت به الايام حسنا الى حُسْن

لقد فك أرقاب العفاة محمدٌ * وأسكن أهل الخوف فى كنف الامن

اذا نحن أثنينا عليك بصالحٍ * فأنت كما نثنى وفوق الذى نثنى

وان جرت الالفاظ يوما بمدحةٍ * لغيرك انسانا فأنت الذى نعنى

قال صدقت مدح عبدى مدح لى، ووصله وقربه ، وأما قول ابى نواس

اذا نحن أثنينا عليك بصالح

فمن قول الخنساء

فما بلغ المهدون للناس مدحةً * وان أطنبوا الا الذى فيك أفضل
وما بلغت كف امرئ متناوَلاً * من المجد الا والذى نلت أطول

الاخطل ومعاوية

وفد الاخطل على معاوية فقال: انى قد امتدحتك بابيات فاسمعها ، فقال ان كنت شبهتني بالحية ، والأسد ، والصقر ، فلا حاجة لى بها ، وان كنت كما قالت الخنساء، وأنشد البيتين، فقل . فقال الاخطل والله لقد أحسنتَ ، وقد قلت فيك بيتين ماهما بدونهما ، ثم أنشد

اذا مت مات العرف وانقطع الندى * فلم يبق الا من قليل مصرَّدِ
وردّت أكف السائلين وأمسكوا * عن الدين والدنيا بخزن مجدد

شىء من النقد

وقول أبى نواس

وان جرت الالفاظ يوما بمدحة

من قول كثير فى عبد العزيز بن مروان

متى ما أقل فى سالف الدهر مدحةً * فما هى إلا لابن ليلى المعظمِ

وقال الفرزدق

وما أمرتنى النفس فى رحلة لها * الى أحد إلا إليك ضميرها

ولما أنشد أبو تمام احمد بن أبى دُوَاد قصيدته

سقى عهدَ الحمى صوبُ العِهاد

وانتهى الى قوله

وما سافرتُ فى الآفاق الا * ومن جدواك راحلتى وزادى

مُقيم الظن عندك والامانى * وان قلِقت ركابى فى البلاد

قال له ابن أبى دُواد [1] وهذا المعنى لك أو أخذته ؟ قال هو لى . وقد ألممت فيه بقول أبى نواس

وان جرت الالفاظ يوما بمدحةٍ * لغيرك انسانا فانت الذى نعنى

فاخذه المتنبى فقال

أشرت أبا الحسين بمدح قومٍ * نزلت بهم فرحت بغير زادِ

وظنونى مدحتهم قديماً * وأنت بما مدحتهمُ مرادى

وأما قول أبى تمام وما سافرت فى الآفاق البيت فمن قول المثقف العبدى

الى عمرو بن حمدانٍ أبينى * أخى النجدات والمجد الرصين

وأما قول أبى نواس

فما فاته جود ولا حلّ دونهُ

البيت ، فمن قول الشمردل بن شريك

ما قصّر المجد عنكم يابنى حسن * ولا تجاوزكم ياآل مسعودِ

يحل حيث حللتم لايريمكمُ * ما عاقبَ الدهر بين البيض والسود

إن تشهدوا يوجد المعروف عندكمُ * خِدناً وليس اذا غبتم بموجود

وقد قال الكميت بن زيد الاسدى

يسير أبان قرِيع السماح * والمكرمات معاً حيث سارا

وقول أبى نواس أيضا

فتى يشترى حسن الثناء بماله

مأخوذ من قول الراعى

فتى يشترى حسن الثناء بمالهِ * اذا ما اشترى المخزاة بالمجد ميهنُ

(١) دواد على وزن غراب ، وقد رسمت قبل ذلك (دؤاد) وهو خطأ

أبو بجيلة والسفاح

دخل أبو بجيلة على أبي العباس السفاح فاستأذنه في الإنشاد فقال: لعنك الله ألست القائل لمسلمة بن عبد الملك

أمسلمُ ياخير نجل خليفةٍ * ويافارس الهيجاوياجبل الأرضِ
شكرتك ان الشكر حبل من التقى * وما كل من أوليته نعمةً يقضي
وألقيتَ لما أن أتيتك زائراً * عليّ لحافا سابغ الطول والعرض
ونبهتَ من ذكري وما كان خاملاً * ولكنّ بعض الذكر أنبهُ من بعض

ثم أمره بأن ينشد فأنشده أرجوزة يقول فيها:

كنا أناساً نرهب الهلاكا * ونركب الأعجاز والأوراكا
وكل ما قد مرّ في سواكا * زورٌ وقد كفَّر هذا ذاكا

واسم أبي بجيلة الجنيد بن الجون وهو مولى لبني حماد وكان مقصداً راجزاً

لباقة الخنساء

قيل للخنساء لئن مدحت أخاك فقد هجوت أباك. فقالت

جارى أباه فأقبلا وهما * يتعاوران مُلاءمة الحُضْرِ
حتى اذا جد الجراء وقد * ساوى هناك القدر بالقدر
وعلا صياح الناس ايهما * قال المجيب هناك لا أدري
برقت صحيفة وجه والدهِ * ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يساويهُ * لولا جلال السن والكبر
وهما كأنهما وقد برزا * صقران قد حطّا الى وكر

وقيل لأبي عبيدة ليس هذا مجموعا في شعر الخنساء فقال: العامة أسقط من ان يجاد عليها بمثل هذا

شعر البحترى

وقد أحسن البحترى فى نحو هـذا اذ يقول فى يوسف بن أبى سعيد بن يوسف الطائى

جدٌ كجد أبى سعيد انهُ * ترك السماك كانه لم يسرفِ
قاسمته أخلاقه وهى الردى * للمعتدى وهى الندى للمعتفى
واذا جرى فى غاية وجريت فى * أخرى التقى شاؤا كما فى المصنف

عود الى النقد

قول الخنساء

يتعاوران ملاءة الحضر

ابدع استعارة ، وابلغ عبارة ، وقد قال عدى بن الرقاع

يتعاوران من الغبار مُلاءةً * غبراء محكمة هما نسجاها
تُطوى اذا وردا مكانا ناشزاً * واذا السنابك أسهلت نشراها

والى هذا أشار الطائى فى قوله :

تثير عجاجة فى كل أرضٍ * يهيم بها عدى بن الرقاعِ

وأول من نظر الى هذا المعنى شاعر جاهلى من بنى عقيل فقال

ألا يا ديار الحى بالسبعان * عفت حججاً بعدى وهن ثمانِ
فلم يبق منها غير نُؤْىٍ مهدّم * وغير أثاف كالركىّ رهانِ
وآيات آب أورق اللون سافرت * به الريح والامطار كل مكان
قِفارٌ مُرورات بها طرق القطا * ويمشى بها الجامان يعتركان
يثيران من نسج الغبار عليهما * قميصين اسمالاً ويرتديان

أشعارهن

ومن مستحسن رثاء ليلى والخنساء وغيرهما من النساء قال أبو العباس أحمد ابن يحيى النحوى أنشد أبو السائب المخزومى قول الخنساء

وان صخراً لمولانا وسيدنا * وان صخراً اذا نشتو لنحّارُ
وان صخراً لتأتم الهداةُ بهِ * كأنه علمٌ فى رأسه نار

فقال الطلاق لى لازم ان لم تكن قالت هذا وهى تتبختر فى مشيها ، وتنظر فى عِطفها ومن مستحسن رثاء الخنساء قولها ترثى أخاها صخراً

اذهب فلا يبعدنّك الله من رجل * منّاع ضيم وطلاّبٍ لأوتارِ
قد كنت فينا مريحاً غير مؤتنب * مركباً فى نصاب غير خوّار
فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة * وما أضاءت نجوم الليل للسارى
أبكى فتى الحى نالته منيتهُ * وكل نفس الى وقت بمقدار

وقولها :

شهّاد أنجيةٍ شدّاد أوهيةٍ * قطّاع أودية للوتر طلابا
سم العداة وفكّاك العناة اذا * لاقى الوغى لم يكن للموت هيابا
يهدى الرعيل اذا ضاق السبيل بهم * مهدى التليل لزرق السمر ركّابا

والخنساء اسمها تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رباح بن امرئ القيس بن نهية وتكنى أم عمرو ، ومصداق ذلك قول أخيها

أرى أم عمرو لا تمل عيادتى * وملت سليمى مضجعى ومكانى (١)

سليمى امرأته وانما لقبت الخنساء كناية عن الظبية ، وكذلك الذلفاء ، والذلف قصر فى الأنف ، وانما يريدون به أيضاً انه من صفات الظباء ، وهى

(١) لهذا البيت قصة محزنة تجدها فى (غدر الغوانى) من كتاب «مدامع العشاق»

أشعر نساء العرب عند كثير من الرواة ، وكان الأصمعى يقدم ليلى الأخيلية ، وهى ليلى بنت عبد الله بن كعب بن ذى الرحالة بن معاوية بن عبادة بن عقيل ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وقيل لها الأخيلية لقول جدها كعب:

نحن الأخايل مايزال غلامنا * حتى يدب على العصا مذكورا

قال أبو زيد : ليلى أكثر تصرفا ، واغزر بحراً ، وأقوى لفظاً ، والخنساء اذهب عموداً فى الرثاء ، قال المبرد كانت الخنساء وليلى الأخيلية فى أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول ، وقلما رأيت امرأة تتقدم فى صناعة ، وان قل ذلك ، فالجملة ما قال الله تعالى « أو من يُنشأ فى الحِلية وهو فى الخصام غير مبين » قال ومن أحسن المراثى ما خلط فيه مدح بتفجيع على المرثى ، فاذا وقع ذلك بكلام صحيح ، ولهجة معربة ، ونظام غير متفاوت ، فهو الغاية من كلام المخلوقين ، واعلم ان من أجل الكلام قول الخنساء

ياصخر ورّاد ماء قد تواردهُ * أهل المياه فما فى ورده عارُ
مَشْيَ السبنتى الى هيجاء معضلةٍ * لها سلاحان أنيابٌ وأظفارُ
وما عجول على بوٍّ تطيف بهِ * لها حنينان اعلان واسرار
ترتاح فى غفلة حتى اذا ذكرت * فانما هى اقبال وادبار
يوماً بأوجع منى حين فارقنى * صخرٌ وللعيش إحلاءٌ وإمرار
لم تَرْأَهُ جارة يمشى بساحتها * لريبة حين يخلى بيته الجار

قال ومن كامل قولها

فلولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل أخى ولكن * أسلى النفس عنه بالتأسى
يذكرنى طلوع الشمس صخراً * واذكره لكل غروب شمس

يعنى انها تذكره أول النهار للغارة ، وآخره للأضياف

كلمة لابن الرومى

وقد قال ابن الرومى فيما يتعلق بطرف من هذا المعنى

رأيت الدهر يجرح ثم يأسو * ويوسى ثم يعرض أو ينسّى

أبت نفسى الهلاع لرزء شئ * كفى شجواً النفسى رُزء نفسى

أتهلع وحشة لفراق إلف * وقد وطنتها لحلول رمسى

وقد أنكر على من تعلل بالتأسى بما قال عنترة فقال فى ذلك

خليلىّ قد علّمانىَ بالأُسى * فانعمتما لو أننى أتعللُ

وللناس آثارى والاقفا الأسى * وعيشكما الاضلال مضللُ

ومار احة المرزوء فى رزء غيره * أيحمل عنه بعض مايتحمل

كلاحا ملىّ عبء الرزية مثقلٌ * وليس معيناً مثقلَ الظهر مثقل

وضرب من الظلم الخفى مكانه * تعزّيك بالمرزوء حين تأمّل

لانك يأسوك الذى هو كلّهُ * بلاضر ولو أن جورك يعدل

عود الى شعر الخنساء

وقالت الخنساء

وقائلة والنفس قد قات حظوها * لتدركه يالهف نفسى على صخرِ

ألا ثكلت أم الذين غدوا بهِ * الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وماذا يوارى القبر تحت ترابهِ * من الجود يابؤس الحوادث والدهر

فشأن المنايا اذ أصابك ريبها * لتغدو عن الفتيان بعدك أو تسرى

وهذا المعنى كثير قد مرت منه قطعة جيدة، ولم تزل الخنساء تبكى على اخويها صخر ومعاوية ، حتى أدركت الاسلام ، فأقبل بها بنو عمها وهى عجوز كبيرة الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقالوا : يا أمير المؤمنين! هذه الخنساء ، وقد قرحت آماقها من البكاء فى الجاهلية والاسلام ، فلو نهيتها لرجونا أن تنتهى

فقال لها عمر رضى الله عنه : اتقى الله وأيقنى بالموت ، قالت أبكى أبى ، وخير بنى مضر صخرا ومعاوية ، وانى لموقنة بالموت ، قال أتبكين عليهم وقد صاروا جمرة فى النار ؟ قالت : ذلك أشد لبكائى عليهم ! فرقّ لها عمر وقال :

خلوا عن عجوزكم لا أبالكم

وكل امرىء يبكين شجوهُ * ونام الخلى عن بكاء الشجى

ابنا عمرو بن الشريد

وكان عمرو بن الشريد يأخذ بيد ابنيه معاوية وصخر فى الموسم ، ويقول: أناأبو خيرى مضر ، فمن أنكر فليغير، فلا يغير ذلك عليه أحد ، وكان يقول من أتى بمثلها أخوين من قبيل فله حكمه ، فتقر له العرب بذلك ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : أنا ابن الفواطم من قريش ، والعواتك من سليم ، وفى سُليم شرف كثير ، وكان يقال لمعاوية فارس الجون ، والجون من الاضداد ، يقال للاسود والابيض ، وقتلته بنو مرة ، قتله هاشم بن حرملة فطلبه دريد بن الصمة حتى قتله ، وأما صخر فغزا أسد بن خزيمة فأصاب فيهم وطعنه ثور بن ربيعة الاسدى فدخل جوفه حلق من الدرع فاندمل عليه فنتأت قطعة من جنبه مثل اليد فمرض لها حولا ثم أشير عليه بقطعها فأحموا له حديدة ثم قطعوها فما عاش إلا قليلا

شعر ليلى الأخيلية

ومن جيد شعر الاخيلية ترثى توبة ابن حمير الخفاجى وكان لها محباً وله فيها شعر كثير وقتله بنو عوف بن عقيل قتله عبد الله بن سالم

نظرت وركنٌ من عماية دوننا * وان كان جسم أى نظرة ناظرِ

فأنسيت خيلا بالرواق معيرةً * سوابقها مثل القطا المتواتر

فان تكن القتلى بَواءً فانكم * فتى ما قتلتم ابن عوف بن عامر

فلا يبعدنك الله يا توب انما * لقاء المنايا دارعا مثل حاسر
أتته المنايا بين درع حصينةٍ * وأسمرَ خطيٍّ وأجردَ ضامر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * قلائص تفحصن الحصى بالكراكر
ولم يدع يوماً للحفاظ وللنهى * وللحرب ترمى نارها بالشرائر
وللبازل الكوماء يرغو خوارها * وللخيل تعدو بالكماة المساعر
فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى * لقدر عيالا دون جار مجاور
فتى كان أحيا من فتاة حييةٍ * وأشجع من ليث بخفان خادر
فتى لا تراه الناب إلفا لسقيها * اذا اختلجت بالناس إحدى الكبائر
وكنت اذا مولاه خاف ظلامةً * أتاك فلم يقنع سواك بناصر
وقد كنت مرهوب السنان وبين ا ـــــ لسان ومخدام السرى غير فاتر
ولا تأخذ الكوم الجلاد سلاحها * لتوبة فى حد الشتاء الصنابر

قدومها على معاويه

وقال بعض الرواة . بينا معاوية يسير إذ رأى راكبا فقال لبعض شرطه ائتنى به وإياك أن تروعه . فأتاه فقال: أجب أمير المؤمنين فقال إياه أردت. فلما دنا الراكب حدر لثامه فاذا ليلى الأخيلية فأنشأت تقول

معاوى لم أكد آتيك تهوى * برحلى نحو ساحتك الركابُ
تجوب الارض نحوك ما تأنى * اذا ما الأُكم قنعها السراب
وكنت المرتجى وبك استعاذت * لتنعشها اذا بخل السحاب

قال فقال ما حاجتك ؟ قالت ليس مثلى يطلب الى مثلك حاجة ، فتخير أنت ! فأعطاها خمسين من الابل ، ثم قال اخبرينى عن مضر قالت فاخر بمضر ، وحارب بقيس ، وكاثر بتميم ، وناظر بأسد ، فقال ويحك ياليلى أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت يا أمير المؤمنين ليس كل الناس يقول حقا ، الناس

شجرة بغى ، يحمدون النعم حيث كانت ، وعلى من كانت ، كان يا أمير المؤمنين سَبِطَ البنان ، حديد اللسان ، شجى الاقران ، كريم المخبر ، عفيف المئزر ، جميل المنظر ، وكان كما قلت ولم أبعد عن الحق فيه

بعيد المدى لا يبلغ القرم قعرهُ * ألدّ ملدّ يغلب الحق باطله

فقال معاوية ويحك ياليلى يزعم الناس انه كان عاهرا فاجرا ، فقالت من ساعتها مرتجلة

معاذ النهى قد كان والله توبةٌ * جواداً على العلات جما نوافله

أغر خفاجيا يرى البخل سبةً * تحالف كفاه الندى وأنامله

عفيفا بعيد الهم صلبا قناتهُ * جميلا محياه قليلا غوائله

وكان اذا ما الضيف أرغى بعيرهُ * لديه أتاه نَيله وفواضله

وقد علم الجدب الذى كان ساريا * على الضيف والجيران أنك قاتله

وأنك رحب الباع ياتوب بالقرى * اذا ما لئيم القوم ضاقت منازله

يبيت قرير العين من كان جارهُ * ويضحى بخير ضيفه ومنازله

فقال لها معاوية ويحك ياليلى لقد جزت بتوبة قدره ، فقالت يا أمير المؤمنين والله لو رأيته وخبرته لعلمت انى مقصرة فى نعته ، لا أبلغ كنه ماهو له أهل ، فقال لها معاوية فى أى سن كان ؟ فقالت يا أمير المؤمنين

أتته المنايا حين تم تمامهُ * وأقصر عنه كل قرن يناضله

وصار كليث الغاب يحمى عرينهُ * فترضى به اشباله وحلائله

عطوفٌ حليمٌ حين يطلب حلمهُ * وسمٌ ذعاف لا تصاب مقاتله

فأمر لها بجائزة . وقال أى ماقلت فيه أشعر ؟ قالت يا أمير المؤمنين ما قلت شيأ الا والذى فيه من خصال الخير أكثر ، ولقد أجدت حيث أقول

جزى الله خيرا والجزاء بكفهِ * فتى من عقيل ساد غير مكلفِ

فتى كانت الدنيا تهون بأسرها * عليه فلم ينفك جم التصرف

ينال عليات الأمور بهونةٍ * اذا هي أعيت كل خرق مسوف

هو المسك بالأرى الضحا كى شبته * بدر ياقة من خمر ميسان قرقف

قدومها على مروان بن الحكم

ويقال انها دخلت على مروان ابن الحكم فقال ويحك ياليلى بالغت فى نعت توبة ، قالت اصلح الله الأمير والله ما قلت الا حقا ، ولقد قصرت وما رأيت رجلا قط كان أربط على الموت جأشا ، ولا أقل إيحاشا ، يحتدم حين يرى باب الحرب ، ويحمى الوطيس بالطعن والضرب ، كان والله كما قلت

فتى لم يزل يزداد خيرا لدُن مشى * الى أن علاه الشيب فوق المسايح

تراه اذا ما الموت حل بوردهِ * ضروبا على اقرانه بالصفائحِ

شجاع لدى الهيجاء ثَبْت مُشايح * اذا انحاز عن اقرانه كل سابح

فعاش حميدا لا ذميا فعالهُ * وَصولا لقرباه يُرى غير كالح

فقال لها مروان كيف يكون توبة على ما تقولين وكان حاربا ، « والحارب سارق الابل خاصة » فقال والله ما كان حاربا ، ولا للموت هائبا ، ولكنه كان فتى له جاهلية ، ولو طال عمره وأنسأه الموت لارعوى قلبه ، ولقضى فى حب الله نحبه ، وأقصر عن لهوه ، ولكنه كما قال عمه مسلم بن الوليد

فلله قوم غادروا إبن حمير * قتيلا صريعا للسيوف البواتر

لقد غادَرُوا جزماً وعزماً ونائلاً * وصبراً على اليوم العبوس القماطرِ

اذا هاب ورد الموت كل غضنفر * عظيم الحوايا لُبُّه غير حاضر

مضى قُدُما حتى يلاقىَ وردهُ * وجاد بسيب فى السنين الكواشر

فقال لها مروان ياليلى أعوذ بالله من درك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الاعداء ، فوالله لقد مات توبة ، وان كان من فتيان العرب ، وأشدائها ، ولكنه أدركه الشقاء فهلك على أحوال الجاهلية ، وترك لقومه عداوة ، ثم بعث الى ناس من عقيل فقال: والله لئن بلغنى عنكم أمرٌ أكرهه من جهة توبة لأصلبنكم على جذوع النخل ، إياكم ودعوى الجاهلية ، فان الله قد جاء بالاسلام ، وهدم ذلك كله

ليلى الأخيليه والحجاج

وروى أبو عبيدة عن محمد بن عمران المرزباني قال قال أبو عمرو بن العلاء الشيباني قدمت ليلى الاخيلية على الحجاج بن يوسف وعنده وجوه أصحابه وأشرافهم ، فبينا هو جالس معهم إذ أقبلت جارية فأشار اليها وأشارت اليه ، فلم تلبث ان جاءت جارية من أجمل النساء وأكملهن ، وأتمهن خَلْقًا ، وأحسنهن محاورة ، فلما دنت منه سلمت ثم قالت : أتأذن أيها الأمير قال نعم فأنشدت

أحجاج ان الله أعطاك غايةً * يقصّر عنها من أراد مداها
أحجاج لا تفلل سلاحك انما الـــمنايا بكف الله حيث يراها
اذا ورد الحجاج أرضا مريضةً * تتبّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العياء الذى بها * غلام اذا هز القناة ثناها
اذا سمع الحجاج صوت كتيبة * أعدّ لها قبل النزول قِراها
أعدّ لها مصقولة فارسيةً * بأيدى رجال يحلبون صراها

حتى أتت على آخرها فقال الحجاج لمن عنده أتعرفون من هذه ؟ قالوا ما نعرفها ، ولكن ما رأينا امرأة أطلق لسانا منها ، ولا أجمل وجها ، ولا أحسن لفظا ، فمن هى أصلح الله الامير ؟ قال هى ليلى الاخيلية صاحبة توبة بن الحمير الذى يقول فيها

ولو أن ليلى الاخيلية سلمتْ * علىّ ودونى جندلٌ وصفائحُ
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا * اليها صدًى من جانب القبر صائح

ثم قال لها ياليلى انشدينا بعض ماقاله فيك توبة فأنشدته

نأتك بليلى دارها لا نزورها * وشطت نواها واستمر مريرها
وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت * وقد رابنى منها الغداة سفورها
علىّ دماء البُدْن ان كان زوجها * يرى لىَ ذنبا غير انى أزورها
وانى اذا ما زرتها قلت يا اسلمى * فهل كان قولى يا اسلمى مايضيرها

حمامة بطن الواديين ترنمى * سقاك من الغُر الغوادى مطيرها
أبينى لنا لازال ريشك ناعماً * ولازلت فى خضراء دان بريرها
وقد تذهب الحاجات يطلبها الفتى * شَعاعاً وتخشى النفس مالا يضيرها
أيذهب ريعان الشباب ولم أزرْ * غرائر من همدان بيضا نحورها
ولو أن ليلى فى ذرى متمنّع * بنجران لالتفّت علىّ قصورها
يقر بعينى أن أرى العيس ترتمى * بنا نحو ليلى وهى تجرى صقورها
وأشرف بالغور اليفاع لعلنى * أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها
أرتنا حمام الموت ليلى وراقنا * عيون نقيات الحواشى تديرها

حتى أتت على آخرها فقال : ياليلى ما رابه من سفورك ؟ فقالت أيها الأمير ما رآنى قط الا متبرقعة ، فارسل إلىّ رسولا انه ملمٌّ بنا فنظر أهل الحى رسوله فأعدوا له وكمنوا ، ففطنت لذلك من أمرهم ، فلما جاء ألقيت برقعى وسفرت ، فأنكر ذلك فما زاد على التسليم وانصرف راجعاً ، فقال لها الحجاج لله درك فهل كانت بينكما ريبة قط ؟ قالت لا والذى أسأله صلاحك ، الا انى رأيت أنه قال قولا فظننت انه خدع لبعض الامر فقلت

وذى حاجة قلنا له لاتبح بها * فليس اليها ما حييت سبيلُ
لنا صاحب ما ينبغى أن نخونهُ * وأنت لأخرى صاحب وخليل

فما كلمنى بشىء بعد ذلك حتى فرق الموت بينى وبينه ، فقال لها حاجتك ؟ قالت أن تحملنى الى قتيبة بن مسلم على البريد الى خراسان فحملها فاستظرفها قتيبة ووصلها ، ثم رجعت فماتت بساوة ، وقبرها هناك . وروى المبرد انها لما انشدته الابيات أحجاج ان الله أعطاك الى قولها غلام اذا هز القناة ثناها . قال لها لاتقولى غلام وقولى همام ، ثم قال: أى نسائى أحب اليك أن أنزلك عندها ، قالت ومن نساؤك أيها الامير ، قال أم الجلاس بنت سعيد بن العاص الاموية ،

وهند بنت اسماء بن خارجة الفزارية ، وهند بنت المهلب بن أبى صفرة القيسية ، قالت القيسية أحب الى . فلما كان الغد دخلت اليه فقال ياغلام اعطها خمسمائة قالت أيها الامير اجعلها أدماء ، قيل انما أمر لك بشاء ، فقالت الأمير أكرم من ذلك فجعلها ابلا ادماء استحياء. وانما كان أمر لها بشاء. وأول هذا الحديث عن رجل من بنى عامر بن صعصعة يقال له ورقاء قال كنت عند الحجاج فدخل الآذن فقال : أصلح الله الامير ! بالباب امرأة تهدر كما يهدر البعير الناد ،[1] قال أدخلها فلما دخلت نسبها فانتسبت له فقال ما أتى بك ياليلى ، قالت إخلاف النجوم ، وقلة الغيوم وكَلَب البرد ، وشدة الجهد ، وكنت لنا بعد الله الرفد . قال لها اخبريني عن الارض قالت الارض مغبرة ، والفجاج مقشعرة ، وأصابتنا سنون مجحفة مظلمة لم تدع لنا هبعاً ولا ربعاً ولا عاطفة ولا ناطفة ، أهلكت الرجال ، ومزقت العيال وأفسدت الاموال . وأنشدت الابيات التى مضت آنفاً ، فالتفت الحجاج وقال هل تعرفون هذه ؟ قالوا لا قال هذه ليلى الاخيلية التى تقول

نحن الأخايل لايزال غلامنا * حتى يدب على العصا مذكورا

تبكى الرماح اذا فقدن أكفنا * حزناً وتلقانا الرفاق بحورا

وفى آخر حديثها قال لها أنشدينا بعض شعرك فأنشدته

لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى * اذا لم تصبه فى الحياة المعايرُ

ولو كان ممن أحدث الدهر غافلا * فلابد يوماً أن يُرى وهو صابر

فلا يبعدنْك الله ياتوب هالكا * لدى الحرب ان دارت عليك الدوائر

فكل جديد أو شباب الى البلى * وكل امرئٍ يوماً الى الله صائر

وكل قرينَىْ ألفة لتفرق * شتات وان ضنّا وطال التعاشر

فأقسمت أبكى بعد توبةَ هالكا * واحفل من دارت عليه المقادر

فقال الحجاج لصاحب له : اذهب بها فاقطع لسانها فدعا لها بالحجام ليقطع لسانها فقالت له ويحك انما قال لك الأمير اقطع لسانى بالعطاء ، فارجع اليه فاسأله ،

---

(١) الناد : الشرود

فساله فاستشاط غيظاً وهمّ بقطع لسانه ، فقالت أيها الأمير كاد يقطع مِقولى ؛ وأنشدته :

حجاج أنت الذى ما فوقه أحدٌ * الا الخليفة والمستغفَر الصمدُ
حجاج أنت شهاب الحرب ان نفخت * وأنت للناس نور فى الدجا يقد

العباس بن مرداس

احتذى الحجاج فى قوله اقطع قول النبي صلى الله عليه وسلم لما أعطى المؤلفة قلوبهم يوم حنين مائة من الابل ، وأعطى العباس بن مرداس أربعين فسخبها وقال

أيجعل نهبى ونهب العبيـ * ـد بين عيينة والاقرعِ
فما كان حصنٌ ولا حابسٌ * يفوقان مرادس فى المجمع
وما كنت الا امرأً منهمُ * ومن تضع اليوم لم يرفع

العبيد اسم فرسه وحصن هو أبو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر سيد فزارة وحابس أبو الأقرع بن حابس وقد تقدم نسبه فأمر النبى صلى الله عليه وسلم باحضاره وقال أنت القائل

أتجعل نهبى ونهب العبيـ * ـد بين عيينة والاقرع

وكان النبى عليه الصلاة والسلام كما قال الله عز وجل « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » فقال قم يا على فاقطع لسانه قال العباس فقلت يا على وانك لقاطع لسانى ؟ قال انى ممض فيك ما أمرت ، فمضى بى حتى أدخلنى الحظائر ، فقال اعقد ما بين الاربعين الى مائة ، قلت بأبى أنت وأمى ما أحلمكم وأعلمكم وأعدلكم وأكرمكم ؛ فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاك أربعين وجعلك من المهاجرين فخذها وان شئت فخذ مائة وكن من المؤلفة قلوبهم فقال أشر علىّ فقال انى آمرك أن تأخذ ما أعطاك فأخذها

ليلى الاخيلية عند عبد الملك بن مروان

وكانت ليلى الاخيلية قد حاجّت النابغة الجعدى وأفحمته ودخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنت فقال ما رأى توبة فيك حتى أحبك ؟ قالت رأى فىّ ما رأى الناس فيك حين ولّوك ! فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها

عود الى أشعار النساء

وقالت هند بنت أسد الضبابية

لقدمات بالبيضاء من جانب الحمى * فتى كان زينا للمواكب والشَّربِ
يلوذ به الجانى مخافة ما جنى * كما لاذت العصماء بالشاهق الصعب
تظل بنات العم والخال حولهُ * صوادىَ لا يروين بالبارد العذب

وقالت أم خالد النميرية

اذا ما أتتنا الريح من نحو أرضهِ * أتتنا برياه فطاب هبوبها
أتتنا بسك خالط المسك عنبر * وريح خزامى باكرتها جنوبها
أحن لذكراه اذا ما ذكرتهُ * وتنهل عبرات تفيض غروبها
حنين أسير نازح شُدّ قيدهُ * وإعوال نفس غاب عنها حبيبها

لوعة أم الضحاك المحاربية

أنشد أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب لام الضحاك المحاربية وكانت تحب رجلا من الضباب حباً شديداً

يا أيها الراكب الغادى لطيته * عرّج أبثك عن بعض الذى أجدُ
ما عالج الناس من وجد تضمنّهم * الا وجدت به فوق الذى أوجدوا
حسبى رضاه وانى فى مسرتهِ * ووده آخر الايام أجتهد

وقالت

هل القلب ان لاقى الضبابىّ خالياً * لدى الركن أو عند الصفا يتحرّجُ

وأزعجنا قرب الفراق وبيننا * حديث كتنفيس المريضين مزعج

حديث لو ان اللحم يشوى بحره * غريضا أتى أصحابه وهو منضج

حليمة الخضرية

وأنشد الزبير بن بكار لحليمة الخضرية وقد أنشدها المبرد لنبهان العبسى وهو أشبه

يقر لعينى أن أرى لمكانه * ذرى عقدات الاجرع المتقاود

وأن أرد الماء الذى شربت به * سليمى وان مل السرى كل واحد

وألصق أحشائى ببرد ترابه * وان كان مخلوطا بسم الاساود

الفارعة بنت شداد

وقالت الفارعة بنت شداد ترثى أخاها مسعودا

ياعين ابكى لمسعود بن شداد * بكاء ذى عبرات شجوه بادى

من لا يذاب له شحم السديف ولا * يجفو العيال اذا ماضن بالزاد

ولا يحل اذا ماحل منتبذا * يخشى الرزية بين المال والنادى

قوال محكمة نقاض مبرمة * فتاح مبهمة حباس أوراد

قتال مسغبة وثاب مرقبة * مناح مغلبة فكاك أقياد

حلال ممرعة فراج مفظعة * حمال مضلعة طلاع أنجاد

حمال ألوية شهاد أندية * شداد أوهية فراج اسداد

جماع كل خصال الخير قد علموا * زين القرين ونكال الظالم العادى

أبا زرارة لا تبعد فكل فتى * يوما رهين صفيحات وأعواد

هلا سقيتم بنى جرم أسيركم * نفسى فداؤك من ذى كربة صادى

نعم الفتى ويمين الله قد علموا * يحلو به الحى أو يغدو به الغادى
هو الفتى يحمد الجيران مشهدهُ * عند الشتاء وقد همّوا باخماد
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها * مثعنجراً بعد ما يغلى بازباد
والسابئ الزق للاضياف ان نزلوا * الى ذاره وغيث المحوج الغادى
والمحسنات من النساء كثيرء وقد تفرق لهن فى اضعاف هذا الكتاب ما اختير

مدامع العشاق

وأنشد أحمد بن يحيى ثعلب

ومستنجد بالحزن دمعاً كأنه * على الخد مما ليس يرقأ حائرُ
اذا ديمةٌ منه استقلت تهللت * أوائل أخرى ما لهن أواخرُ
ملا مقلتيه الدمع حتى كأنهُ * لما انهل من عينيه فى الماء ناظر
وينظر من بين الدموع بمقلةٍ * رمى الشوق فى انسانها فهو ساهر

وقال آخر ورُويت لقيس بن الملوح

نظرت كأنى من وراء زجاجةٍ * الى الدار من ماء الصبابة أنظرُ
فعيناى طوراً يغرقان من البكا * فأعشى وطوراً يحسران فابصر

وقال غيلان

وماسيبا خرقاء واهية الكلا * سقى بهما ساق ولما تبللا
بأضيع من عينيك للدمع كلما * توهمت ربعاً أو توسمت منزلا

وقال آخر

ومما شجانى انها يوم ودعت * تولت وماء الجفن فى العين حائرُ
فلما أعادت من بعيد بنظرةٍ * الىّ التفاتا أسلمته المحاجر

أبو عبادة البحترى

وقفنا والدموع مشعّلات * يغالب طرفها نظرٌ كليل

نهته رقبة الواشـين حتى * تعلّق لا يغيض ولا يسيل

وأنشد أبو الحسن

ومن طاعتى اياه أمطر أدمعى * الى حين تبدى من ثناياه لى رِقا

كأن دموعى تبصر الوصل جاريا * فمن أجله تجرى لتدركه سبقا

أخذ البيت الأول المتنبى فقال

يبتل خدى كلما ابتسمت * من مطرٍ بَرقهُ ثناياها

وقال أبو الشيص واسمه محمد بن عبيد الله وهو ابن عم دعبل

وقائلةٍ وقد بصُرت بدمعٍ * على الخدين منحدرٍ سَكوبِ

أتـكذب بالبكاء وأنت جَلْدٌ * قديما ما جسرت على الذنوب

قميصك والدموع تجول فيهِ * وقلبك ليس بالقلب الـكئيب

أما والله لو فتشت قلبي * لسرك بالعويل وبالنحيب

كمثل قميص يوسف حين جاؤا * عليه عشيةً بدم كذوب

دموع العاشقين اذا تلاقوا * بظهر الغيب ألسنة القلوبِ

العباس بن الاحنف

وقال بشار بن برد: ما زال فتى من بنى حنيفة يدخل نفسه فينا ويخرجها منا حتى قال

نزف البكاء دموع عينك فاستعرْ * عينا لغـيرك دمعهـا مدرار

من ذا يعـيرك عينه تبكى بها * أرأيت عينا للبكاء تعار

قال وهذا الذى عناه بشار هو أبو الفضل العباس بن طلحة بن الأحنف ابن طلحة بن هرون بن كلدة بن خزيم بن شهاب بن حنة بن كليب بن عدى ابن عبد الله بن حنيفـة وكان كما قال بعض من وصفه: كان أحسن خلق الله اذا حدث حديثا ، وأحسنهم اذا حُدث استماعا ، وأمسكهم عن ملاحاة اذا خُولف ،

وكان ملوكى المذهب ، ظاهر النعمة ، حسن الهيئة ، وكانت فيه آلات الظرف ، كان جميل الوجه ، فاره المركب ، نظيف الثوب ، حسن الالفاظ ، كثير النوادر رطب الحديث ، باقيا على الشراب ، كثير المساعدة ، كثير الاحتمال ، ولم يكن هجّاء ، ولا مدّاحا ، كان يتنزه عن ذلك ، ويشبّه من المتقدمين بعمر بن أبى ربيعة ، وسئل أبو نواس عن العباس وقد ضمهما مجلس فقال : هو أرَق من الوهم ، وأحسن من الفهم ، وكان أبو الهُذيل العلاف المعتزلى اذا ذكره لقبه ورثاه لاجل قوله

وضعت خدى لادنى من يطيف بكم * حتى احتقُرت وما مثلى بمحتقَرِ
اذا أردت سلوّا كان ناصركم * قلبى وما أنا من قلبى بمنتصر
فكثّروا أو أقلوا من ملالكم * فكل ذلك محمول على القدَرِ

وله فى معنى البيت الأوسط

قلبى الى ماضرنى داعى * يكثر أسقامى وأوجاعى
لقلما أبقى على ما أرى * يوشك أن ينعانىَ الناعى
كيف احتراسى من عدوى اذا * كان عدوى بين أضلاعى

وقيل لجارية الناطفى من أشعر الناس؟ قالت الذى يقول

وأهجركم حتى يقال لقد سلا * ولست بسالٍ عن هواكم الى الحشرِ
ولكن اذا كان المحب على الذى * يحب شفيقاً نازع الناس بالهجر

وقال

جرى السيل فاستبكانىَ السيل إذ جرى * وفاضت له من مقلتىَّ غروبُ
وما ذاك الا أن تيقنت انهُ * يمرّ بواد أنت منه قريب
يكون أجاجاً دونكم فاذا انتهى * اليكم تلقّى طيبكم فيطيب
فيا ساكنى شرقىّ دجلةَ كلكمُ * الى القلب من أجل الحبيب حبيبُ

ابن الاحنف والعتابى

وقال الصولى: ناظرَ أبو أحمد على بن أحمد المنجم رجلا يعرف بالمتفقه الموصلى فى العباس بن الأحنف والعتابى، فعمل علىَّ فى ذلك رسالة أنفذها لعلى بن عيسى لأن الكلام فى مجلسه جرى. وكان مما خاطبه به أن قال: ما أهّل نفسه قط العتابى لتقدمه على العباس فى الشعر، ولو خاطبه فى ذلك لخاطبته لدفعه وأنكره، لأنه كان عالما لا يؤتى من قلة معرفته بالشعر، ولم أر أحداً من العلماء بالشعر مثل العتابى بالعباس، فضلا عن تقديم العتابى عليه لتباينهما، وان العتابى متكلف، والعباس متدفق طبعا، وكلام هذا سهلٌ عذب، وكلام ذاك متعقد كزّ، وفى شعر هذا رقة وحلاوة، وفى شعر ذاك غلظ وجساوة، وشعر هذا فى فن واحد وهو الغزل، وأكثر فيه وأحسن، وقد افتنّ العتابى فلم يخرج فى شىء منه عما وصفناه، وإن من أحسن شعر العتابى قصيدته التى مدح بها الرشيد وأولها

يا ليلةً لىَ فى حوران ساهرةً * حتى تكلم فى الصبح العصافيرُ

وقال فيها

أفى الأماق انقباض عن جفونهما * أم فى الجفون عن الآماق تقصيرُ

وهذا البيت أخذه من قول بشار الذى أحسن فيه كل الاحسان وهو قوله

جفت عينى عن التغميض حتى * كأن جفونها عنها قصارَ

فمسخه العتابى، على ان بشاراً أخذه من قول جميل

كأن المحب لطول السهاد * قصير الجفون ولم تقصرِ

إلا أن بشارا أحسن فيه فنازعهما فيه فاساء، وان حقّ من أخذ معنى قد سُبق اليه أن يصنعه أجود من صنعة السابق اليه، أو يزيد عليه، حتى يستحقه، وأما اذا قصر عنه فهو مسئ معيب بالسرقة، مذموم على التقصير، ولقد هاجاه أبو قابوس النصرانى فغلب عليه فى كثير مما جرى بينهما على ضعف

أبى قابوس فى الشعر ، ثم قال فى هذه القصيدة

ماذا عسى مادح يثنى عليك وقد * ناداك بالوحى تقديسٌ وتطهيرُ
فتّ المادح الا أن ألسننا * مستعلنات بما تخفى التضامير

نختم البيت فيها بأثقل لفظة لو وقعت فى البحر لكدرته ، وهى صحيحة ، وما شئٌ أملك بالشعر بعد صحة المعنى من حسن صحة اللفظ ، وهذا عمل التكلف ، وسوء الطبع ، وللعباس ابن الاحنف احسان كثير لو لم يكن الا قوله

انكر الناس ساطع المسك من دجـــــلة قد أوسع المشارع طيبا
فهمو يعجبون منه وما يدرو * ن أن قد حللت منه قريبا
قاسمينى هـذا البلاء وإلا * فاجعلى لى من التعزى نصيبا
ان بعض العتاب يدعو الى العتـ * ـب ويؤذى به المحب الحبيبا
واذا ما القلوب لم تضمر العطــــف فلن يعطف العتاب القلوبا

وقوله

قالت مرضت فعُدتها فتبرمتْ * فهى الصحيحة والمريض العائدُ
تالله لو أن القلوب كقلبها * مارقّ للولد الصغير الوالد
ان كان ذنبى فى الزيارة فاعلمى * أنى على كسب الذنوب لجاهد
ألقيت بين جفون عينى فرقةً * فالى متى أنا ساهرٌ يا راقد
يقع البلاء وينقضى عن أهلهِ * وبلاء حبك كل يوم زائد
سمّاك لى ناسٌ وقالوا انها * لهى التى تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم * انى ليعجبنى المحب الجاحد

وقوله

انى وان كنت قد أسأتِ بىَ اليو * مَ لراجٍ للعطف منك غدا
أستمتع الله بالرجاء وان * لم أر منكم ما ارتجى أبدا

وله

اهدى له أحبابه أترجّةً * فبكى وأشفق من عيافة زاجرِ
متطيرا منها السقام وجسمها * لونان باطنها خلاف الظاهر

ولئن وفيّ أبو أحمد العباس حقه، لقد ظلم العتابى ما كان مستحقه من قوة نثر الكلام، وجودة وصف النظام، قال الصولى فى نسب العباس وكان من جرولة: هو العباس بن الاحنف بن الاسود بن قدامة بن هميان من بنى ذهل ابن حنيفة. وله يقول الصريع يهجوه

بنو حنيفة لا يرضى الدعىّ بهم * فاترك حنيفة واطلب غيرها نسبا
اذهب الى عرب ترضى بشبههمُ * انى أرى لك لونا يشبه العربا

وقال أبو احمد العباس

حُرٌّ دعاه الهوى سرا فلباهُ * طوراً فاضحك مولاه وأبكاهُ
فشهدت بالذى يخفى لواحظه * وعدّلتها بفيض الدمع عيناه
حاربتنى اذ رعيت الود بعدك ان * وكلت طرفى بنجم الليل يرعاه
الله يشهد انى لم أخنك هوًى * كفاك بينةً أن يشهد اللهُ

وقال

يامن يكاتمنى تغيُّر قلبهِ * سأكف نفسى قبل أن تتبرما
وأصد عنك وفى يدىّ بقيةٌ * من حبل ودك قبل أن يتصرما
ياللرجال لعاشقين توافقا * وتخاطبا من غير أن يتكلما
حتى اذا خافا العيون وأشفقا * جعلا الاشارة بالانامل سُلما

وقال

الله يعلم ما أردت بهجركم * الا مساترة العدو الكاشحِ
وعلمت أن تسترى وتباعدى * أبقى لوصلك من دنوٍّ فاضح

وقال

يهيم بجيران الجزيرة قلبهُ * وفيها غزالٌ فاتر الطرف ساحرهْ
يؤازره قلبي عليّ وليس لى * يدان بمن قلبي عليّ يؤازره

القلب والعين

وقال سهل بن هرون

أعان طرفى على قلبي وأعضائى * بنظرة وقفت جسمى على دائى
وكنت غِرًّا بما يجنى على بدنى * لاعلم لى أن بعضى بعض أعدائى

وقال الناظم

ان العيون على القلوب اذا جنت * كانت بليتها على الاجسادِ

البحترى

ولست أعجب من عصيان قلبك لى * حقاً اذا كان قلبي فيك يعصينى

قال الاصمعى سمعت الرشيد يقول : قلب العاشق عليه مع معشوقه ، فقلت هذا والله يا أمير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام لعفراء فى أبياته التى أنشدها

وانى لتعرونى لذ كراك لوعةٌ * لها بين جلدى والعظام دبيبُ
وما هو إلا أن أراها فجــاءةً * فأبهت حتى لا أكاد أجيب
وأصرف عن دائى الذى كنت أرتجى * ويقرب منى ذكره ويغيب
ويضمر قلبي عذرها ويعينها * عليّ ومالى فى الفؤاد نصيب

فقال الرشيد ان قال ذلك وهماً فانى قلته علما

حكم مأثورة

قال علي بن عبيدة الريحاني : احم ودك فانه عرضك ، وصُن الانس بك يغزر حظك ، ولا تستكثر من الطمأنينة الا بعد استحكام الثقة ، فان الانس سريرة العقل ، والطمأنينة بذلة المتحابين ، وليس لك بعدها تحفة تمنحها صاحبك ، ولا حِباء توجب به الشكر على من اصطفيت . وقال : ما أنصف من عاتب أخاه بالإعراض على ذنب كان منه ، أو هجرهُ لخلاف بما يكره عنده ، وان كان لا يعتد في سالف أيام العِشرة الا بالرضا عنه ، ومشا كلته فيما يؤنسه منه ، فان كان العاتب شكر جميع ما يستره من أخيه أولا ، فلقد تشمر الموافقة حظ الاغتفار ، وان لم يكن وفَى له بكل ما استحق منـه فليقبض ما وجب له مما لأخيه بقدر دينه الحادث ، ثم العودة الى الالفة أولى من تشتت الشمل ، وأشبه بأهل التصابي ، وأكرم في الاحدوثة عند الناس . وقال : الحياء لباس سابغ ، وحجاب واق ، وستر من المساوى ، وأخو العفاف ، وحليف الدين ، ومصاحب بالصنع ، ورقيب من العصمة ، وعين كالئة تذود عن الفساد ، وتنهى عن الفحشاء ، والادناس . وقال : لا يخلو أحد من صبوة الا أن يكون جاسي الخلقة [1] منقوص البنية ، أو على خلاف تركيب الاعتدال

فضل العشق

ورأى سعيد بن مسلم ابناً له قد شرع في رقيق الشعر وروايته ، فأنكر عليه ، فقيل له : انه قد عشق ، فقال دعوه فانه يلطُف ، وينظُف ، ويظرُف

(١) جاسي : جاف

— ٢ —

أبو الفصل أحمد بن أبى طاهر طيفور : وصف الهوى قوم وقالوا انه فضيلة ، وانه ينتج الحيلة ، ويشجّع قلب الجبان ، ويسخّى قلب البخيل ، ويصفّى ذهن الغبى ، ويطلق بالشعر لسان المفحم ، ويبعث حزم العاجز الضعيف ، وانه عزيز تذل له عزة الملوك ، وتضرع فيه صولة الشجاع ، وتنقاد له طاعة كل ممتنع ، ويذلل كل مستصعب ، ويبرز كل محجة ، وهو داعية الأدب ، وأول باب تفتق به الأذهان والفطن ، وتستخرج به دقائق المكايد والحيل ، واليه تستريح الهمم ، وتسكن توافر الأخلاق والشّيَم ، يمُتع جليسه ، ويؤنس أليفه ، وله سرور يجول فى النفس ، وفرح مستكِن فى القلب ، وبه يتعارف أهل المودة ، ويتصل أهل الألفة ، وعليه تتألف الأشكال ، وله صولات على القدر ، ومكايد تبطل لطائف الحيل ، وظرف يظهر فى الأخلاق والخلَق ، وأرواح تسطع من أهلها ، وتعبق من ذويها

— ٣ —

وقال اليمانى بن عمرو مولى ذى الرياستين : كان ذو الرياستين يبعث به وباحداث من أهله الى شيخ بخراسان ويقول : تعلموا منه الحكمة ، فكنا نأتيه واذا انصرفنا من عنده اعترضنا ذو الرياستين يسألنا عما أفادنا فنخبره ، فسرنا الى الشيخ يوماً فقال لنا : أنتم أدباء ، وقد سمعتم الحكمة ، وفيكم أحداث ، ولكم نِعَم ، فهل فيكم عاشق ؟ قلنا لا ، قال اعشقوا ، فان العشق يطلق الغبى ، ويفتح جِبِلَّة البليد ، ويسخّى كف البخيل ، ويبعث على النظافة وحسن الهيئة ، ويدعو الى الحركة ، والذكاء ، وشرف الهمة ، واياكم والحرام ؛ قال فانصرفنا فسألنا عما أفادنا فى يومنا فهِبْناه أن نخبره ، فعزم علينا . فقلنا له أمرنا بكذا وكذا ، قال صدق ، أتعلمون من أين أخذ هذا الأدب ؟ قلنا لا . قال ان بهرام جور كان له ابن رشحه للملك من بعده ، فنشأ ساقط الهمة ، خامل المروءة ، دنىء النفس ، سيىء الأدب ،

كليل القريحة ، كهام الفكر ، فغمه ذلك ، ووكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه ، وكان يسألهم فيحكون له ما يسوء الى أن قال له بعض مؤدبيه قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ما صرنا الى اليأس منه ، قال وما ذلك ؟ قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه ، فهو لا يهدأ إلا بها ، ولا يتشاغل الا بذكرها ، فقال بهرام جور: الآن رجوت صلاحه ، ثم دعا بأبي الجارية فقال انى مسرٌّ لك سراً فلا يعدونك ، فضمن له ستره ، فأعلمه ان ابنه قد عشق ابنته ، وانه يريد أن ينكحها إياه ، وأمره أن يأخذها بإطماعه بنفسها ، ومراسلته من غير أن يراها ، أو تقع عينه عليها ، فاذا استحكم طمعه فيها تجنت عليه ، وهجرته ، فاذا استعتبها أعلمته انها لا تصلح الا للملك ، أو من همته همة ملك ، وان ذلك يمنعها من مواصلته ، ثم ليعلمه خبرها وخبره ، ولا يطلعها على ما أسر اليه ، فقبل ذلك أبوها منه . ثم قال للمؤدب خوّفه بى ، وشجعه على مراسلة الجارية، ففعل ذلك ، وفعلت الجارية ما أمرها به أبوها ، فلما انتهت الى التجنى عليه ، وعلم الفتى السبب الذى كرهته من أجله ، أخذ فى الأدب ، وطلب الحكمة ، والعلم ، والفروسية ، ولعب الصوالجة ، والرماية ، حتى مهر فى ذلك ، ورفع الى أبيه انه يحتاج من المطاعم ، والآلات ، والدواب ، والملابس ، والوزراء ، فوق الذى كان له ، فسُر الملك بذلك ، وأمر له بما أراد ، ودعا بمؤدبه فقال : ان الموضع الذى وضع ابنى نفسه فيه بحب هذه المرأة لرفيع ، فتقدم اليه أن يرفع أمرها الىّ ويسألنى أن أزوجه إياها ، ففعل ، فزوجها منه ، وأمر بتعجيل نقلها اليه ، وقال له اذا اجتمعت أنت وهى فلا تحدث شيأ حتى أصير اليك ، فلما اجتمعا صار اليه فقال يا بنى لا يضعنّ منها عندك مراسلتها إياك ، وليست فى حبالك ، فأنا أمرتها بذلك ، وهى من أعظم الناس منةً عليك ، بما دعتك اليه من طلب الحكمة ، والتخلق بأخلاق الملوك ، حتى بلغت الحد الذى تصلح معه للملك بعدى ، فزدها فى التشريف والاكرام ، بقدر ما تستحق منك . ففعل الفتى ذلك وعاش مسروراً بالجارية ،

وأبوه مسروراً به ، وزاد فى اكرام المرزبان ، ورفع مرتبة قدره ، وعقد لابنه الملك بعده

— ٤ —

قال اليمانى وقال الشيخ أبو الحسن بن مصعب قال كُثَيِّر عزة

سيهلك فى الدنيا شفيق عليكمُ * اذا غالهُ من حادث الدهر غائلهْ
ويخفى لكم حبا شديداً ورهبةً * وللناس أشغالٌ وحبك شاغله
كريم يُميت السر حتى كأنهُ * اذا استخبروه عن حديثك جاهله
يود بأن يمسى عليلا لعلها * اذا سمعت عنه بشكوى تراسله
ويرتاح للمعروف فى طلب العُلَى * لتحمد يوماً عند ليلى شمائله

وصف الهوى

ذكر اعرابى الهوى فقال : هو أعظم ملكا فى القلب من الروح فى الجسم ، وأملك بالنفس من النفس ، يظهر ويبطن ، ويكثف ويلطف ، فامتنع عن وصفه اللسان ، وعيى عنه البيان ، فهو بين السحر والجفون ، لطيف المسلك والكمون ، وأنشد

يقولون لو دبّرت بالعقل حبها * ولاخير فى حبّ يدبر بالعقل

رسائل الميكالى

فصل للأمير أبى الفضل الميكالى

لا زالت الأيام تزيد رتبته ارتفاعا ، وباعه اتساعا ، وعزته امتناعا ، فلا يبقى مجد الا شيدته معاليه ومكارمه ، ولا ملك الا افترعته صرائمه وصوارمه

— ٢ —

وله — لا زالت جباه الأحرار بفضله متّسمة ، ووجوه المكارم بغرر أيامه مبتسمة ، واهواء الصدور بخدمة وده مرتسمه

— ٣ —

وله — الله يديم راية الامير الجليل محفوفة بالفتح والنصر ، مكنوفة بالغلبة والقهر ، حتى لا يزاول خطباً الا ذلت له صعابه ، ولا يمارس أمراً الا تيسرت أسبابه ، ولا يروم حالا الا أذعن لهيبته وسلطانه ، وخضع لسيفه وسنانه ، وذل لعقد لوائه ، ومنتهى عنانه ، الى أن ينال من أمانيه أقاصيها ، ويملك من مباغيه أزمتها ونواصيها ، ويسامى الثريا بعلو همته ويناصيها

— ٤ —

وله فصل — انما أشكو اليك زماناً سلب ضعف ما وهب ، وفجع بأكثر مما متّع ، وأوحش فوق ما آنس ، وعنف فى نزع ما ألبس ، فانه لم يذقنا حلاوة الاجتماع ، حتى جرعنا مرارة الفراق ، ولم يمتعنا بأنس التلاق ، حتى غادرنا رهن التلهف والاشتياق ، والحمد لله تعالى على كل حال يسيء ويسر ، ويحلو ويمر ، ولا أيأس من روح الله فى اباحة صنع يجعل ربعه مناخى ، ويقصر مدة البعاد والتراخى ، فألاحظ الزمان بعين راض ، ويقبل الىّ حظى بعد إعراض ، وأستأنف بعزته عيشا سابغ الذيول والاعطاف ، رقيق المعانى والأوصاف ، عذب الموارد والمناهل ، مأمون الآفات والغوائل

— ٥ —

وله فصل — أنا أسأل الله تعالى أن يرد على برد العيش الذى فقدته ، وفسحة السرور الذى عهدته ، فيقصر من الفراق أمده ، ويعلو للالتقاء حكمه ويده ، ويرجع ذلك العيش الذى رقت غلائله ، وصفت من الاقذاء مناهله ، فلم أهنأ بعده بأنس مقيم ، ولا تعلقت يوما الا بعيش بهيم

فان ترجع الأيام بينى وبينـهُ * بذى الاثل صيفا مثل صيفى ومربعى
أشد بأعناق النوى بعد هذهِ * مرائر إن جاذبتها لم تقطعِ

وما على الله بعزيز أن يقرب بعيداً ، ويهب طالعا سعيداً ، ويسهل عسيراً ، ويفك من أرق الاشتياق أسيرا

— ٦ —

وله فصل من كتاب تعزية الى أبى منصور عبد الملك الثعالبى

قرأت خبر سلامته فسرى السرور فى الجوانح ، واهتزت النفس له اهتزاز الغصن تحت البارح

أليس لاخبار الاحبة فرحةٌ * ولا فرحة المطشان فاجأهُ القطرُ
يقولون قد أوفى لوقت كتابهِ * فتنتشر البشرى وينشرح الصدر

ثم سألت الله تعالى أن يحرس علينا سلامته سابغة الملابس والمطارف ، موصولة التالد بالطارف

— ٧ —

وله فصل من كتاب تعزية عن أبى العباس ابن الامام أبى الطيب

لئن كانت الرزية ممرضة مؤلمة ، وطرق العزاء والسلوة مبهمة ، لقد حلت بساحة من لاتنتقض بأمثالها مرائره ، ولا تضعف عن احتمالها بصائره ، قد يتلقاها بصدر فسيح يحمى أن ينتج الحزن حسابه ، وصبر مسيح يمنع أن يحبط الجزع أجره وثوابه ، كيف لا وآداب الدين من عنده تُلتمس ، وأحكام الشرع من لسانه وبنانه تُستفاد وتُقتبس ، والعيون ترمقه فى هذه الحالة لتجرى على سَنَنه ، وتأخذ بآدابه وسُننه ، فان تعثرت القلوب فبحسب تماسكه تماسكها وعزاؤها وان حسنت الافعال فالى حميد أفعاله ومذاهبه اعتزاؤها

شعر الميكالى

جملة من شعره فى تحسين القوافى فى الغزل

عذيرى من جفون راميات * بسهم السحر من عينَىْ غزالِ
غزانى طرفه حتى سبانى * لأنتصرنّ منه بعن غزالى

وله أيضاً

أما حان أن يشتفى المستهام * بزورة وصل وتأوى لهُ
يحمحم عن سُؤله هيبةً * ويعلم علمك تأويلهُ

وقال أيضا

شكوت اليه ما ألاقى فقال لى * رويداًففى حكم الهوى أنت مو تلى
فلو كان حقاماادعيت من الهوى * لقلّ بما تلقاه لى أن تموت لى

وقال أيضاً

تفرّق قلبى فى هواها فعندها * فريقٌ وعندى شُعبة وفريقُ
اذا ظمئت نفسى أقول لهااسقنى * فان لم يكن راحٌ لديك فريق

وقال أيضا

شافهَ كفى رشاً * بقبلة ما شَفَتِ
فقلت اذ قبلها * ياليت كفى شفتى

وقال

ياشادناً غاب نجم الحسن لولاهُ * قد كان يوسف لمّا مات ولاّهُ
ولاّه رقة ظرف فى شمائله * فاشتط فى الحكم لولا أن تولاه
أحيِ فتًى مدنفاً ما إن يخلصهُ * من غمرة الوجد الا أنت والله

كرائم النفوس

قال أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ : حدثنى أبو الهيثم بن السدى ابن شاهد قال : قلت فى أيام ولايتى الكوفة لرجل من وجوهها ، لايجف قلمه ولاتستريح يده ، ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الناس ، وادخال المنافع على الضعفاء ، وكان رجلا مفوها ، اخبرنى عن الشئ الذى هوّن عليك النصَب ، وقوّاك على التعب ، ماهو ؟ قال قد والله سمعت تغريد الاطيار بالاسحار على أفنان الاشجار ، وسمعت أوتار العيدان ، وترجيع أصوات القيان ، فما طربت من صوت قط طربى من ثناء حسن ، على رجل قد أحسن ، ومن شاكر منعم ومن شفاعة شفيع محتسب لطالب ذاكر ، فقال أبو الهيثم فقلت له : لله أبوك لقد حُشيت كرما ، فبأى شئ سهلت عليك المعاودة والطلب ، قال لا أبلُغ المجهود ، ولا أسأل الا مايجوز ، وليس صدق العذر مكروها بأكره الىّ من انجاز الوعد ،ولست لاكراه السائل بأكره منى لاجحاف المسؤول، ولا أرى الراغب أوجب علىّ حقا لَدَىَّ من حسن ظنه من المرغوب اليه ، للذى احتمل من كلّه ، قال ابراهيم ماسمعت كلاما قط أشد مؤالفة لموضعه ، ولا أليق بمكانه ، من هذا الكلام

أسد بن عنقاء

وروى أبو بكر بن شقير النحوى عن أحمد بن عبيد قال : كان أسد بن عنقاء الفزارى من أكبر أهل زمانه ، وأشدهم عارضة ولسانا ، وطال عمره ، ونكبه دهره ، فاختلت حاله ، فخرج يتنقّل لأهله ، فمر عليه عُميلة الفزارى فسلم عليه ، وقال: ياعم ما أصارك الى ما أرى ؟ قال بخل مثلك بماله ، وصون وجهى عن أموال الناس ، قال اما والله لئن بقيت الى هذا الأمر لأغيرنّ من حالك ما أرى ، فرجع

ابن عنقاء الى أهله فأخبرهم بما قال عُميلة فقالوا له: غرّك كلام غلام جُنح ظلام! فكأنما ألقموا فاه حجراً، فبات متململا بين رجاء ويأس، فلما كان سَحَرَ سمع رُغاء الابل، وثُغاء الشاء، وصهيل الخيل، ولجب الأموال، فقال ما هذا؟ قالوا عميلة قد ساق اليك ماله، فخرج ابن عنقاء له، فقسم ماله شطرين، وساهمَ عليه، فأنشأ ابن عنقاء يقول

رآني على مابي عُميلة فاشتكى * الى ماله حالى أسرّ كما جهر

دعاني فواساني ولو ضنّ لم يُلَمْ * على حين لا بدوٌ يرجّي ولا حضر

فقلت له خيراً وأثنيت فعلهُ * ووفّاك ما أوليت من ذم أو شكر

ولما رأى المجد استُعيرت ثيابهُ * تردّى بثوب واسع الذيل واتزر

غلامٌ رماه الله بالحسن يافعاً * له سيمياء لا تشق على البصر

كأن الثريا علقت في جبينهِ * وفي أنفه الشّعرى وفي خده القمر

اذا قيلت العوراء أغضى كأنهُ * ذليلٌ بلا ذل ولو شاء لانتصر

أبو عمرو الغنوى

وأنشد أبو حاتم عن أبي عبيدة للمعرندس أحد بنى بكر بن كلاب يمدح أبا عمرو الغنوى وكان الأصمعى يقول: هذا من المحال: كلابيٌّ يمدح غنويا!

هَيْنُون لَيْنُون أيسارٌ ذوو كرم * سُوّاس مكرمةٍ أبناء أيسارِ

إن يسئلوا العرف يعطوه وان خُبروا * في الجهد أدرك منهم طيب أخبار

لا ينطقون عن الاهواء إن نطقوا * ولا يمارون ان ماروا باكثار

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يسرى بها السارى

منهم وفيهم يعد الخير متلدا * ولا يعد نثا خزى ولا عار

صروف الزمان

فصل لبعض الكتاب — ما تعجُّبك مما لقيت من الحيف ، هل ضمن الدهر أن ينصف ولا يحيف ، أو يبرم فلا ينقض ، أو يعافى فلا يمرض ، أو يصفو فلا يكدر ، أو يفى فلا يغدر ، قدّر أن تعذب لى مشاربُه ، وتلين لى جوانبُه ، فحكم الدنيا لا تترك حامدا لها الا أسكتته ، ولا ضاحكا الا أبكته ، أقوى ما كان بها ثقة ، وأشد ما كان لها مِقة ، وأولى ما كان ركونا اليها ، وأعظم ما كان عرضا عليها

اخلاق الناس

وقال بعض الكتاب يصف رجلا بالذم : ما ظنك بمن يعنف بالنعم عنف من ساءته مجاورتها ، ويستخف بحقها استخفاف من ثقل عليه حملها ، ويطّرح الشكر عليها اطراح من لا يعلم ان الشكر يرتبطها

غرر المدائح

وقال أبو الشيص

يامن تمنى على الدنيا مبالغها * هلا سألت أبا بشر فتُعطاها

ماهبت الريح إلا هبّ نائلهُ * ولا ارتقى غاية الا تخطاها

غيره

طِلاب العلا الا عليك يسيرُ * وباع الاعادى عن مداك قصير

اذا عُدّ أهل الفضل كنت الذى لهُ * وللفضل فيه أولٌ وأخير

وقال أبو الحجنا الأصغر نصيب يصف اسحق بن صباح

كأن ابن صبّاح وكندة حولهُ * اذا مابدا بدرٌ توسط انجما

على ان فى البدر المحاق وان ذا * تمام فما يزداد الا تتمما

ترى المنبر الغربىّ يهتز تحتهُ * اذا ماعلا أعوادهُ وتكلما
فأنت ابن خير الناس الا نبوّةً * ومن قبلها كنت السّنام المقدما

ونصيب هو القائل فى البرامكة وكان منقطعاً إليهم

عنـد الملوك مضرةٌ ومنافعٌ * وأرى البرامك لا تضر وتنفعُ
ان العروق اذا استسرّ بها الثرى * أبّ النبات بها وطاب المزرع
فاذا جهلت من امرئٍ أعراقهُ * وقديمه فانظر الى ما يصـنعُ

أخذ هذا من قول سَلم الخاسر

لا تسل المرء عن خلائقهِ * فى وجهه شاهدٌ من العجبِ

وقال نُصَيب فى سليمان بن على

بنى سُليم حرزتم كل مكرمـةٍ * وليس فوقكمُ فخر لمفتخرِ
لا تسأل المرء يوماً عن خلائقهِ * فى وجهه شاهد ينبيك عن خبر
حَسْب امرىءٍ شرفاً أن ساد أسرتهُ * وأنت سُدْت جميع الجن والبشر

سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رجلا حاجة فلم يقضها وسأل آخر فقضاها فقال للأول

ذُممت ولم تُحمد وأبتُ بحاجةٍ * تولى سواكم شعرها واصطناعها
أبى لك فعل الخير رأىٌ مقصّرٌ * ونفسٌ أضاق الله بالبخل باعها
اذا ما أرادته على الخـير مرةً * عصاها وان همت بشرٍّ أطاعها

هشام بن عبد الملك

قال رجل لهشام بن عبد الملك : قد افتقرت يا أمير المؤمنين الى ظهور حسن رأيك ، فان رأيت اظهاره بسرور الصديق ، وغم العدو فعلت ، قال هشام أوجزت ومُلحت فيما سألت ، فلا ترد لك طلبة ، فما سأله شيأ الا أعطاه أ كثر منه

عمرو بن مسعدة

قال حميد بن بلال : ولىَ عمرو بن مَسْعَدة فارس وكرمان فقال له بعض أصحابه: أيها الأمير لوكان الحياء يظهر سؤالا لدعاك حيائى من كرمك ومن جميع أهليك الى الاقبال علىّ بما يكثر به حسد عدوىّ ، دون أن أسألك ، فقال عمرو لا تبغ ذلك بابتذالك ماء وجهك ، ونحن نغنيك عن إراقته فى خوض السؤال ، فارفع ما تريده فى رقعة يصل اليك سرا ، ففعل

محمد بن طيفور

وقال رجل من أهل فارس قدم على محمد بن طيفور وهو عامل على اصفهان لبعض أهلها : كم تقدرون صلات محمد فى كل سنة للشعراء والمتوسلين ؟ قالوا مائة ألف دينار سوى الخلع والهدايا . وورد عليه يوماً كتاب من بعض اخوانه فى شأن رجل استماحه له فى منزله : أنت أعزك الله تعالى أجل من ان يُتوسل بغيرك اليك ، وأن يُستماح جودك الا بك ، غير أنى أذكرك بكتابى فى أمر حامله ماشرع كرمك ، وزرع احسانك ، من الأجر قِبَل الصادرين والواردين ، فهناك الله تعالى ذلك ولا زالت يد الله بجميل احسانه ونعمته متواترة عليك ، فقال محمد للرجل احتكم لك وله ، فأخذ منه ألف دينار ، ولمن كتب اليه فيها مثلها

ابراهيم ابن المهدى

وقال رجل لابراهيم بن المهدى : قد أوحشنى منك تردُّد غليل فى صدرى أهابك عن اظهاره ، وأجلك عن كشفه ، فقال له ابراهيم لكنى أكشف لك معروفى ، وأظهر احسانى ، فان يكن غير هذين فى خلدك فاكتب رقعة يخرج توقيعى سراً لتقف على ما تحب ، فبلغ كلامه المهدى فقال : هذا والله غاية الكرم

عود الى محمد بن طيفور

وكتب محمد بن طيفور لبعض خاصته بمال كثير وصله به ، فكتب الرجل اليه : قد استغرقت نعمتك وجوه الشكر لك ، وغرر الحمد فيما سلف منك ، ولولا فرط عجز عن كِفاء ما يجب لك من الحمد لقبلت ما انفذته ، فكتب اليه محمد : قد صغّر شكرك لنا ما أسلفناه اليك ، نخذ ما أنفذناه ثوابا عن معرفتك بشكر ما أسديناه ، وإلا سمح شكرك بما رأيناك له أهلا الى أن يسع قبول مثلك ما يستحق به جميل الدعاء ، وجزيل الثناء ، ان شاء الله تعالى

قرد زبيدة

ولما مات قرد زبيدة بنت جعفر ساءها ذلك ، ونالها من الغم ما عرفه الصغير والكبير من خاصتها ، فكتب اليها أبو هرون العبدى : أيتها السيدة الخطيرة ، ان موقع الخطب بذهاب الصغير المعجب ، كموقع السرور بنيل الكثير المفرح ، ومن جهل قدر التعزية عن التافه الخفىّ ، عمِىَ عن التهنئة بالجليل السَّنىّ ، فلا نقصك الله الزائد فى سرورك ، ولا حرمك أجر الذاهب من صغيرك . فأمرت له بجائزة

تعزية فى ثور

وكتب أبو اسحق الصابى عن ابن لعبة فى أيام زارته الى أبى بكر بن قريعة يعزيه عن ثور أبيض بقوله ، وجلس للعزاء عليه تراقعاً وتحامقا : التعزية على المفقود أطال الله بقاء القاضى ، انما تكون بحسب محله من فاقده ، من غير أن تُراعَى قيمته ، ولا قدره ، ولا ذاته ، ولا عينه ، إذ كان الغرض فيها تبريد الغلة ، واخماد اللوعة ، وتسكين الزفرة ، وتنفيس الكربة ، فربّ ولد عاق ، وأخ مُشاقّ ، وذى رحم أصبح لها قاطعا ، وقريب قوم قد قلدهم عارا ، وناط بهم شنارا ، فلا لوم فى ترك التعزية عنه ، وأحْرِ بها أن تكون تهنئة بالراحة منه ، ورب مال صامت

غير ناطق ، قد كان صاحبه به مستظهرا ، وله مستثمرا ، فالفجيعة به اذا فُقد موضوعة موضعها ، والتعزية عنه واقعة منه موقعها ، وقد بلغني أن القاضي أصيب بثور كان له فجلس للعزاء عنه شاكيا ، وأجهش عليه باكيا ، وللندم عليه والها ، وحُكيت عنه حكايات في التأبين له ، وإقامة الندبة عليه ، وتعديد ما كان فيه من فضائل البقر التي تفرقت في غيره ، واجتمعت فيه وحده ، فصار كما قال أبو نواس في مثله من الناس

ليس على الله بمستنكَر * أن يجمع العالَم في واحدِ

لأنه يكرب الارض معمورة ، ويثيرها مزروعة ، ويدور في الدواليب ساقيا ، وفي الارحاء طاحنا ، ويحمل الغلات مستقلا ، والاثقال مستخفا ، فلا يؤُده عظيم ، ولا يعجزه جسيم ، ولا يجري في الحائط مع شقيقه ، ولا في الطريق مع رفيقه الا كان جَلدا لا يُسبق ، ومبرزا لا يُلحق ، وفائتا لا يُنال شأوه وغايته ، ولا يبلغ مداه ونهايته ، ويشهد الله أن ما ساءه ساءني ، وما آلمه آلمني ، ولم يجز عندي في حق وده ، استصغار خطب جل عنده ، فأرمضه ، وأرّقه ، وأمرضه ، وأقلقه ، فكتبت هذه الرقعة فأصابها من الجوى في مصابه هذا بقدر ما أظهر من إكباره اياه ، وأبان من إعظامه له ، وأسأل الله تعالى أن يخصه من المعوضة بأفضل ما خص به البشر ، عن البقر ، وأن يفرد هذه البهيمة العجماء بأثرة من الثواب ، يضيفها الى المكلفين من ذوي الألباب ، فانها وان لم تكن منهم ، فقد استحقت أن لا تُفرد عنهم ، بأن مسّ القاضي سببها ، وصار اليه منتسبَها ، حتى اذا أنجز الله ما وعد به من تمحيص سيآتهم ، وتضعيف حسناتهم ، والافضاء بهم الى الجنة التي رضيها لهم داراً ، وجعلها لجماعتهم قراراً ، وأورد القاضي أيده الله تعالى موارد أهل النعيم ، مع أهل الصراط المستقيم ، جاء وثوره هذا مجنوب معه ، مسموح له به ، وكما أن الجنة لا يدخلها الخبث ، ولا يكون من أهلها الحدث ، ولكنه عرَق يجري من أعراضهم ، كذلك يجعل الله ثور القاضي مركبا من العنبر الشّحري ،

وماء الورد الجورى ، فيكون له جونة عطر ونوراً ، وليس ذلك بمستبعد ولا مستنكر ،ولا مستصعب ولا متعذر ، اذ كانت قدرة الله بذلك محيطة ، ومواعيده لأمثاله ضامنة بما أعده الله فى الجنة لعباده الصادقين ، وأوليائه الصالحين من شهوات أنفسهم ، وملاذ أعينهم ، وما هو منحة من غامر فضله ، وفائض كرمه ، عاقبة ذلك مع صالح مساعيه ، ومحمود شيمه ، وقلبي متعلق بمعرفة خبره ، أدام الله عزه فيما ادّرعه من شعار الصبر ، واحتفظ به من إيثار الأجر ، ورفع اليه من السكون لأمر الله تعالى فى الذى طرقه ، والشكر له فيما أزعجه وأقلقه ،فليعرفنى القاضى من ذلك ما أكون ضاربا معه بسهم المساعدة عليه ، وآخذا بقسط المشاركة فيه

جواب صاحب الثور الفقير

فصل من جواب أبى بكر : وصل توقيع سيدنا الوزير أطال الله بقاه ، وأدام تأييده ونعماه ، وأكمل رفعته وعلاه ، وحرس مهجته ووقاه ، بالتعزية عن الثور الأبيض ، الذى كان للحرث مثيراً ، وللدواليب مديرا ، وبالسبق الى سائر المنافع شهيراً ، وعلى شدائد الزمان مساعدا وظهيرا. لعمرك لقد كان بعمله ناهضا ، ولحماقات البقر رافضا ، وانَّى لنا بمثله وشرائه وهو لا يشرى ، فانه من اعيان البقر ، وأنفع أجناسه للبشر ، مضاف ذلك الى خلات لولا خوفى من تجدد الحزن عليه ، وتهييج الجزع وانصرافه اليه ، لعددتها ليعلم أدام الله عزه ان الحزين عليه غير ملوم ، وكيف يلام امرؤ فقد من ماله قطعة يجب فى مثلها الزكاة ، ومن خدم معيشته بهيمة تعين على الصوم والصلاة ، وقد احتذيت مامثله الوزير من جميل الاحتساب والصبر على المصاب ، فقلت انا لله وانا اليه راجعون ، قول من علم ان المرء لا يملك نفسه ، وماله ، وأهله ، بل لا يملك شيأ دونه ، اذ كان جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، هو الملك الوهاب ، المرتجع ما ارتجع بعوض هو نفيس الثواب ، وقد وجدت أيد الله الوزير للبقر خاصة فضيلة على سائر بهيمة الانعام ، تشهد بها العقول والافهام « وذكر جملة من فضائلها » وكأن أبا نواس فى قوله

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

نظر فى هذا المعنى الى قول جرير

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

دمعة امرأة على بنيها

قالت امرأة من العرب يقال انها امرأة العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ترثى بنيها

دعوا من المجد أكنافا الى أجل * حتى اذا كملت أظماؤهم وردوا

مَيْتٌ بمصرٍ ومَيْتٌ بالعراق ومَيْـتٌ بالحجاز منايا بينهم بَدَدُ

كانت لهم همم فرّقن بينهم * اذا القعاديدُ عن أمثالهم قعدوا

بثّ الجميل وتفريج الجليل واعـطاء الجزيل الذى لم يعطه أحد

رثاء قيس بن عاصم

وقال عبدة بن الطبيب فى قيس بن عاصم

عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ما شاء أن يترحّما

تحيةَ من غادرته غرض الردى * اذا زار عن شحطٍ بلادك سلّما

فما كان قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ * ولـكنه بنيان قوم تهدّما

وقيس بن عاصم هو القائل

إنى امرؤٌ لا يعترى حسبى * دَنَسٌ يغيره ولا أفنُ

من معشر فى بيت مكرُمةٍ * والاصل ينبت حوله الغصنُ

خُطباء حين يقول قائلهمْ * بيض الوجوه أعفّة لُسنُ

لا يفطنون لعيب جارهمُ * وهمُ لحِسن جواره فُطنُ

رثاء الوليد بن طريف

وقالت أخت الوليد بن طريف الشيباني ترثيه :

أيا شجر الخابور مالك مُورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريفِ

فتى لا يعُدّ الزاد الا من التقى * ولا المال الا من قناً وسيوفِ

عليك سلام الله وقفا لأنني * أرى الموت وقاعا بكل شريف

فقد ناكِ فقدان الشباب وليتنا * فديناك من فتياننا بألوف

وخرج الوليد فى أيام الرشيد فقتله يزيد بن مزيد وفى ذلك يقول بكر ابن النطاح الحنفى

يابنى تغلب لقد فجعتكم * من يزيدٍ سيوفُهُ بالوليدِ

لو سيوفٌ سوى سيوفِ يزيدٍ * قارعته لاقت خلاف السعود

واترٌ بعضها يقتّل بعضاً * لا يفل الحديد غير الحديد

بكر بن النطاح

وكان بكر كثير التعصب لربيعة والمدح فيهم وهو القائل

ومن يفتقر منّا يعش بحسامهِ * ومن يفتقر من سائر الناس يسألِ

ونحن وُصفنا دون كل قبيلةٍ * بشدة بأسٍ فى الكتاب المنزل

وانا لنلهو بالسيوف كما لهت * فتاة بعقد او سَخاب قرنفل

يريد قول الله عز وجل « ستدعون الى قوم أولى بأس شديد » جاء فى بعض التفاسير انهم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب

ابو دلف

وبكر القائل أيضاً فى ابى دلف

ياعصمة العرب الذى لولم يكن * حيا لقد كانت بغير عماد

ان العيون اذا رأتك حِدادُها * رجعت من الإجلال غير حِدادِ

واذا رميت الثغر منك بعزمةٍ * فتحت منه مواضع الاسداد

فكأن رمحك مُنْقع فى عُصفُرٍ * وكأن سيفك سلّ من فِرصاد

لو صال من غضب ابو دلف على * بيض السيوف لَذُبْن فى الاغماد

أذكى وأوقد للعداوة والقرى * نارين نار وغًى ونار زناد

وأبو دلف هو القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل بن عمير بن منصح ابن معاوية بن خزاع بن عبد العزى بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم — وقد رويت الابيات التى مرت لاخت الوليد بن طريف لعبد الملك ابن بحرة النميرى

سرقات شعرية فى الرثاء

وقال ابو هفان واسمه منصور بن بحرة قال انشدنى دعبل لنفسه

وَدَاعُك مثل وَدَاع الربيع * وفقدُك مثل افتقاد الدِّيَمْ

عليك سلامٌ فكم من وفاً * أفارق منك وكم من كرم

فقلت احسنت ولكن سرقت البيتين من معنيين الاول من قول القطامى

مالكواعب ودّعن الحياة كما * ودّعنى واتخذت الشيب ميعادى

والثانى من قول ابن بحرة

فقدناك فقدان الربيع وليتنا

وانشد البيت فقال بلى والله سرق الطائى من ابن بحرة بيتا كاملا فقال

عليك سلام الله وقفا فاننى * رأيت الكريم الحر ليس له عمر

كذا وردت الحكاية من غير وجه وكان يجب اذا كان من روين أن يكون فقدناك فقدان الربيع لاخت الوليد ، وقد قال السموءل فى قصر العمر

يقرب حب الموت آجالنالنا * وتكرهه آجالهم فتطولُ

وقال ابن قتيبة أخذ النميرى قوله « أيا شجر الخابور » من قول الجن فى الامام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

أبعد قتيلٍ بالمدينة أظلمتْ * له الارض تهتز العضاه بأسْوُقِ

قد أنشده ابو تمام الطائى للشماخ فى أبيات أولها

جزى الله خيراً من أمير وباركتْ * يد الله فى ذاك الاديم الممزّق

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها * نوافج فى أكمامها لم تفتقّ

وما كنت أخشى ان تكون وفاتهُ * بكفّيْ سبنتى ازرق العين مُطرق

تظل الحصان البكر تلقى جنينها * بتأخير مافوق المطىّ معلق

وقد قال بشار قريبا من قوله

على جنَبات الدرع منك مهابةٌ * وفى الدرع عَبْلُ الساعدَين قَرُوعُ

اذا اختزن المالَ البخيلُ فانما * خزائنهم خَطّيَّةٌ ودروع

وهذا كقول أبى الطيب المتنبى فى قاتل الأخشيدى

كنا نظن دياره مملوءةً * ذهباً فمات وكل دار بلْقَعُ

واذا المكارم والصوارم والقنا * وبنات أعْوَجَ كل شئ يجمع

ومن بارع هذا النحو قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى

وانى لأرباب القبور لغابطٌ * لسُكنى سعيدٍ بين أهل المقابرِ

وانى لمفجوعٌ به اذ تكاثرت * عداتى ولم أهتف سواه بناصر

وكنت كمغلوب على نصل سيفه * وقد حزّ فيه نصل خوان باتر

أتيناه زُوَّاراً فأمجدنا قِرًى * من البثّ والداء الدخيل المخامر

وأُبنا بزرع قد نما فى صدورنا * من الوجد يُسقى بالدموع البَوادر

ولما حضرنا لاقتسام تراثه * أصبنا عظيمات اللهى والمآثر

أى لم نصب مالا ولكننا أصبنا فعلا

بلاغة الاعراب

— ١ —

دخلت اعرابية على عبد الله بن أبى بكرة بالبصرة ، فوقفت بين السماطين، فقالت أصلح الله الأمير ، وأمتع به : حَدَرتنا اليك سنة اشتد بلاؤها ، وانكشف غطاؤها ، أقود صبية صغاراً ، وآخرين كباراً ، فى بلد شاسعة تخفضنا خافضة ، وترفعنا رافعة ، لملمات من الدهر برين عظمى ، واذهبن لحمى ، وتركننى والهة أدور بالحضيض ، وقد ضاق بى البلد العريض ، فسألت فى أحياء العرب من الكاملةُ فضائله ، المعطى سائله ، المكفَى نائله ، فدُلِلت عليك أصلحك الله تعالى، وأنا امرأة من هوازن ، وقد مات الوالد ، وغاب الرافد ، وأنت بعد الله غياثى ، ومنتهى أملى ، فافعل بى احدى ثلاث : إما أن تردنى الى بلدى ، أو تحسن صفَدى ، أو تقيم أوَدى ، فقال بل أجمعها لك ، فلم يزل يجرى عليها كما يجرى على عياله ، حتى ماتت

— ٢ —

قال العتبى وقف اعرابى بباب عبيدالله بن زياد فقال : ياأهل الغضاضة، حقب السحاب ، وانقشع الرباب ، واستأسدت الذئاب ، وردم الثمد ، وقل الحفد ، ومات الولد ، وكنت كثير العفاة ، صحب السفاه ، عظيم الزلات ، لاتصال الزمان ، ولا أعقل الحدثان ، حى حلال ، وعدد ومال ، فتفرقنا أيدى سبا ، بين فقد الأبناء والآباء ، وكنت حسن الشارة ، خصيب الدارة ، سليم الجارة ، وكان محلى حمى ، وقومى أسى ، وعزمى جدى ، قضى الله ولا رجعان لما قضى ، بسواف المال ، وشتات الرجال ، وتغير الحال ، فأعينوا من شخصه شاهدُه ، ولسانه وافدُه ، وفقره سائقه وقائده

المقامة البصرية

ومن مقامات الاسكندرى من انشاء بديع الزمان قال حدثنا عيسى بن هشام قال دخلت البصرة وأنا من سنى فى فتاء ، ومن الزى فى حِبَر ووِشاء ، ومن الغنى فى بقر وشاء ، فأتيت المربد مع رفقة تأخذهم العيون ، ودخلنا غير بعيد فى بعض تلك المتنزهات ، ومشينا فى تلك المتَوَجَّهات ، وملكتنا أرض فحللناها ، وعمدنا لقداح اللهو فأجلناها ، مطّرحين للحشمة ، إذ لم يكن فينا الا منا ، فما كان بأسرع من ارتداد الطرف ، حتى عنّ لنا سواد ، تخفضه وهاد ، وترفعه نجاد ، وعلمنا أنه يهم بنا ، فأتلعنا له حتى انتهى الينا سيره ، ولقينا بتحية الاسلام ، ورددنا عليه مقتضى السلام ، ثم أجال فينا طرفه وقال: ياقوم ، مامنكم الا من يلحظنى شزرا ، ويوسعنى زجرا ، ولا ينبئكم عنى ، بأصدق منى ، أنا رجل من من أهل الاسكندرية ، من الثغور الأموية ، قد وطّأ لى الفضل كنفه ، ورحّب بى عيش ، ونمانى بيت ، ثم جعجع بى الدهر عن ثمه ورمه ، وأتلانى زغاليل حمر الحواصل

كأنهم حيات أرض محلةٍ * فلو يعضون لذكى سمهم

اذا نزلنا أرسلونى كاسباً * وان رحلنا ركبونى كلهم

نشزت علينا البيض ، وشمست منا الصفر ، وأكلتنا السُّود ، وحطمتنا ، الحمر ، وانتابنا أبو مالك ، فما تلقانا أبو جابر الا عن عُفر ، وهذه البصرة ماؤها هضوم ، وفقيرها مهضوم ، والمرء من ضرسه فى شغل ، ومن نفسه فى كَل ، فكيف بمن

يطوّف ما يطوّف ثم يأوى * الى زغب محددة العيونِ

كساهن البلى شعثا فتمسى * جياع الناب ضامرة البطون

ولقد أصبحن اليوم وقد سرحن الطرف فى حى كيت ، وفى بيت كلا بيت ، وقلبن الا كف على ليت ، ففضضن عقد الضلوع ، وافضن ماء الدموع ، وتداعين باسم الجوع

والفقر في زمن اللئا م لكل ذى كرم علامه

وقد اخترتكم ياسادة ، ودلتنى عليكم السعادة ، وقالت قسما ، إن فيهم شيما ، فهل من فتى يعشيهن ، أو يغشيهن ، وهل من حر يغديهن، أو يردّيهن ؟ قال عيسى ابن هشام فوالله ما استأذن على سمعى كلام رائع أبرع مما سمعت ، لا جرم أنا استمحنا الأوساط ، وتفضنا الاكمام ، ونحينا الجيوب ، وأنلته مطرفى ، وأخذت الجماعة إخذى ، وقلنا له الحق بأطفالك ، فاعرض عنا بعد شكر وفاه ، ونشر ملأ به فاه

رسائل بديع الزمان

— ١ —

وله من رسالة الى بعض الرؤساء : خُلقت أطال الله بقاء السيد وأدام تأييده ، مشروح جنان الصدر ، جموح عنان القلم ، بحلم فسيح رقعة الصدر

صبوراً حَمولاً لو تعمدنى الردى * لسرت اليه مشرق الوجه راضيا

ألوفاً وفيًّا لو رُدِدْت الى الصبا * لفارقت شيبى مُوجَعَ القلب باكيا

ووالله لأحيلن السيد على الانام ، ولا احالة رأيه فىّ على الليالى والايام ، ولن أزال أصفيه الولاء ، وأسنيه الثناء ، وافرش له من صدور الدهناء ، وأعيره أذنا صماء ، حتى يعلم أىّ عِلق باع ، وأى فتى أضاع ، وليقفنّ موقف اعتذار ، وليعلمن بنصح أنا الواشون أم بحبول ، ولا أقول ياحالف اذكر خلا ، ولكن ياعاقد اذكر حلا ، ولست بمن يشكو الى رسول الله صلى عليه وسلم أذى رهطه ، ويشتاق الى رمى يزيد لسبطه ، ولكنى أقول

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر * لعزة من اعراضنا ما استحلتِ

وأنا اعلم أن السيد لا يخرج عن تلك الحلية، بهذه الرقية ، وان جوابه أخشن من لقائه ، فان انبسط للاجابة فلتكن المخاطبة توقيعا فهو أخف مؤنة وأقل تبعة

— ٢ —

وله الى العميد: انا أطال الله بقاء الشيخ العميد فى ضيقه لا فيها أعان، ولا عنها أصان، وشيمة ليست بى تناط، ولا عنى تماط، وحرفة لا عنى تزال، ولا فيها أدال، وهى الكدية التى علىّ تبعتها، وليس لى منفعتها، فهل للشيخ العميد أن يلطف بصنيعته لطفا يحط عنه درن العار، وسيمة التكسب والافتقار، ليخف على القلوب ظله، ويرتفع عن الاحرار كله، ولا يثقل على الاجفان شخصه، باتمام ما كان عرضه عليه من أشغاله، ليعلق بأذياله، ويستفيد من خلاله، فيكون قد صان العلم عن ابتذاله، والفضل عن إذلاله، واشترى حسن الثناء بجاهه، كما يشتريه بماله، وللشيخ فيما يوجبه من وعد يعتمده، ووفاء يتلو ما يعده، علىّ رأيه ان شاء الله

شذرات في المديح

وقال بعض أهل العصر وهو أبو العباس الناشىء يمدح سعد الدولة أبا المعالى شريف بن سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدان

كأن مكنون فهم الدهر فى يده * يرى بها غائب الأشياء لم يغب
ما يرفع الفلك العالى سماء علاً * الاعلاها شريف كوكب العرب
يا من بعين الرضا يلقى مؤمله * والبخل يطبق أجفاناً على الغضب
لو يكتب الملك أسماء الملوك اذاً * أعطاك موضع بسم الله فى الكتب
غربت فى كل يوم منك مكرمة * فليس ذكرك فى أرض بمغترب

بيته الأول كقول القائل

أطلّ على الأشياء حتى كأنما * له من وراء الغيب مقلة شاهد

أبو تمام الطائى

أطلّ على كلا الافقين حتى * كأن الأرض فى عينيه دار

وأفرط ابن الرومي فقال

أحاط علماً بكل خافيةٍ * كأنما الارض في يديه كُرَه

وقال محمد بن وهيب

عليمٌ بأعقاب الأمور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبُهْ

وقال بعض شعراء بني عبد الله بن طاهر

وقوفك تحت ظلال السيوف * أقرّ الخلافة في دارها

كأنك مطّلع في القلوب * اذا ما تناجت بأسرارها

وقال البحتري للفتح بن خاقان

كأنك عين في القلوب بصيرةٌ * ترى ما عليه مستقيمٌ ومائلُ

وقال في سليمان بن عبد الله بن طاهر

ينال بالظن ما فاتت اليقين بهِ * اذا تلبّس دون الظن ايقانُ

كأن آراءه والظن يجمعها * تُريه كل خفيّ وهو اعلان

ماغاب عن عينه فالقلب يذكرهُ * وان تنمْ عينُه فالقلب يقظان

وقال أبو الحسن أحمد بن محمد الكاتب يمدح عبيد الله بن سليمان

اذا أبو قاسم جادت لنا يدهُ * لم يُحْمَدِ الاجودان البحر والمطرُ

وان أضاءت لنا أنوار غُرّتهِ * تضاءل الانوران الشمس والقمر

وان مضى رأيه أوحدّ عزمتهِ * تأخر الماضيان السيف والقدرُ

من لم يبت حذراً من خوف سطوته * لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر

ينال بالظن ما يعيا العيان بهِ * والشاهدان عليه العين والاثر

كأنه الدهر في نُعمى وفي نعمٍ * اذا تعاقب منه النفع والضرر

كأنه وزمام الدهر في يدهِ * يرى عواقب ما يأتي وما يذر

وأصل هذا قول أوس بن حجر

الالمعيّ الذي يظن بك الظنـ * ـن كأنْ قد رأى وقد سمعا

وهذا المعنى قد مر في أثناء الكتاب

بلاغة الاعراب

قال أبو الحسن جحظة البرمكي قلت لخالد الكاتب: كيف أصبحت ؟ قال أصبحت أرق الناس شعراً ، قلت أتعرف قول الاعرابى

فما وَجْد أعرابيةٍ قذفت بها * صُروف الليالى حيث لم تك ظنّتِ
تمنّت أحاليب الرخاء وخَيْمةً * بنجدٍ فلم يُقدر لها ما تمنّتِ
اذا ذكرت ماء العِضاه وطِيبهُ * وماء الصبا من نحو نجران انّتِ
بأعظم من وجدٍ بليلى وجدتهُ * غداة غدونا غدوة واطمأنّتِ
وكانت رياح تحمل الحاجَ بيننا * فقد بخلت تلك الرياح وضنّتِ

فصاح خالد وقال : ويحك ، ويلك ، ياجحظة ! هذا والله أرقّ من شعرى

تكاليف المجد

فصل لأبى العباس بن المعتز — لن تكسب أعزك الله المحامد ، وتستوجب الشرف ، الا بالحمل على النفس والحال ، والنهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو كانت المكارم تنال بغير مؤنة لاشترك فيها السَّفل والأحرار ، وتساهمها الوضعاء من ذوى الاخطار ، ولكن الله تعالى خصّ الكرماء الذين جعلهم أهلها ، فخفف عليهم حملها ، وسوّغهم فضلها ، وحظرها على السَّفلة لصِغر اقدارهم عنها ، وبعد طباعهم منها ، ونفورها عنهم ، واقشعرارها منهم

وقال أبو الطيب المتنبى

لولا المشقة ساد الناس كلهمُ * الجود يُفقر والإقدام قتّالُ

وقال الطائى

والحمد شهدٌ لا يرى مُشتارُهُ * يجنيه الأمن نقيع الحنظلِ

شر لحامله ويحسبه الذى * لم يؤذ عاتقه خفيف المحمل

أخذه الطائى من قول مسلم بن الوليد وقيل غيره

الجودُ أخشن مَسّاً يابنى مطر * من ان تبزكوه كف مُسْتَلبِ

ماأعلم الناس ان الجود مدفعةٌ * للذم لكنه يأتى على النشب

وقال بعض الاجواد: انا لنجد كما تجد البخلاء، ولكننا نصبر ولا يصبرون

احتمال الغضب

قال الجاحظ قيل لابى عباد وزير المأمون وكان أسرع الناس غضباً إن لقمان الحكيم قال لابنه ما الحمل الثقيل ؟ قال الغضب ، قال أبو عباد لكنه والله أخف علىّ من الريش! قيل له انما عنى لقمان أن احتمال الغضب ثقيل ، فقال لا والله لا يقوى على احتمال الغضب من الناس الا الجمل ! وغضب يوماً على بعض كتابه فرماه بدواة كانت بين يديه فشجّه ، فقال أبو عباد صدق الله تعالى فى قوله « واذا ما غضبوا هم يَغْفِرون » فبلغ ذلك المأمون فأحضره ، وقال له ويحك ما تحسن تقرأ آية من كتاب الله تعالى ! قال بلى يا أمير المؤمنين انى لأحفظ من سورة واحدة ألف آية ، فضحك المأمون وأمر باخراجه

عناية ابن المعتز بالبيان

نبذة من لطائف ابن المعتز وفضل تحققه بالبديع والاستعارات مما تتعين العناية بمطالعتها — قال أبو بكر الصولى: اجتمعت مع جماعة من الشعراء عند أبى العباس عبد الله بن المعتز وكان يتحقق بعلم البديع تحققا ينصر دعواه فيه لسان مذاكرته ، فلم يبق مسلك من مسالك الشعراء الا سلك بنا شعبا من شعابه ، وأرانا أحسن ما قيل فى بابه ، الى أن قال: ما أحسن استعارة اشتمل عليها بيت واحد من الشعر؟ قال الاسدى قول لبيد

وغداة ريح قد كشفت وقرّةٍ * إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

قال أبو العباس هذا حسن ، وغيره أحمد منه ، وقد أخذه من قول ثعلبة ابن صغير المازنى

فتذاكرا ثقلا وثيدا بعد ما * ألقت ذكاء يمينها فى كافرِ

وقول ذى الرمة أعجب الىّ منه

ألا طرقت ميٌّ هَيُوماً بذكرها * وأيدى الثريا جُنَّحٌ فى المغاربِ

وقال بعضنا بل قول لبيد أيضا

ولقد حميت الخيل تحمل شكّتى * فُرُطٌ وشاحى ان غدوت لجامها

قال أبو العباس ولكن ينزل عن قول لبيد

وقال آخر

ولو أننى استودعته الشمس لاهتدتْ * اليه المنايا عينها ورسولها

قال أبو العباس هذا حسن ، وأحسن منه فى استعارة لفظ الاستيداع ، قول الحصين بن الحمام ، لأنه جمع الاستعارة والمقابلة فى قوله

نطاردهم نستودع البيض هامهم * ويستودعونا السمهرىّ المقوّما

وقال آخر بل قول ذى الرمة

أقامت به حتى ذوى العود فى الثرى * وساق الثريا فى ملاءته الفجرُ

قال أبو العباس :هذا لعمرى نهاية الخبرة ، وذو الرمة أبدع الناس استعارة ، وأبرعهم عبارة ، الا أن الصواب حتى ذوى العود والثرى ، لأن العود لا يذوى مادام فى الثرى ، وقد أنكره على ذى الرمة غير ابن المعتز. قال أبو عمرو بن العلاء كانت يدى فى يد الفرزدق فأنشدته هذا البيت فقال أرشدك أم أدعك ، قال فقلت بل أرشدنى فقال ان العود لا يذوى فى الثرى ، والصواب حتى ذوى العود والثرى ، قال الصولى فكانا فيه على ذى الرمة — قلت بل قوله

ولما رأيت الليل والشمس حيةٌ * حياة الذى يقضى حشاشة نازع

قال أبو العباس اقتدحت زندك يا أبا بكر فأورى ، هذا بارع جدا ، وقد سبقه الى هذه الاستعارة جرير حيث يقول

تحيى الرَّوامسُ ربعها وتجدِّدُهُ * بعد البلى فتميته الأمطارُ

وهـذا بيت جمع الاستعارة والمطابقة لأنه جاء بالإحياء والإماتة ، والبلى والجِدة ، ولـكن ذوالرمة قد استوفى ذكر الاحياء والاماتة فى موضع آخر فأحسن وهو قوله :

ونشوانَ من طول النعاس كأنهُ * بحبلين فى أُنشوطةٍ يترجَّحُ

اذا مات فوق الرحل أحييت روحهُ * بذكرك والعيس المراحيل جُنَّحُ

فما أحد من الجماعة انصرف من ذلك المجلس الا وقد غمره من بحر أبى العباس ما غاض فيه معينه ، ولم ينهض حتى زوّدنا من بره ولفظه نهاية ما اتسعت له حاله

كتمان الحب

وقال ابن المعتز

لمـا رأيت الحبّ يفضحنى * ونمت علىّ شواهد الصبرِ

ألقيت غيرك فى ظنونهمُ * وسترت وجه الحب بالحب

وقال العباس أحمد بن الأحنف فى هذا المعنى

قد جرّ ر الناس أذيال الظنون بنا * وفرّق الناس فينا قولهـم فِرَقا

فكاذبٌ قد رمى بالظن غيركمُ * وصادقٌ ليس يدرى انه صدقا

وقريب من هذا المعنى قول الفارضى رضى الله عنه وان لم يكن منه

تخالفت الأقوال فينـا تباينا * برجم أصولٍ بيننا ما لهـا أصلُ

فشنّع قوم بالوصالِ ولم أصـل * وأرجف بالسلوان قومٌ ولم أسلُ

وما صدق التشنيع عنها لشقوتى * وقد كذبت عنى الاراجيف والنقل

وقال ابن المعتز

لنا عزمـةٌ صماء لا تسمع الرّقى * تُبيت أنوف الحاسدين على رغمِ

وانا لنعطى الحق من غير حاكم * علينـا ولو شئنا لِملنا مع الظلم

وقد أخذه أبو العباس من قول اعرابى

ألا يا شفاء النفس ليس بعالم * بك الناس حتى يعلموا ليلة القدْرِ
سوى رجمهم بالظن والظن كاذبٌ * مراراً وفيهم من يصيب ولا يدرى

شعر الحسين بن مطير

وقال الحسن بن مَطِير

لقد كنت جَلداً قبل ان توقد النوى * على كبدى نارا بطيئاً خمودها
ولو تُركت نار الهوى لتضرّمتْ * ولكنّ شوقا كل يوم يزيدها
وقد كنت أرجو أن تموت صبابتى * اذا قَدُمت أيامها وعهودها
فقد جعلت فى حبة القلب والحشى * عِهاد الهوى تولى بشوق يعيدها
لمرتجة الاعطاف هيف حضورها * عذاب ثناياها عجاب نهودها
وصفر تراقيها وحمر اكفها * وسود نواصيها وبيض خدودها
مخصّرة الاوساط زانت عقودها * بأحسن مما زينتها عقودها
يمنيننا حتى ترف قلوبنا * رفيف الخُزامى بات طلٌّ يجودها
وفيهن مقلاق الوِشاح كأنها * مَهاةٌ بترثار طويل عمودها

وقال

قضى الله يا أسماءُ أنْ لستُ بارحاً * أحبك حتى يُغمض العين مغمضُ
فحبك يلوى غير أن لا يسوءنى * وان كان يلوى انى لك مبغض
فوا كبدا من لوعة البين كلما * ذكرت ومن رفض الهوى حين يرفض
ومن عنده تذرى الدموع وزورةٌ * تمضّض أطراف الحشا ثم تنهض
فياليتنى أقرضت جَلْداً صبابتى * وأقرضنى صبراً على الشوقُ مقرِضُ
اذا أنارُضت القلب فى غير حبها * بدا حبها من دونه يتعرض

وكان الحسين قوىّ أسر الكلام ، جزل الالفاظ ، شديد العارضة ، وهو القائل فى المهدى

له يوم بؤس فيه للناس أبؤسٌ * ويوم نعيم فيه للناس أنعُم

فيُمطر يوم الجود من كفه الندى * ويقطر يوم البؤس من كفه الدمُ

فلو أن يوم البؤس خلّى عقابهُ * على الناس لم يصبح على الارض مجرم

ولو أن يوم الجود خلّى نوالهُ * على الارض لم يصبح على الارض معدم

وأنشد أبو هفان له

أين جيراننا على الاحساء * أين أهل العتاب بالدهناء

جاورونا والأرض ملبسة نَوْ * رَ الأقاحى تُجاد بالانواء

كل يوم باقحوان جديد * تضحك الارض من بكاء السماء

أخذ هذا المعنى دعبل ونقله الى معنى آخر فقال

أين الشبابُ وأيّةً سلكا * أم أين يُطلب ضل بل هلكا

لا تعجبي يا سَلْمَ من رجلٍ * ضحك المشيب برأسه فبكى

وقال مسلم بن الوليد فى هذا المعنى

مُستعبر يبكى على دمنةٍ * ورأسه يضحك فيه المشيبْ

مكارم الاخلاق

وأنشد الزبير بن بكار

أحب معالىَ الأخلاق جهدى * وأكره أن أعيب وأن أُعابا

وأصفح عن سباب الناس حلماً * وشر الناس من حَبَّ السبابا

وأترك قائل العوراء عمداً * لأهلكه وما أعيى الجوابا

ومن هاب الرجال تهيبوهُ * ومن حقر الرجال فلن يهابا

وعلى ذكر قوله

اذا أنا رضت القلب فى حب غيرها

أنشد الأصمعى لغلام من بنى فزارة

وأعرض حتى يحسب الناس انما * بىَ الهجر لا والله مابى لها هجرُ

رياضة النفس على الفراق

قال اسحق الموصلى قال لى الرشيد ما أحسن ما قيل فى رياضة النفس على الفراق ؟ قلت قول اعرابى

وانى لأستحيي عيوناً وأتقى * كثيراً وأستبقى المودة بالهجر

فانذر بالهجران نفسى أروضها * لأعلم عند الهجر هل لىَ من صبرِ

فقال الرشيد هذا مليح ولكنى استملح قول اعرابى آخر

خشيت عليها العين من طول وصلها * فهاجرتها يومين خوفا من الهجرِ

وما كان هِجرانى لها عن ملالةٍ * ولكننى جربت نفسىَ بالصبر

قال الصولى قلت للمبرد : عم ابراهيم بن العباس أحزم رأيا من خاله العباس ابن الأحنف فى قوله

كان خروجى من عندكم قدَراً * وحادثاً من حوادث الزمنِ

من قبل أن أعرض الفراق على * قلبي وان أستعد للحزَنَ

وقال عمك ابراهيم

وناجيت نفسي بالفراق أروضُها * فقالت رويداً لا أعيرك من صبرى

فقلت لها فالهجر والبين واحدٌ * فقالت أمِنى بالفراق وبالهجر

فقلت له انه نقل كلام خاله

عرضت على قلبي الفراق فقال لى * من الآن فايئس لا أعيرك من صبرى

اذا صدٌ من أهوى رجوت وصاله * وفرقة من أهوى أحر من الجمر

وقال العباس بن الأحنف

أروض على الهِجران نفسى لعلها * تَماسَكُ لى أسبابها حين أهجرُ

واعلم أن النفس تكذب وعدها * اذا صدق الهجران يوما وتغدرُ

وما عرضت لى نظرةٌ مُذعرفتها * فأنظر الا مُثّلت حين أنظرُ

وقال المتنبى من المغنى

حببتك قلبي قبل حبّكَ من نأى * وقد كان غداراً فكن أنت وافيا

وأعلم أن البين يُشكيك بعدها * فلست فؤادى ان وجدتك شاكيا

قال الحاتمى والذى أراه وأذهب اليه ان أحسن من هذا المعنى قول أبى صخر الهذلى :

ويمنعنى من بعض انكار ظلمها * اذا ظلمت يوما وان كان لى عذرُ
مخافةُ انى قد علمت لئن بدا * لىَ الهجر منها ماعلى هجرها صبرُ
وأنى لاأدرى اذ النفس أشرفت * على هجرها ما يبلغنّ بىَ الهجر
فياحبها زدنى جوًى كل ليلةٍ * ويا سلوة الاحزان موعدك الحشر (١)

كلمات فى الاخلاق

شذور من كلام أهل العصر فى مكارم الاخلاق — ابن المعتز : العقل غريزة تربيها التجارب . وله : العاقل من عقل لسانه ، والجاهل من جهل قدره — غيره : اذا تم العقل نقص الكلام — حسن الصورة الجمال الظاهر ، وحسن الخلق الجمال الباطن — ما أبينَ وجوه الخير والشر فى مرآة العقل اذا لم يصدئها الهوى — العاقل لا يدعه ما ستر الله من عيوبه ان يفرح بما أظهر من محاسنه — بأيدى العقول تُمسك أعنة النفوس عن الهوى — أحْرِ بمن كان عاقلا ان يكون عما لا يعنيه غافلا — التواضع من مصايد الشرف — من لم يتضع عند نفسه ، لم يرتفع عند غيره — يحيى بن معاذ : التكبر على المتكبر تواضع — الحلم حجاب الآفات — أحيوا الحياء بمجاورة من يستحيا منه — من كساه الحياء ثوبه ، ستر عن الناس عيبه — الصبر تجرّع الغصص ، وانتظار الفُرص — قلوب العقلاء حصون الاسرار — انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل ، أو جاهلا فيخون — الاناة حسن السلامة ، والعجلة مفتاح الندامة — من حَسُنَ خُلقه وجب حقه — انما يستحق اسم الانسانية من حسن خُلقه — يكاد سيئ الخلق يُعد من البهائم والسباع

(١) تجد هذه القصيدة كاملة فى كتاب « مدامع العشاق »

(ارسطاطاليس) المروأة استحياء المرء نفسه — المعروف حصن النعم من صروف الزمن — للحازم كنز فى الآخرة من عمله ، وفى الدنيا من معروفه — لا تستحى من القليل فان الحرمان أقل منه — أبو بكر الخوارزمى: الطِّرف يجرى وبه انفلال ، والحر يعطى وبه إقلال — بذل الجاه أحد المالين — شفاعة اللسان أفضل زكاة الانسان — بذل الجاه بذل للمستعين — الشفيع جناح الطالب — التقوى هى العُدة الباقية ، والُجنة الواقية — ظاهر الدين شرف الدنيا ، وباطنه شرف الآخرة — من عفّت أطرافه ، حسنت أوصافه — قال أبو الطيب المتنبى

ولا عفة فى سيفه وسنانه * ولكنها فى الكف والفرج والفم

لقمان: الصمت حُكمٌ وقليل فاعله — أربع كلمات صدرت عن أربعة ملوك كأنما رُميت عن قوس واحدة: قال كسرى لم أندم على مالم أقل ، وندمت على ما قلت مرارا (قيصر) أنا على رد مالم أقل أقدر منى على رد ما قلت (ملك الصين) اذا تكلمت بالكلمة ملكتنى واذا لم أتكلم بها ملكتها (ملك الهند) عجبت ممن يتكلم بالكلمة ان رفعت ضرته ، وان لم ترفع لم تنفعه — ما الدخان على النار ، ولا العجاج على الريح ، بأدل من ظاهر الرجل على باطنه — وأنشد

قد يُستدل بظاهر عن باطنٍ * حيث الدخان فثمَّ موقد نارِ

من أصلح ماله فقد صان الأكرَمَيْن المال والعرض — من لم يذم التقتير ، ولم يحمد التبذير ، فهو شديد التدبير — عليك بالقصد بين الطرفين ، لامنع ولا اسراف ، ولا بخل ولا اتراف — لا تكن رطبا فتعصر ، ولا يابسا فتكسر ، ولا حلوا فتلمظ ، ولا مرًّا فتلفظ — المأمون بن الرشيد: الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق وهذر ، والتقصير عِىٌّ وحَصَر — اكرام الاضياف ، من عادة الاشراف — وفى الخبر : لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه ، فمن أبغض الضيف أبغضه الله — ينبغى لصاحب الكرم أن يصبر قلبه حتى تعطف عليه نبوة الزمان ، ويسالمه الحدثان ، فليس ينتفع بالجوهرة الكريمة من لم ينتظر نَفَاقها [1]

(١) النفاق ، بالفتح ، الرواج

مواعظ عقلها بعض أهل العصر تتعلق بهذا الفصل — أغض على القذى وإلا لم ترض أبدا — أجمل الطلب فسيأتيك بياض عرضك والا أخلقت وجهك — جاور الناس بالكف عن مساويهم — انس رفدك ولا تنس وعدك — كذب سوء الظن بأحسنه — أغن من وليته عن السرقة ، فليس يكفيك مالم تكفه — لا تتكلف ما كفيت فيضيع ما أوليت — ابن المعتز : لا تسرع الى أرفع موضع فى المجلس ، فالموضع الذى تُرفع اليه خير من الموضع الذى تحط منه — لا تذكر الميت بسوء ، فتكون الارض أكتم عليه منك — ينبغى للعاقل أن يدارى زمانه مداراة السابح للماء الجارى — العتابى : المداراة سياسة رفيعة تجلب المنفعة ، وتدفع المضرة ، ولا يستغنى عنها ملك ولا سوقة ، ولا يدع أحد منها حظه الا غمرته صروف المكاره

رسائل العتابى

وكتب العتابي الى بعض اخوانه

لو اعتصم شوقى اليك بمثل سلوّك عنى ، لم أبذل وجه الرغبة اليك ، ولم أتجشّم مرارة تماديك ، ولكن استخفتنا صبابتنا ، فاحتملنا قسوتك ، لعظيم قدر مودتك ، وأنت أحق من اقتص لصلتنا من جفائه ، ولشوقنا من ابطائه

٢

وله — دعيت اليك ونفسى راغبة لشوقك بشكرك ، ولسانى علق بالثناء عليك ، والغالب على ضميرى لائمة لنفسى ، واستقلال لجهدى فى مكافأتك . وأنت أعزك الله فى عز الغنى عني ، وأنا تحت ذل الفاقة الى عطفك ، وليس من خلاقك ان تُولى جانب النبُّوة منك ، من هو عان فى الضراعة اليك

دخوله على الرشيد

ودخل العتابى على الرشيد فقال : تكلم ياعتابى ! فقال : الايناس قبل الإبساس ، لايُحمد المرء بأول صوابه ، ولايُذم بأول خطابه ، لأنه بين كلام زوّره ، اوعىٍّ

حديثه مع أبى نواس

ومرّ العتابى بأبى نواس وهو ينشد الناس

ذكر الكرخ نازح الاوطان * فبكى صبوةً ولات أوانِ

فلما رآه قام اليه ، وسأله الجلوس ، فأبى وقال : أين أنا منك وأنت القائل ، وقد أنصفك الزمان

قد علقنا من الخصيب حبالاً * أمّنتنا طوارق الحدثانِ

وأنا القائل وقد جار علىّ ، وأساء الىّ

لفظتنى البلاد وانطوت الاكـفاء دونى وملّنى جيرانى

والتقت حَلْقَةٌ علىّ من الدهـر فجاجت بكلكل وجرانِ

نازعتنى احداثها مهنة النفـس وهدّت خطوبها أركانى

خاشعٌ للهموم مفترق القلـ ـب كئيبٌ لنائبات الزمان

شعر الاعراب

قال عبد الرحمن ابن أخى الاصمعى سمعت عمى يحدث قال : أرقت ليلة من الليالى بالبادية ، وكنت نازلا عند رجل من بنى الصيد ، وكان واسع الرحل ، كريم المحل ، فأصبحت وقد عزمت على الرجوع الى العراق ، فأتيت أبا مثواى ، فقلت انى قد هلعت من الغربة ، واشتقت الى أهلى ، ولم أفد فى قدْمتى هذه كبير علم ، وانما كنت أغتفر وحشة الغربة ، وجفاء البادية ، للفائدة ،

فأظهر الجفاوة حتى أبرز غداء له فتغذيت ، وأمر بناقة مهرية كأنها سبيكة لجين وا كتفلها ، ثم ركب وأردفني ، وأقبلنا مطلعَ الشمس ، فما سرنا كبير مسير ، حتى لقينا شيخ على حمار ،له جُمة قد صبغها بالورس ، كأنها قميط ، وهو يترنم ، فسلم عليه صاحبي ، وسأله عن نسبه فاعتزى اسديا من بني ثعلبة ، قال أتروى أم تقول ؟ قال كلاً قال ابن توءم فأشار الى موضع قريب من الموضع الذي نحن فيه فأناخ الشيخ ، وقال لي خذ بيد عمك فأنزله عن حماره ، ففعلت ، وألقى له كساء قد ا كتفل به ، ثم قال أنشدنا يرحمك الله وتصدق على هذا الغريب بأبيات يشهن عنك ، ويذ كرك بهن ،فأنشدني له

لقد طال ياسوداء منك المواعدُ * ودون الجدا المأمول منك الفراقدُ
تمنيننا بالوصل وعداً وغيمكم * ضبابٌ فلا صحوٌ ولا الغيم جائد
اذا أنت أُعطيت الغنى ثم لم تجُدْ * بفضل الغنى أُلفِيتَ مالك حامد
وقلّ غَناء عنك مال جمعتهُ * اذا صار ميراثا وواراك لاحد
اذا أنت لم تعرك بجنبك بعض ما * رميت من الادنى رماك الاباعد
اذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تزل * عليك بروق جمةٌ ورواعد
اذا العزم لم يفرج لك الشك لم تزل * جنيبا كما استتلى الجنيبة قائد
اذا أنت لم تترك طعاما تحبهُ * ولا مقعداً تدعو اليه الولائد
تجللت عارا لايزال يشبهُ * عليك الرجال نثرهم والقصائد

وأنشدني لنفسه

تعزّ فان الصبر بالحر أجمل * وليس على ريب الزمان معوّلُ
فلو كان يغني أن يُرى المرء جازعاً * لنازلةٍ أو كان يغني التذللُ
لكان التعزى عند كل مصيبةٍ * ونازلة بالحرّ أحرى وأجمل
فكيف وكلٌّ ليس يعدو حِمامهُ * ولا لامرىء مما قضى الله مَزحَلُ
فان تكن الايام فينا تبدلت * بنعمى وبؤسَى والحوادث تفعل

فما ليّنت منا قناةً صليبةً * ولا ذللتنا للذى ليس يجمل
ولكن رحلناها نفوسا كريمةً * تُحمّل مالا يستطاع فتحمل
وقينا بحد العزم منا نفوسنا * فصحت لنا الاعراض والناس هُزّل

قال فقمت اليه وقد نسيت أهلى ، وهان علىّ طول الغربة ، وضنك العيش ، سروراً بما سمعت ، ثم قال: يابنى من لم يكن الادب والعلم أحب اليه من الاهل والولد لم يُنجب

خصومة قرشية

خاصم بعض القرشيين عمر بن عثمان بن موسى ابن عبيد الله بن معمر فأسرع اليه فقال : على رِسلك فانك لسريع الانتقال وشيك الغربة ، وانى والله ما أنا مكافئك دون أن تبلغ غاية التعدى ، فابلغ غاية الاعتذار

عبد الله بن عبد العزيز

قال عبد الله بن عبد العزيز وكان من أفاضل أهل زمانه قال لى موسى بن عيسى : أنهي الىّ أمير المؤمنين ، يعنى الرشيد ، انك تشتمه ، وتدعو عليه ، فبأى شىء استحق ذلك ؟ قال أما شتمه فهو والله أكرم علىّ من نفسى ، وأما الدعاء عليه فوالله ماقلت « اللهم انه أصبح عبأ ثقيلا على اكتافنا ، لاتطيقه أبداننا ، وقذًى فى عيوننا ، لاتنطبق عليه أجفاننا ، وشجاً فى حلوقنا ، لاتسيغه أفواهنا ، فاكفنا مؤنته ، وفرق بيننا وبينه » ولكنى قلت « اللهم ان كان تسمّى الرشيد ليرشد فأرشده ، وان كان غير ذلك فراجع به ، اللهم ان له فى الاسلام بالعباس حقا على كل مسلم ، وله بنبيك قرابة ورحما ، فقربه من كل خير ، وباعده من كل شر ، وأسعدنا به ، وأصلحه لنفسه ولنا » فقال له يغفر الله لك ياعبد العزيز كذلك بلغنا

اسماعيل بن القاسم

ولما حج الرشيد سنة ست وثمانين ومائة دخل مكة وعديله يحيى ابن خالد فانبرى اليه العمرى فقال : ياأمير المؤمنين قف حتى أكلمك ! فقال أرسلوا زمام الناقة ، فأرسلوه ، فوقف فكأنما أوتدت ، فقال قل فقال : اعزل عنا اسماعيل ابن القاسم ، فانه يقبل الرشوة ، ويطيل النشوة ، ويضرب العشوة ، قال قد عزلناه ثم التفت الى يحيى فقال : أعندك مثل هذه البديهة ؟ فقال انه يجب أن يحسن اليه قال اذا عزلنا عنه من يريد عزله فقد كافأناه

حرمة الكعبة

ولما وجه عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن الزبير وأوصاه بما أراد أن يوصيه قال الاسود بن الهيثم النخعي : يا أمير المؤمنين أوص هذا الغلام بالكعبة أن لا يهدم أحجارها ، ولا يهتك أستارها ، ولا ينفّر أطيارها ، وليأخذ على ابن الزبير شعابها ، وعقابها ، وأنقابها ، حتى يموت فيها جوعاً ، أو يخرج مخلوعا

نصر بن شبيب

وكتب عبد الله بن طاهر الى نصر بن شبيب وقد نزل به ليحاربه فى جنده فوجده محصنا منه فكتب اليه : اعتصامك بالقلال ، قيّد عزمك عن القتال ، والتجاؤك الى الحصون ، ليس ينجيك من المنون ، ولستَ بمفلت من أمير المؤمنين ، فاما فارس مطاعن ، أو راجل مستأمن — فلما قرأه حصره الرعب عن الجواب ، فلم يلبث ان خرج مستأمنا

حكم فارسية

قال بزرجمهر بن البختكان لبعض الملوك : أنعم تشكر ، وارهب تحذر ، ولا تهازل فتحقر . فجعلهن الملك نقش خاتمه ، بدلا من اسمه واسم أبيه

ولما قتل أنوشروان بزرجمهر وجد فى منطقته رقعة فيها مكتوبٌ . اذا كانت الحظوظ بالجدود فما الحرص ، واذا كانت الامور ليست بدائمة فما السرور ، واذا كانت الدنيا غرارة فما الطمأنينة

كلمات سقراط

من كثر احتماله ، وظهر حلمه ، قل ظلمه ، وكثرت أعوانه . ومن قل همه على ما فاته ، استراحت نفسه ، وصفا ذهنه ، وطال عمره — وقال : من تعاهد نفسه بالمحاسبة أذهب عنها المداهنة . وقال : الأمانى حِبال الجاهل ، والعشرة الحسنة وقاية من الاسواء (وشتمه) بعض الملوك وكان على فرس وعليه حلل وبزة فقال له سقراط انما تفخر على غير جنسك ، ولكن رد كل جنس الى جنسه وتعال أكلمك ! وقال سقراط من أُعطى الحكمة فلا يجزع لفقد الذهب والفضة ، لأن من أعطِى السلامة والدعة لا يجزع لفقد الألم والتعب ، لان ثمار الحكمة السلامة والدعة ، وثمار الذهب والفضه الألم والتعب . وقال : القنية ينبوع الأحزان ، فأقلوا القنية تقل همومكم وقال : القنية مخدومة ، ومن خدم غير نفسه فهو مملوك . وقال أبو الطيب

أبداً تسترد ما تهب الدنــيا فياليت جودها كان بخلا

وكفت كون فرحة تورث الهــم وخل يغادر الوجد خلا

حكم هندية

وفى كتاب الهند — العاقل حقيق أن يشح بنفسه عن الدنيا، علماً بأنه لا ينال أحد منها شيئاً إلا ابتاعه بها ، وكثر عناؤه فيه، وبلاؤه عليه، واشتدت مؤنته عند فراقه، وعلى العاقل ان يديم ذكره لما بعد هذه الدار ، ويتنزه عما تشره نفسه اليه من هذه العاجلة ، ويتنحى عن مشاركة الكفرة والجهال فى حب هذه الفانية ، التى لا يألفها وينخدع بها الا المغتر — وفيه: لا يجدنّ العاقل فى صحبة الاحباب والاخلاء ، ولا يحرصنّ على ذلك كل الحرص ، فان صحبتهم على ما فيها من السرور كثيرة الأذى ، والمؤنات ، والاحزان ، ثم لا يفى ذلك بعاقبة الفراق — وفيه : ليس من شهوات الدنيا ولذاتها شيء الا وهو مولّد أذى وحزنا كالماء المالح الذى كلما ازداد له صاحبه شرباً ازداد عطشا ، وكالقطعة من العسل فى أسفلها سم للذائق ، فيها حلاوة عاجلة ، وله فى أسفلها سم قاتل ، وكأحلام النائم التى تسره فى منامه ، فاذا استيقظ انقطع السرور ، وكالبرق الذى يضيء قليلا ، ويذهب وشيكا ، ويبقى صاحبه فى الظلام مقيما ، وكدودة الابريسم ما ازدادت عليه التفافا إلا ازدادت من الخروج بعداً — وفيه : صاحب الدين قد فكر ، فعلته السكينة ، وسكن للتواضع ، وقنع فاستغنى ، ورضى فلم يهتم ، وخلع الدنيا فنجا من الشرور ، ورفض الشهوات فصار حرا ، وطرح الحسد فظهرت له المحبة ، وسخت نفسه عن كل فان ، فاستكمل العقل ، وأبصر العاقبة ، فامن الندامة ، ولم يؤذ الناس فيخافهم ، ولم يذنب اليهم فيسألهم العفو

عتبة ابن أبي سفيان

وقال سعد القصر مولى عتبة ابن أبى سفيان: ولاّني عتبة أمواله بالحجاز فلما ودعته قال يا سعد تعاهد صغير مالى فيكبر ، ولا تغفل كبيره فيصغر ، فانه ليس يمنعنى كثير ماعندى ، من اصلاح قليل ما فى يدى ، ولا يمنعنى قليل ما عندى من

كثير ما ينوبنى — قال فقدمت الحجاز فحدثت به رجالا من قريش ففرقوا به الكتب الى الوكلاء

يزيد بن معاوية

وقال يزيد بن معاوية لعبد الله بن زياد : إن أباك كفى أخاه عظيما ، وقد استكفيتك صغيراً ، فلا تتكلن منى على عذر ، فقد اتكلت منك على كفاية ، ولأن أقول لك إياك ، أحب الىّ من أن أقول إياى ، فان الظن اذا أخلف فيك أخلف منك ، فلا ترح نفسك وأنت فى أدنى حظك ، حتى تبلغ أقصاه ، واذكر فى يومك أخبار غدك ، واستزدنى باحسانك الى أهل الطاعة ، وإساءتك الى أهل المعصية ، أزدك ان شاء الله تعالى

فضل العمامة

ذكرت العمامة عند أبى الاسود الدؤلى فقال : جُنة فى الحرب ، ودِثار فى البرد وكِنّة فى الحر ، ووقار فى النادى ، وشرف فى الاحدوثة ، وزيادة فى القامة ، وهى عادة من عادات العرب

كتاب نصح

وكتب أبو الفضل بن العميد الى أبى عبد الله الطبرى « وقفت على ما وصفت من بر مولانا الأمير بك ، وتوقيره بالفضل عليك ، واظهار جميل رأيه فيك ، وما أنزله من عارفة لديك ، وليس العجب أن يتناهى مثله فى الكرم الى أبعد غاية ، وانما العجب أن يقصر شىء من مساعيه عن نيل المجد كله ، وحيازة الفضل بأجمعه ، وقد رجوت أن يكون ما يغرسه من صنيعة عندك أجدر

غرس بالزكاء ، وأضمنه للريع والنماء ، فارع ذلك ، واركب فى الخدمة طريقة تبعدك من الملال ، وتوسطك فى الحضور بين الإكثار والإقلال ، ولا تسترسل الى حسن القبول كل الاسترسال ، فلأن تُدعى من بعيد ، خير من أن تقصى من قريب ، وليكن كلامك جوابا تتحرز فيه من الخطل ومن الاسهاب ، ولا يعجبنك تأتى كلمة محمودة فيلج بك الإطناب توقعاً لمثلها ، فربما عدمت ثانية الأولى ، وبضاعتك فى الشرف مزجاة ، وبالعقل يزم اللسان ، ويرام السداد ، ولا يستفزك طرب الكلام على ما يفسد تمييزك ، والشفاعة لا تعرض لها فانها مخلقة للجاه ، فان اضطررت اليها فلا تهجم عليها حتى تعرف موقعها ، وتحصل وزنها ، وتطالع موضعها ، فان وجدت النفس بالاجابة سمحة ، والى الاسعاف هشة ، فأظهر ما فى نفسك غير محقق ، ولا توهم ان عليك فى الرد ما يوحشك ، ولا فى المنع ما يغيظك ، وليكن انطلاق وجهك اذا دُفعت عن حاجتك أكثر منه عند نجاحها على يدك ، ليخف كلامك ، ولا يثقل على سامعه منك. أقول ما أقول غير واعظ ولا مرشد ، فقد كمل الله خصالك ، وحسن أخلاقك ، وفضلك فى ذلك كله ، لكنى أنبه تنبيه المشارك لك ، وأعلم ان للذكرى موضعاً منك لطيفاً »

كتاب وجد

وله أيضاً — سألتنى عمن شغفنى وجدى به ، وشعفنى حبى له ، وزعمت أنى لو شئت لذهلت عنه ، أو لو أردت لاعتضت منه ، زعماً لعمر أبيك ليس بزعَم ، كيف أسلو عنه وأنا أراه ، وأنساه وهو لى تِجاه ، هو أغلب علىّ ، وأقرب الىّ ، من أن يرخى لى عنانى ، أو يخليني واختيارى ، بعد اختلاطى بملكه ، وانخراطى فى سلكه ، وبعد أن ناط حبَّه بقلبى نائط ، وساطه بدمى سائط ، وهو جارٍ مجرى الروح فى الاعضاء ، متنسم تنسم الروح للهواء ، ان ذهبت عنه رجعت اليه ، وان هربت منه وقعت عليه ، وما أحب السلوّ عنه مع هناته ، وما أوثر الخلوّ منه

مع ملاته ، هذا على أنه ان أقبل عليّ بهتني إقباله ، وإن أعرض عني لم يطرقني خياله ، يبعد عني مقالهُ ، ويقرب من غيري نوالهُ ، ويردّ عيني خاسية ، ويثني يدي خالية ، وقد بسط آفات العيون المقاربة ، وصدق مرامي الظنون الكاذبة ، وصله ينذر بصده ، وقربه يؤذن ببعده ، يدنى عند ما ينزح ، ويأسو مثل ما يجرح ، مخالته أحوال ، وخلته خلال ، وحكمه سجال ، الحسن فى عوارفه ، والجمال من منائحه ، والبهاء من أصوله وصفاته ، والسناء من نعوته وسماته ، اسمه مطابق لمعناه ، وفحواه موافق لنجواه ، يتشابه حالاه ، ويتضارع نظراه ، من حيث يلقاه يستنير ، ومن حيث ينساه يستدير

الهرب من الوباء

وقع بالكوفة وباء فخرج الناس وتفرقوا فى النجف فكتب شريح الى صديق له خرج بخروج الناس « أما بعد فانك بالمكان الذى أنت فيه بعين من لا يعجزه هرب ، ولا يفوته طلب ، وان المكان الذى خلفت لا يعجل لأحد حِمامه ، ولا يظلمه أيامه ، وأنا وإياك لعلى بساط واحد ، وان النجف من ذى قدرةٍ لقريب »

وهرب اعرابى ليلا على حمار حذارا من الطاعون فبينما هو سائر إذ سمع قائلا يقول

لم يُسبق الله على حمارِ * ولا على ذى منعة طيارِ
أو يأتىَ الحتف على مقدار * قد يصبح الله أمام السارى

فكرّ راجعا وقال : اذا كان الله أمام السارى فلات حين مهرب

قتيل الحب

قال الأصمعى أخبرنى يونس بن حبيب قال : أتى قوم الى ابن عباس بفتى محمول ضعفا فقالوا : استشف لهذا الغلام ، فنظر الى فتى حلو الوجه ، عارى العظام ، فقال له ما بك ؟ فقال

بنا من جوى الشوق المبرّح لوعة * تكاد لها نفس المشوق تذوبُ

ولكنما أبقى حشاشة ما ترى * على ما به عُودٌ هناك صليب

فقال ابن عباس: أرأيتم وجها أعتق ، ولسانا أذلق ، وعودا أصلب ، وهوًى أغلب ، مما رأيتم اليوم ؟ هذا قتيل الحب ،لا قوَد ولا دية

ابن عباس

وكان ابن عباس رضى الله عنهما حَبر قريش وبحرها، وله يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل »وفيه يقول حسان بن ثابت

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بملتقطات لا ترى بينها فصلا

شفى وكفى ما فى النفوس فلم يدع * لذى لَسَن فى القول جدًّا ولا هزلا

سموت الى العليا بغير مشقةٍ * فنلت ذراها لا دنيًّا ولا وَغْلا

صريع الغوانى

وقال مسلم بن الوليد

أعاود ما قدمته من رجائها * اذا عاودت باليأس فيها المطامعُ

رأتنى غضيّ الطرف عنها فاعرضت * وهل خفت الا أن تشير الأصابع

وما زينتها النفس لى عن لجاجةٍ * ولكن جرى فيها الهوى وهو طائع

فأقسمت أنسى الداعيات الى الصبا * وقد فاجأتها العين والسجف رافع

فغطت بأيديها ثمار نحورها * كأيدى الأسارى أثقلتها الجوامع

ويلقب صريع الغوانى ، اجتلب له هذا الاسم لأجل هذا البيت

صريع غوانٍ راقهن ورُقنهُ * لَدُنْ شبّ حتى ابيض سودُ الذوائبِ

وكان مسلم انصاريا صريحا ، وشاعرا فصيحا ، ولقب صريعا أيضا لقوله

سأنقاد للذات متبع القنا * لأمضى همًّا أو أصيب فى مثلى

هل العيش الا أن تروح مع الصبا * صريع حميا الكأس والحدق النُّجْل

ومسلم أول من لطّف البديع ، وكسا المعانى حلل اللفظ الرفيع ، وعليه يعول الطائى ، وعلى أبى نواس ، ومن بديع شعره الذى امتثله الطائى قوله

تساقط يمناه الندى وشماله الر * دى وعيونَ القول منطقهُ الفصلُ

كأنّ نعمْ فى فيه تجرى مكانها * سلافة ماجمت لأفراخها النحل

له هضبة تأوى الى ظل برمك * منوط بها الآمال أطنابها السبل

عَجول الى أن يودع الحر مالهُ * يعد الندى بخلا اذا اغتُنِم البخل

وقد حرم الأعراض بالبيض والندى * فأموالهم نهب وأعراضهم نسل

جبالا يطير الجهل فى عرصاتها * اذا هى حلت لم يفت حلها ذحل

بكف أبى العباس يُستمطر الغنى * وتشترك النعمى ويُسترعف النصل

متى شئت رفّعت الستور عن الغنى * اذا أنت زرت الفضل أو أذن الفضل

وقوله أيضاً

اذا كنت ذا نفس جواداً ضميرُها * فليس يضر الجود أن كنت معدما

رآنى بعين الجود فانتهز الذى * أردت فلم أفغر اليه به فما

ظلمتك اذ لم أجزل الشكر بعدما * جعلت لدى شكرى نوالك سلما

فانك لم تركب يداك ذخيرةً * لغيرك من شكرى ولا متلوّما

وقال ليزيد بن مزيد

مُوفٍ على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أملِ

ينال بالرفق ما تعيا الرجال بهِ * كالموت مستعجلا يأتى على مهل

لا يرحل الناس إلا حول حجرتهِ * كالبيت يضحى اليه ملتقى السُّبُلِ

يَقرى المنية أرواح الكماة كما * يقرى الضيوف شحوم الكُوم والبزُل

يكسو السيوف رؤس الناكثين بهِ * ويجعل الهام تيجان القنا الذُّبلِ

قد عوّد الطير عاداتٍ وثقن بها * فهنّ يتبعنه فى كل مرتحَل

وهذا المعنى كثير

شعر أبي نواس

قال عمرو الوراق سمعت أبا نواس ينشد قصيدته

أيها المنتابُ عن عفره * لست من ليلى ولا سمره
لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المرّ من ثمره

فحسدته عليها فلما بلغ الى قوله :

واذا مجّ القنا علقاً * وترامى الموت في صوره
راح في ثِنْيَيْ مُفاضتهِ * أسدٌ يدمي شبا ظفره
تتأتى الطير غزوته * فهي تتلوه على أثره
تحت ظل الرمح تتبعهُ * ثقةً بالشبع من جزره

فقلت ما تركت للنابغة شيأ حيث يقول

اذا ما غزوا بالجيش حلّق فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائبِ
جوانح قد أيقنّ ان قبيلهُ * اذا ما التقى الجمان أول غالب

فقال: اسكت، فلئن أحسن الاختراع، فما أسأت الاتباع

أخذه الطائي فقال

وقد ظللت عقبان راياته ضحًى * بعقبان طير في الدماء نواهلِ
أقامت على الرايات حتى كأنها * من الجيش إلا أنها لم تقاتلِ

وصف جيش

وقال المتنبي يصف جيشاً

وذى لجب لاذو الجناح أمامهُ * بناجٍ ولا الوحش المثار بسالمِ
تمر عليه الشمس وهي ضعيفةٌ * تطالعه من بين ريش القشاعم
اذا ضوؤها لاقى من الطير فرجةً * تدوّر فوق البيض مثل الدراهم

شعب بوان

ونظير قول أبي الطيب فى هذا البيت وان لم يكن فى معناه وقوله يصف شِعب بَوّان، وسيأتى ، وفى هذا الشّعب يقول أبو العباس المبرد: كنت مع الحسن بن رجاء بفارس ، فخرجت الى شِعب بَوّان، فنظرت الى تربة كأنها الكافور ، ورياض كأنها الثوب الموشّى ، وماء ينحدر كأنه سلاسل الفضة ، على حصباء كأنها حصى الدر ، فجعلت أطوف فى جنباتها ، وأدور فى عرصاتها ، فاذا فى بعض جدرانها مكتوب

اذا أشرف المكروب من رأس تَلعةٍ * على شِعب بوانٍ أفاق من الكرب
وألهاه بطنٌ كالحرير لطافةً * ومطّرد يجرى من البارد العذب
وطيب رياض فى بلاد مريعةٍ * وأغصان أشجار جناها على قرب
يدير علينا الكاس من لو لحظتهُ * بعينيك سالمت المحبين فى الحب
فبالله يا ريح الشمال تحمَّلى * الى شِعب بوّان سلام فتًى صب

قال أبو العباس فأخبرت سليمان بن وهب بما رأيت فقال وقد رأيت تحت هذه الأبيات

ليت شعرى عن الذين تركنا * خلفنا بالعراق هل ذكرونا
أم يكون المدى تطاول حتى * قدم العهد بيننا فنسونا
ان جفوا حرمة الصفاء فانا * لهمُ فى الهوى كما عهدونا

وشعر المتنبي

مغانى الشّعب طيباً فى المغانى * كأيام الربيع من الزمانِ
ولكنّ الفتى العربيّ فيها * غريبُ الوجه واليد واللسان
ملاعب جِنّةٍ لو سار فيها * سليمانٌ لسار بترجمان
طبت فرساننا والخيل حتى * خشيت وان كَرُمْنَ من الحِرانِ
غدونا تنفض الاغصان فيهِ * على أعرافها مثل الجمان

فجئت وقد حجبن الشمس عنى * وجئن من الضياء بما كفانى
وألقى الشرق منها فى بنانى * دنانيراً تفرّ من البنان

ومنها :

يقول بشعب بوان حصانى * أعن هذا يُسار الى الطّعان
أبوكم آدم سن المعاصى * وعلمكم مفارقة الجنان

انما أردت هذا البيت. ومنها

لها ثمر تشير اليك منــهُ * بأشربة وقفن بلا أوانى
وأمواه يصلّ بهـــا حصاها * صليل الحلْى فى أيدى الغوانى

عود الى وصف الجيش

وأول من ابتكر هذا المعنى الاول الافوه الازدى فى قوله

وأرى الطير على آثارنا * رأى عين ثقةً أن ستُمار

وقال حميد بن ثور وذكر ذئباً

اذا ما عوى يوماً رأيت غمامةً * من الطير ينظرن الذى هو صانعُ
فهمّ بأمر ثم أزمع غيره * وان ضاق أمرٌ مرةً فهو واسع

شعر مسلم بن الوليد

وقال مسلم بن الوليد

وانى لأستحيى القنوع ومذهبى * فسيحٌ وأقلى الشح الا على عرضى
وما كان مثلى يعتريك رجاؤهُ * ولكن أساءت نعمةً من فتى محض
وانى وإسرافى عليك بهمتى * لكالمبتغى زُبْداً من الماء بالمخض

وأخذه أبو عثمان الناجم فقال

لا تحصّل بمخضك الماء إلا * زَبَداً حين رمت بالجهل زُبْداً

وصف سفينة

وقال مسلم أيضاً يصف السفينة

كشفت أهاويل الدجى عن مهولةٍ * بجارية محمولة حامل بكر
اذا أقبلت راعت بقلة فرهدٍ * وان أدبرت راقت بقادمتَيْ نسر
أطلت بمجدافين يعتورانها * وقوّمها كبح اللجام من الدبر
كأن الصبا تحكى بها حين واجهت * نسيم الصبا مشى العروس الى الخدر

أسطول المعز بالله

وقال أبو القاسم ابن هانىء يصف أسطول المعز بالله

أما والجوارى المنشئات التى سرت * لقد ظاهرتها عدة وعديد
قباب كما ترخى القباب على المها * ولكنّ من ضُمت عليه أسود
ولله مما لا يرون كتائبٌ * مسوّمة يجرى بها وجنود
أطال لها ان الملائك خلفها * فمن وقفت خلف الصفوف ردود
وان الرياح الذاريات كتائب * وأن النجوم الطالعات سعود
عليها غمام مكفهرٌّ صبيرهُ * له بارقاتٌ جمة ورعود
مواخر فى طامى العباب كأنهُ * بعزمك بأس أو لكفك جود
أنافت به آطامها وسما لها * بناء على غير العراء مَشيد
وليس بأعلى كبكب وهو شاهق * وليس من الصفّاح وهو صلود
من الراسيات الشُم لولا انتقالها * فمنها قِنان شُمّخ ورُيود
من القادحات النار تضرم بالصلى * فليس لها يوم اللقاء خمود
اذا زفرت غيظاً ترامت بمارج * كما شب من نار الجحيم وقود
تعانق موج البحر حتى كانهُ * سليط له فيه الذبال عتيد

ترى الماء منه وهو قانٍ خضابهُ * كما باشرت ردع الخلوق جلود
فأنفاسهن الحاميات صواعق * وأفواههن الزافرات حديد
يشب لآل الجاثليق سعيرها * وما هي من آل الطريد بعيد
لها شُعل فوق الغمار كأنها * دماء تلاقيها ملاحف سود
وغير المذاكي نجرها غير انها * مسوّمة تحت الفوارس قُود
فليس لها إلا الرياح أعنةٌ * وليس لها إلا العباب كديد
ترى كل فود للتليل كما انثنت * سوالف غيد أعرضت وخدود
رحيبة مدّ الباع وهي نتيجة * بغير شوًى عذراء وهي ولود
تكبرن عن نقع يثار كأنها * موال وجُرْد الصافنات عبيد
لها من شفوف العبقريّ ملابس * مفوفة فيها النضار جسيد
كما اشتملت فوق الارائك خُرَّدٌ * أو التفعت فوق المنابر صِيد
لبوس تكف الموج وهي غطامط * وتدرأ بأس اليم وهو شديد
فمنها دروع فوقها وجواشن * ومنها خفاتين لها وسرود

أسطول القائم

وقال علي بن محمد الايادي يصف أسطول القائم فاجاد ما أراد

اعجب لأسطول الامام محمد * ولحسنه وزمانه المستغربِ
لبست به الأمواج أحسن منظر * يبدو لعين الناظر المستعجب
من كل مشرفة على ما قابلت * إشراف صدر الاجدل المتنصّب
دهماء قد لبست ثياب تصنع * تسبي العقول على ثياب ترهب
من كل أبيض في الهواء منشّر * منها وأسحم في الخليج مغيب
كمراءة في البر يقطع سيرها * في البحر انفاس الرياح الشذّب
محفوفة بمجادف مصفوفة * في الجانبين دوين صلب صلّب

كقوادم النسر المرفوف عريت * من كاسيات رياشه المتهدب
وتحثها أيدي الرجال اذا ونت * بعصعد منه بعيد مصوب
خرقاء تذهب إن يد لم تهدها * في كل أوب للرياح ومذهب
جوفاء تحمل كوكباً في جوفها * يوم الرهان وتستقل بمركب
ولها جناح يستعار بطيرها * طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطارة * في كل لج زاخر مغلولب
تسمو بأجرد في الهواء متوج * عريان منسوج الذؤابة شوذب
يتركب الملاح منه دبابة * لو رام يركبها القطا لم يركب
فكأنما رام استراقة مقعد * للسمع الا أنه لم يشهب
وكأنما جن ابن داود هم * ركبوا جوانبها بأعنف مركب
سجروا جواحم نارها فتقاذفوا * منها بألسن مارج متلهب
من كل مسجور الحريق اذا انبرى * من سجنه انصلت انصلات الكوكب
عريان يقذفه الدخان كأنه * صبح يكر على الظلام الغيهب
ولواحق مثل الأهلة جنح * لحق المطالب فائتات المهرب
يذهبن فيما بينهن لطافة * ويجئن فعل الطائر المتغلب
كنضائض الحيات رحن لواعياً * حتى يقعن ببركة ماء الميزب
شرجوا جوانبه مجادف أتعبت * شأو الرياح لها ولما تتعب
تنصاع من كثب كما نفر القطا * طوراً وتجتمع اجتماع الربرب
والبحر يجمع بينها فكأنه * ليل يقرب عقربا من عقرب
وعلى كواكبها أسود خلافة * تختال في عدد السلاح المرهب
فكأنما البحر استعار بزيهم * ثوب الجمال من الربيع المذهب

لطف التودد

كتب أبو العباس بن جرير الى الفضل بن يحيى « لا أعلم منزلةً توحشني من الأمير أو توحشه مني ، لانى فى المودة له كنفسه ، وفى الطاعة كيدِه ، وانما ألطفه من فضله، وقد بعثت بعض ما يحتاج اليه فى سفره» وذكرما بعث (وكتب) غيره فى هذا المعنى « اذا كان اللطف دليل محبة ، ومِيسم قُربة ، كفى قليله عن كثيره ، وناب يسيره عن خطيره ، لاسيما اذا كان المقصود به ذاهمة لا يستعظم نفيسا ، ولا يستصغر خسيسا ، وقد حزت من هذه الصفة أجل فضائلها، وارفع منازلها » وفى هذا المعنى «ان يد الانسان طويلة بكل ما بلغت ، منبسطة بكل ما ادركت ، من حيث يد الحشمة قصيرة عن كل ما حوت ، مقبوضة دون ما املت لأن باب القول مطلق لذوى الحظوظ ، محظور عند ذوى الهموم ، ولتمكن ما بيننا عاطيتك من لطفى مالا دونه قلة، ثقةً منك بأنه يرد على مالا فوقه كثرة »

هدايا الاعياد

ومن ألفاظ أهل العصر فى إقامة رسم الهدية فى المهرجان والنيروز — فى مثل هذا اليوم الجديد ، والأوان السعيد ، سنةٌ على مثلى أن يستخف ويُلطف ، وعلى مثل سيدنا ولا مثل له أن يقبل ويشرف ، لليوم رسمٌ إن أخل به الأولياء عُدّ هفوة، وان منع منه الرؤساء حُسب جفوة ، ومولاى يسوّغنى الدالة على ما اقترن بالرقعة ، ويكسبنى بذلك الشرف والرفعة — الهدايا تكون من الرؤساء مكاثرة بالفضل ، ومن النظراء مقارنة بالمثل ، ومن الاولياء ملاطفة بالقُل ، وقد سلكت فى هذا اليوم مع مولاى سبيل أهل طبقته من الارباب ، وقد حملت الى مولاى هدية المتحفل [1] ، والنفس له ، والمال منه

---

(١) المتحفل والمحتفل معناهما واحد

التهنئة بالنيروز والمهرجان والربيع

ولهم فى التهنئة بالنيروز والمهرجان وفصل الربيع — هذا اليوم غرة فى أيام الدهر ، وتاج على مفرق العصر — أسعد الله مولانا بنوروزه الوارد عليه ، وأعاده ماشاء وكيف شاء إليه — أسعد الله تعالى سيدنا بالنوروز الطالع عليه ببركاته ، وأيمن طائره فى جميع أيامه ومتصرفاته ، ولا يزال يلبس الايام ويُبليها وهوجديد ، ويقطع مسافة نحسها وسعدها وهو سعيد — أقبل النيروز الى سيدنا ناشراً حلله التى استعارها من شيمته ، ومبديا حليته التى اتخذها من سجيته ، ومستصحبا من أنواره ما اكتساه من محاسن فضله وا كرامه ، ومن انظاره ما اقتبسه من جودده وإنعامه ، ومؤكدا للوعد بطول بقائه حتى يمل العمر ، ويستغرق الدهر — سيدنا هو الربيع الذى لايذبل شجره ، ولا يزول سحره ، ولا ينقطع ثمره ، ولا يقطع غمامه ، ولا تتبدل أيامه ، فأسعده الله تعالى بهذا الربيع المتشبه بأخلاقه ، وان لم ينل قدرها ، ولم يحمل فضلها ، ولم يجد بداً من الإقرار بها — سيدنا هو الربيع الذى يتصل مطره ، من حيث يُؤمن ضرره ، ويدوم زهره ، من حيث يتعجل ثمره ، فلا زال آمراً ناهياً ، قاهراً عالياً ، تتهيأ الأعياد بمصادفة سلطانه ، وتستفيد المحاسن من رياض احسانه — أسعد الله سيدنا بهذا النوروز الحاضر ، الجديد الناضر ، سعادة تستمر له فى جميع أيامه على العموم دون الخصوص ، لتكون متشبهات فى المواهب بها ، واتصال المسافر فيها ، لا يفرق الا بمقدار يزيد التالى عن الخالى ، ويدرج الآتى على الماضى — عرّف الله سيدنا بركة هذا المهرجان ، وأسعده فيه ، وفى كل زمان وأوان ، وأبقاه ما شاء فى ظلال الأمانى والأمان — هذا اليوم من محاسن الدهر المشهورة ، وفضائل الأزمنة المذكورة ، فلقّى الله تعالى سيدنا بركة وروده ، وأجزل حظه من أقسام سعوده — هذا اليوم من غرر الدهور ، ومواسم السرور ، معظّم فى الملك الفارسى ، مستظرف فى الملك العربى ، فوافر الله تعالى فيه على مولاى السعادات ، وعرفه فى أيامه البركات ، على الساعات واللحظات

رجل الشرطة فى نظر الحجاج

وقال الحجاج بن يوسف : دلونى على رجل للشرطة ، فقيل أى رجل تريد ؟ فقال أريد رجلاً دائم العبوس ، طويل الجلوس ، سمين الامانة ، أعجف الخيانة ، يهون عليه سباب الشريف فى الشفاعة ! فقالوا عليك بعبدالرحمن التميمى ، فأرسل اليه يستعمله ، فقال : لست أعمل لك عملا الا أن تكفينى ولدك ، وأهل بيتك ، وعُمالك ، وحاشيتك . فقال يا غلام ناد : من طلب اليه حاجةً منهم فقد برئتْ منه الذمة — وقال أشجع بن عمرو السُّلمى يمدح فى هذا المعنى ابراهيم بن عثمان بن نهيك صاحب شرطة الرشيد وكان جباراً عنيداً

فى سيف ابراهيمَ خوفٌ واقعٌ * لذوى النفاق وفيه أمن المسلم
فيبيت يكلأ والعيون هواجع * مال المضيع ومهجة المستسلم
شدّ الخطام بأنف كل مخالفٍ * حتى استقام له الذى لم يُخطم
لا يصلح السلطانَ الا شدةٌ * تُغشى البرىءَ بفضل ذنب المجرم
ومن الولاة مفخَّمٌ لا يتقى * والسيف تقطر شفرتاه من الدم
منعت مهابتك النفوس حديثها * بالامر تكرهه وان لم تعلم

كلام الاعراب

عذلت اعرابية أباها فى الجود واتلاف ماله فقالت : حَبْس المال ، أنفع للعيال ، من بذل الوجه فى السؤال ، فقد قل النوال ، وكثر البُخّال ، وقد أتلفتَ الطارف والتلاد ، وبقيت تطلب مافى أيدى العباد ، ومن لم يحفظ ما ينفعه ، أوشك أن يسعى فيما يضره . قال الأصمعى سمعت اعرابيةً تقول : اللهم ارزقنى عمل الخائفين ، وخوف العاملين ، حتى أنعم بترك التنعم ، رجاء لما وعدت ، وخوفا مما أوعدت . وقال آخر : اللهم من أراد بنا سوءاً فأحطه به كإحاطة القلائد ،

بأعناق الولائد ، وارسخه على هامته ، كرسوخ السجّيل ، على هام أصحاب الفيل. وقال بعض الاعراب : تالتنا وسمى ، وخلفه ولى ، فالأرض كأنها وشى عبقرى ، ثم أتتنا غيوم جراد ، بمناجل حراد ، فخربت البلاد ، وأهلكت العباد ، فسبحان من يهلك القوى الأكول ، بالضعيف المأكول

أبو العباس السفاح

وقال عمارة بن حمزة لأبى العباس السفاح وقد أمر له بجوائزه نفيسة ، وكسوة وصلة ، وأدنى مجلسه « وصلك الله يا أمير المؤمنين وبرّك ، فوالله لئن أردنا شكرك على كنه صلتك ، فان الشكر ليقصر عن نعمتك ، كما قصرنا عن منزلتك ، ثم ان الله تعالى جعل لك فضلا علينا بالتقصير منا ، ولم تحرمنا الزيادة منك لنقص شكرنا. وقال أبو العباس السفاح لخالد بن صفوان « كيف علمك باخوالى بنى الحرث ابن كعب ؟ قال يا أمير المؤمنين هم هامة الشرف ، وعرنين الكرم ، وفيهم خصال ليست فى غيرهم من قومهم ، هم أحسنهم أمما ، وأكرمهم شيما ، وأهناهم طعما ، وأوفاهم ذمما ، وأبعدهم هما ، هم الجمرة فى الحرب ، والرأس فى كل خطب ، وغيرهم بمنزلة العجب (١)

عمر بن عبد العزيز

وعزى خالد بن صفوان عمر بن عبد العزيز وهنأه بالخلافة فقال « الحمد لله الذى من على الخلق بك ، والحمد لله الذى جعل موتكم رحمة ، وخلافتكم عصمة ، ومصائبكم أسوة ، وجعلكم قدوة

---

(١) العجب ، بفتح فسكون ، أصل الذنب ومؤخر كل شيء

خالد بن صفوان

وقال خالد بن صفوان لبعض الولاة « قدمت وأعطيت كلا قسطه من نظرك ومجلسك ، فى صوتك وعدلك ، حتى كأنك من كل أحد ، وحتى كأنك لست من أحد » وقال رجل لخالد « ان أباك كان دميا ، ولكنه كان حليما ، وإن أمك كانت حسناء ، ولكنها كانت رعناء ، فياجامع شر أبويه !

مساوي الاخلاق

شذور فى المقابح ومساوى الأخلاق

على بن عبيدة الريحانى : أدنس شعار المرء جهله (ابن المعتز) نعم الجاهل كالرياض فى المزابل ، — كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد فيها قبحاً — لسان الجاهل مفتاح حتفه — لاترى الجاهل الا مُفْرطاً أو مفرّطاً (الجاحظ) البخل والجبن غريزة واحدة ، يجمعهما سوء الظن بالله — البخل يهدم مبانى الشرف وقال ابن المعتز : لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوى الكمال ، استعانوا بالكبر ليعظم صغيراً ، ويرفع حقيراً ، وليس ينفع الطمع فى وثاق الذل — الغضب يصدىء العقل حتى لايرى صاحبه صورة حسن فيرتكبه ، ولا صورة قبيح فيجتنبه — الغضب ينبىء عن كامن الحقد — من أطاع غضبه أضاع أدبه — حدة الغضب تعثر المنطق ، وتقطع مادة الحجة ، وتفرق الفهم — غضب الجاهل فى قوله ، وغضب العاقل فى فعله — عقوبة الغضب تبدأ بالغضبان ، تقبّح صورته ، وتثلم دينه ، وتعجل ندمه — ما أقبح الاستطالة عند الغنى ، والخضوع عند الفقر — من يهتك ستر غيره تكشف عورة بنيه — نفاق المرء من ذلة الشرير ، لايظن بالناس خيراً لانه يراهم بعين طبعه — من عدد نعمه محق كرمه — خلف الوعد خلق الوغد — من أسرع كثر عثاره

بين كاتب ونديم

فاخر كاتب نديما فقال الكاتب : أنامعونة ، وأنت مؤُنة ، وأنا للجد ، وأنت للهزل ، وأنا للشدة ، وأنت للذة ، وأنا للحرب ، وأنت للسلم ، فقال النديم : أنا للنعمة ، وأنت للخدمة ، وأنا للحضرة ، وأنت للمهنة ، تقوم وأنا جالس ، وتحتشم وأنا مؤانس ، تدأب لراحتى ، وتشقى لسعادتى ، فأنا شريك ، وأنت معين ، كما أنك تابع ، وأنا قرين

السيف والقلم

فاخر صاحب سيف صاحب قلم فقال صاحب القلم : أنا أقتل بلا غَرَر ، وأنت تقتل على خطر ، فقال صاحب السيف : القلم خادم السيف ، ان تمّ مراده ، وإلا فالى السيف معاده — قال أبوتمام

السيف أصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعبِ

ابراهيم بن المهدى

فقد تلين لبعض القول تبذلهُ * والوصل فى جبل صعبٌ مراقيهِ
كالخيزران منيعٌ حين تكسرهُ * وقد يُرى ليّنا فى كف لاويه

أبو الهندام عامر بن عمارة المرى يرثى

سأبكيك بالبيض الرّقاق وبالقنا * فان بها ما أدرك الواتر الوترا
ولسنا كمن يبكى أخاه بعبرةٍ * يعصّرها من ماء مقلته عصراً
ولكننى أشفى فؤادى بغمرةٍ * وألهب فى قُطْرَىْ جوانبه جمرا
وإنا أناس لا تفيض دموعنا * على هالكٍ منا وان قصم الظهرا

وصايا الحكماء

— ١ —

لقى رجل حكيما فقال: كيف ترى الدهر ؟ قال يُخلق الأبدان ، ويجدد الآمال ، ويقرب المنية ، ويباعد الأمنية . قال فما حال أهله؟ قال من ظفر منهم لغِب ، ومن فاته نصِب ، قال فما يغنى عنه ؟ قال قطع الرجاء منه ، قال فأى الأصحاب أبر وأوفى؟ قال العمل الصالح والتقوى ، قال أيهم أضر وأردَى ؟ قال النفس والهوى ، قال فأين المخرج ؟ قال سلوك المنهج ، قال فما الجود ؟ قال بذل المجهود ، وترك الراحة ، ومداومة الفكرة ، قال أوصنى قال قد فعلت

— ٢ —

قال بعض الملوك لحكيم من حكمائه: عظنى بعظة تنفى عنى الخيلاء ، وتزهدنى فى الدنيا ، قال فكر فى خلقك ، واذكر مبدأك ومصيرك ، فاذا فعلت ذلك صغرت عندك نفسك ، وعظم بصغرها عندك عقلك ، فان العقل أنفعهما لك عِظَما ، والنفس أزينهما لك صِغَراً ، قال الملك فان كان شىء يعين على الأخلاق المحمودة فصفتك هذه ، قال صفتى دليل ، وفهمك محجة ، والعلم عِلّية ، والعمل مطية ، والاخلاص زمامها ، فخذ لعقلك ما يزينه من العلم ، وللعلم ما يصونه من العمل ، وللعمل ما يحققه من الاخلاص ، وأنت أنت ! قال صدقت

أغنياء النفوس

وقال ابن الرومى

تَغنَوْن عن كل تقريظ بمجدكمُ * غِنَى الظباء عن التكحيل والكحلِ
تلوح فى دُوَل الأيام دولتكم * كأنها ملة الاسلام فى المللِ

وقال أيضاً

كل الخصال التى فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الأخلاق والخِلَقُ

كأنكم شجر الاترجّ طاب معا * حملا ونَوْراً وطاب العود والورقُ

وقال البستى

فتى جمع العلياء علماً وعفةً * وبأساً وجوداً لا يفيق فواقا
كما جمع التفاح حسناً ونضرةً * ورائحةً محبوبةً ومذاقا

أبو دلف

قال أبو العباس المبرد حدثنى عجل بن أبى دلف قال : امتدح رجل أبى بكلمة فوصله بخمسمائة دينار ولم يره، وهى

مالى ومالك قد كلفتنى شططاً * حمل السلاح وقول الدارعين قفِ
أمن رجال المنايا خِلتنى رجلاً * أمسى وأصبح مشتاقاً الى التلف
أرى المنايا على غيرى فأكرهها * فكيف أمشى اليها بارز الكتِفِ
أخِلْتَ أن سواد الليل غيّرنى * وان قلبىَ فى جنْبَىْ أبى دُلَفِ

أبو البحترى

قلت هذا كحديث الذى دخل فى قوم يشربون النبيذ فسقوه غير ما يشربون فقال

نبيذان فى مجلس واحدٍ * لإيثار مُثْرٍ على مقترِ
فلو كنت تفعل فعل الكرام * فعلت كفعل أبى البحترى
تتبّع اخوانه فى البلاد * فأغنى المقلّ عن المكثر

فاتصل شعره بأبى البحترى فأعطاه ألف دينار ولم يره

أحمد بن أبي العيناء

والأبيات التي مدح بها أبو دلف هي لأحمد بن أبي العيناء ، وكان شاعراً مجيداً ، وهو القائل

ولما أبت عيناي أن تملك البكا * وأن تحبسا سحَّ الدموع السواكب

تثاءبت كي لا ينكر الدمعَ منكرٌ * ولكن قليلاً ما يفيد التثاؤبُ

أعرّضتماني للهوى ونممتما * عليّ لبئس الصاحبان لصاحب

وقال

وحياة هجرك غير معتمدٍ * الا لقصد الحنث في الحلفِ

ما أنت أملح من رأيت ولا * كلَفي بحبك منتهى كلفي

قال الصولي : كنا بحضرة أبي العباس المبرد فأنشد هذين البيتين فاستظرفهما وأنشد في ذلك

وحياة عزك غير معتمد بهِ * حنثاً ولكن مُعظِما لحياتكا

ما يرتقي طمعي وان أطمعتني * في الوعد منك الى اقتضاء عداتكا

وقال الخثعمي

ولم أر مثل الصد أدعى الى الهوى * اذا كان ممن لا يخاف على وصلِ

وآلت يميناً كالزجاج رقيقةً * وما حلفت الا لتحنث من أجلي

وكان أحمد بن أبي العيناء اسود ، ولذلك قال

* أخلت ان سواد الليل غيّرني *

ولما دخل على المعتز وامتدحه قال : هذا الشعر بالادم أشبه ، فقال بعض من حضر لا يضره سواده مع بياض أياديك عنده ، قال أجَلْ ، ووصله (أخذ قوله)

* أرى المنايا على غيري فأكرهها *

من قول اعرابي قيل له : ألا تغزو ؟ قال أنا والله أكره الموت على فراشي ، فكيف أخرج اليه ركضاً

الاستطراد

وهذا المذهب الذى سلكه أحمد ضرب من البديع يسمى الاستطراد ، وذلك أن الفارس يظهر انه يتطرد لشئ ويبطن غيره ، فيكر عليه ، وهذا الشاعر يظهر انه يذهب لمعنى فيعن له آخر فيأتى به ، كأنه على غير قصد ، وعليه يبنى ، واليه كان مغزاه ، وقد أكثر المحدثون منه فأحسنوا فى ذلك

اسحق الموصلى

قال الأصمعى كنت عند الرشيد فدخل عليه اسحق بن ابراهيم الموصلى فقال أنشدنى من شعرك فأنشده

وآمرةٍ بالبخل قلت لها اقصرى * فليس الى ما تأمرينَ سبيلُ
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى * بخيلاً له فى العالمين خليلُ
ومن خير حالات الفتى لو علمته * اذا نال شيأ أن يكون منيل
فَعالى فعال المكثرين تجملا * ومالى كما قد تعلمين قليلُ
وكيف أخاف الفقر أو احرم الغنى * ورأى أمير المؤمنين جميلُ

فقال الرشيد لحاجبه أعطه عشرين ألفا ، ثم قال لله أبيات تأتينا بها يا اسحق ما أتقن أصولها ، وأبين فصولها ، وأقل فضولها ، فقال والله يا أمير المؤمنين لا أقبل منها درهما ، قال ولم ؟ قال لأن كلامك خير من شعرى ، فقال يا فضل ادفع اليه عشرين ألفاً أخرى ، قال الأصمعى فعلمت انه أصيد لدراهم الملوك منى

ابو تمام والبحترى

(ومن ذلك) (١) قول ابى تمام يصف فرسا

وسابح هَطِلِ التعداء هتّانِ * على الجراء أمينٍ غير خوّانِ

(١) أى من الاستطراد

أظمى الفصوص ولم تظمأ قواتُهُ * فجلّ عينك فى ريّانَ ظمآنِ
فلو تراه مُشيحاً والحصى زِيَمٌ * بين السنابك من مثنى ووحدانِ
أيقنت إن لم تَثبت أن حافرهُ * من صخر تدمرَ أو من وجه عثمانِ

وقد احتذى البحترى هذا الحذو فى حمدويه الاحول ، وكان حمدويه هذا عدوا للممدوح ، فقال

وأغرّ فى الزمن البهيم محجلٍ * قد رحت منه على أغرّ محجلِ
كالهيكل المبنىّ الا انهُ * فى الحسن جاء كصورةٍ فى هيكل
ملك العيون فان بدا أعطينهُ * نظر المحب الى الحبيب المقبلِ
ما ان يعاف قذى ولو أوردتهُ * يوما خلائق حمدويه الاحول

وفى قصيدته هذه يحكى أن البحترى قال له أصحابه انك ستعاب بهذا البيت لانك سرقته من ابى تمام ، قال أعاب أحد علىّ أحداخذى من أبى تمام ، والله ماقلت شعراً قط الا بعد ان أحضرت شعره فى فكرى ، قال وأسقط البيت بعد فلا يوجد فى أكثر النسخ

سبق المتقدمين الى الاستطراد

وهذا معنى قد اعجب المحدثين وتخيلوا أنهم لم يسبقوا اليه ، وقد تقدم لمن قبلهم ، قال الفرزدق

كأن فقاح الازد حول ابن مسمع * اذا جلسوا أفواه بكر بن وائلِ

قال الحاتمى واتى جرير بهذا النوع فخنى فى وجه السابق الى هـذا المعنى فضلا عمن تلاه فانه استطرد فى بيت واحد وهجا فيه ثلاثة فقال

لما وضعت على الفرزدق ميسمى * وعلى البعيث جدعت أنف الاخطل

وقيل هذا البيت مما يرد على الحاتمى وهو قوله

أعددت للشعراء كأساً مرة * فسقيت آخرهم بكأس الاولِ

قال أبو إسحق وأول من ابتكره السموأل بن عادياء اليهودى وكل أحد تابع له فقال

وإنا أناس لانرى القتل سبةً * اذا ما رأته عامرٌ وسلولُ
يقرّب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

طرفة بن العبد

وقد قال طرفة فى هذا المعنى

فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد * ولو شاء ربى كنت عمرو بن مرثدِ
فأصبحت ذا مال كثير وعادنى * بنون كرام سادة لمسود

قيس بن خالد ذو الجدين الشيبانى وعمرو بن مرثد سيد بنى قيس بن ثعلبة فدعا طرفة لما بلغه ذلك فقال أما البنون فان الله يعطيك ولكن لانريم حتى تكون من أوسطنا حالا ، وأمر بنيه وكانوا عشرة فدفع اليه كل واحد منهم عشرا من الابل ، فانصرف بمائة ناقة

ابن عبدل

وكان ابن عبدل منقطعا الى عبد الكريم بن بشر بن مروان ، فتأخر عنه بره وغاب اياما ثم اتاه فسأله عن غيبته ، فقال : خطبت ابنة عمى بالسواد فزعمت أن لها ديونا واسلافا هناك ، وانى اذا جمعت لها صارت الى محبتى ، ففعلت ذلك فلما استنجزتها كتبت الىّ

سيخطيك الذى أملت منى * اذا انتقضت عليك قُوَى حبالى
كما اخطاك معروف بن بشر * وكنت تعد ذلك رأس مالِ

فقال ماأحسن ماألطفت بالسؤال ! وأجزل صلته

بشار بن برد

(ومن) بديع هذا الباب [١] قول بشار بن برد

خليليّ من كعب أعينا أخاكما * على دهره ان الكريم معينَ

ولاتبخلا بخل ابن قزعة انهُ * مخافة ان يُرجى نداه حزينُ

اذا جئته فى حاجة سد بابهُ * فلم تلقه الا وأنت كمين

فقل لابى يحيى متى تبلغ العلا * وفى كل معروف عليك يمين

بكر بن النطاح

وقال بكر بن النطاح يمدح مالك بن طوق

عرضت عليهاما أرادت من المنى * لترضى فقالت قم فجئنى بكوكبِ

فقلت لها هـذا التعنت كلهُ * كمن يشتهى لحماً لعنقاء مغرب

سلى كل أمر يستقيم طِلابهُ * ولاتذهبى يابدرلى كل مذهب

فاقسم لو أصبحت فى عز مالك * وقدرته ما رام ذلك مطلبى

فتىً شقيت أمواله بسماحهِ * كماشقيت قيس بارماح تغلب

عبد الاعلى بن عبد الله

اعتذر رجل الى رجل بحضرة عبد الأعلى بن عبد الله فلم يقبل عذره فقال عبد الأعلى أما والله لئن كان احتمل إثم الـكذب ودناءته ، وخضوع الاعتذار وذلته ، فعاقبته على الذنب الذاهب ، ولم تشكر له إنابة التائب ، انك لمن يسيء ولا يحسن

---

(١) كذلك يريد الاستطراد

شعر الحطيئة

وقال الحطيئة

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها * وان غضبوا جاء الحفيظة والجد

أقلوا عليهم لا أبا لابيكمُ * من اللوم أوسُدوا المكان الذى سدوا

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا * وان وعدوا أوفوا وان عقدوا شدوا

وان كانت النعماء فيهم جزوا بها * وان أنعموا لا كدّروها ولا كدوا

وان قال مولاهم على كل حادث * من الدهر رُدوا فضل احلامكم رَدوا

ويعذلنى أبناء سعد عليهمُ * وما قلت إلا بالذى علمت سعد

شاعر باهلى فى حضرة الرشيد

أوفد سعيد بن سالم على الرشيد شاعراً باهلياً فأنشده قصيدة حسنة فاستراب به الرشيد وقال: اسمعك مستحسنا وا كرمك متهما، فان كنت صاحب هذا الشعر فقل فى هذين، وأشار الى الأمين والمأمون وكانا جالسين، فقال يا أمير المؤمنين حملتنى على غير الجدد: هيبة الخلافة، ووحشة الغربة، وروعة المفاجأة، وجلالة المقام، وصعوبة البديهة، وشرود القوافى، على غير الروية، فليمهلنى أمير المؤمنين حتى يتألف نافر القول، فقال الرشيد: لا عليك أن لا تقول، قد جعلت اعتذارك، عوض امتحانك. فقال يا أمير المؤمنين نفّست الخناق، وسهلت ميدان السباق، ثم قال

بنيت لعبد الله بعد محمد * ذُرى قبة الاسلام فاخضر عودها

هما طنباها بارك الله فيهما * وأنت أمير المؤمنين عمودها

فقال الرشيد: وانت بارك الله فيك، سل ولا تكن مسئلتك دون احسانك، فقال: الهنيدة يا أمير المؤمنين! فامر له بها، وبخلع نفيسة، وصلة جزيلة

يزيد بن أبى مسلم

دخل يزيد بن ابى مسلم كاتب الحجاج على سليمان بن عبد الملك فازدراه ونبت عينه عنه ، فقال ما رأت عينى كاليوم قط ، لعن الله امرأ أجرّك رسنه ، وحكمّك فى أمره ، فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذلك ، فانك رأيتنى والأمر عنى مدبر ، وعليك مقبل ، فلو رأيتنى والأمر علىّ مقبل ، وعنك مدبر ، لاستعظمت منى ما استصغرت ، واستكبرت ما استقللت ، قال عزمت عليك يا ابن ابى مسلم لتخبرنّى عن الحجاج ، أتراه يهوى فى جهنم أم قد قربها ، فقال يا أمير المؤمنين لا تقل هذا فى الحجاج ، وقد بذل لكم النصيحة ، وأمّن دولتكم ، وأخاف عدوكم ، وكأنى به يوم القيامة وهو عن يمين أبيك ، ويسار أخيك ، فاجعله حيث شئت ، فقال له سليمان : اعزب الى لعنة الله! نخرج ، فالتفت سليمان الى جلسائه فقال : قاتله الله ما أحسن بديهته ، وترفيعه لنفسه ولصاحبه ! وقد أحسن المكافأة فى الصنيعة خلوا عنه

ابراهيم ابن العباس الموصلى

قال ابراهيم بن العباس الموصلى والله ما اتكلت فى مكاتبة قط الا على ما يجيله خاطرى ، ويجيش به صدرى ، الا قولى فى فصل « وصار ما كان يحرزهم يبرزهم ، وما كان معقلهم يعقلهم » وقولى فى رسالة أخرى « فأنزلوه من معقل الى عقال ، وبدلوه آجالا بآمال » فانى ألممت فى هذا بقول الصريع

مُوفٍ على مهجٍ فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أملِ

وفى المعنى الاول بقول أبى تمام

فان يبن حيطاناً عليه فانما * أولئك عُقّالاته لا معاقلُهْ

وكان يقول ما تمنيت كلام احد أن يكون لى إلا قول عبد الحميد بن يحيى

الناس أصناف متباينون ، وأطوار متفاوتون ، منهم علق فضة لا يباع ، وغل مضنة لا يبتاع (ورد) كتاب بعض الكتاب الى ابراهيم بن العباس بذم رجل ومدح آخر فوقع فى كتابه « اذا كان للمحسن من الجزاء ما يقنعه ، وللمسيء من النكال ما يقمعه ، بذل المحسن الواجب على رغبة ، وانقاد المسيء للحق رهبة » فوثب الناس يقبلون يده (ووقع) لرجل متّ اليه بحرمة « تقدمت بحرمة مألوفة ووسيلة معروفة ، أقوم بواجبها ، وارعاها من جميع جوانبها »

وابراهيم بن العباس هو القائل

لنا إبل كُومٌ يضيق بها الفضا * وتغبرّ منها أرضها وسماؤها

فمن دونها أن تستباح دماؤنا * ومن دوننا أن تستدام دماؤها

حمًى وقِرًى فالموت دون مرامها * وأيسر خطب يوم حق فناؤها

وقال الصولى وجدت بخط عبدالله بن أبى سعيد ابراهيم بن العباس أنشده لنفسا

وعلمتنى كيف الهوى وجهلتهُ * وعلمكم صبرى على ظلمكم ظلمى [(١)]

وأعلم مالى عندكم فيردّنى * هوایَ الى جهلى فارجع عن علمى

فقلت أسبقك الى هذا أحد ؟ فقال العباس بن الاحنف بقوله

تجنّب يرتاد السلو فلم يجدْ * له عنك فى الارض العريضة مذهبا

فعاد الى أن راجع الوصل صاغراً * وعاد الى ما تشتهين وأعتبا

قال الصولى وأظن ان ابن أبى سعيد غلط فى هذا المعنى لأن الاشبه بقول ابن العباس « فعاد الى أن راجع الوصل صاغرا » قوله

كم قد تجرعت من غيظ ومن حُرقٍ * اذا تجدّد حزنٌ هوّن الماضى

وكم سخطت وما بالَيْتُمُ سَخَطى * حتى رجعت بقلب ساخطٍ راضى

---

(١) ارجع الى هذه المعانى الوجدانية فى كتاب « البدائع »

وأنشد له

لمن لا أرى أعرضت عن كل من أرى * وصرت على قلبى رقيبا لقاتله
أدافعه عن سلوةٍ وأرده * حنينا الى أوصابه وبلابله

وقال فى هذا النحو

وأنت هوى النفس من بينهم * وأنت الحبيب وأنت المطاعُ
ومابك إن بعدوا وحدة * ولا معهم ان بعدت اجتماعُ

وقال الطائى

اذا جئت لم أحزن لبعد مفارقٍ * وان غبت لم أفرح بقرب مقيمِ
فياليتنى افديك من غربة النوى * بكل أخ لى واصل وحميم

وأصل هذا من قول مالك بن مسمع للأحنف بن قيس « ما أشتاق للغائب اذا حضرت ، ولا أنتفع بالحاضر اذا غبت » وقال ابرهيم بن العباس

تدانت بقوم عن تناءٍ زيارةٌ * وشطّ بليلى عن دنوٍّ مزارها
وان مقيماتٍ بمنعرَج اللوى * لأقرب من ليلى وهاتيك دارها
وليلَى كمثل النار ينفع ضوؤها * بعيدا نأى عنها ويُحرق جارها

كأنه نظر الى قول النظار الفقعسى

يقولون هذى أم عمرو قريبةٌ * دنت بك أرض نحوها وسماء
ألا انما بعد الخليل وقربهُ * اذا هو لم يُوصَلْ اليه سواء

وقوله وليلى كمثل النار كقول العباس بن الاحنف

أحرم منكم بما أقول وقد * نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأنى ذبالة نصبت * تضئ للناس وهى تحترق

وقال ابراهيم بن العباس

أميل مع الصديق على ابن أمى * وآخذ للشفيق من الشقيق

وان ألفيتنى حرا مطاعاً * فانك واجدى عَبْدَ الصديق
أفرّق بين معروفى ومَنّى * وأجمع بين مالى والحقوق

رثاء مصلوب

قال العقيلى يرثى صديقا له أخذ فى خزية فقتل وصلب

لعمرى لئن أصبحت فوق مشذّب * طويل تُصفّيك الرياح مع القطر
لقد عشت مبسوط اليدين مبرزاً * وعُوفيت عند الموت من ضغطة القبر
وأفلتّ من ضيق التراب وغمه * ولم تفقد الدنيا فهل لك من شكر
فما تشتفى عيناىَ من دائم البكا * عليك ولو أنى بكيت الى الحشر
فطوبى لمن يبكى أخاه مجاهراً * ولكننى أبكى لفقدك فى سرى

محمد بن كثير

كتب محمد بن كثير الى هرون الرشيد « يا أمير المؤمنين ، لولا حظ كرم الفعل فى مطالع السؤال ، لألهى المطل قلوب الشاكرين ، ولصرف عيون الناظرين الى حسن المحبة ، فأى الحالين يبعد قولك ، عن مجاز فعلك ؟ فقال هرون الرشيد هذا الكلام لا يحتمل الجواب ، اذ كان الاقرار به يمنع من الاحتجاج عليه

يحيى بن أكثم

وقال يحيى بن أكثم للمأمون يذكر حاجة له قد وعده بقضائها ، وأغفل ذلك «أنت يا أمير المؤمنين أكرم من ان نعرض لك بالاستنجاز ، ونقابلك بالادكار ، وأنت شاهدى على وعدك ، لا تأمر بشئ لم تتقدم أيامه ، ولا يقدر زمانه ، ونحن أضعف من ان يستولى علينا صبر انتظار نعمتك ، وأنت الذى لا يؤده احسان ، ولا يعجزه كرم ، فعجل لنا يا أمير المؤمنين ما يزيدك كرماً ، وتزداد به نعما ، وتتلقاه بالشكر الدائم » فاستحسن المأمون هذا الكلام وأمر بقضاء حاجته

عمرو بن مسعدة

قدم على المأمون رجل من أبناء الدهاقين وعظمائهم ، من أهل الشام ، على عِدَة سلفت له من المأمون ، من توليته بلده ، وأن يضم اليه مملكته ، فطال على الرجل انتظار خروج أمر أمير المؤمنين بذلك ، فقصد عمرو بن مسعدة وسأله ايصال رقعة الى المأمون من ناحيته ، فقال اكتب بما شئت فانى موصله ، قال فتولّ ذلك عنى ، حتى تكون لك نعمتان . فكتب عمرو « ان رأى أمير المؤمنين ان يفك أسْر عِدَتِهِ من ربقة المطل ، بقضاء حاجة عبده ، والاذن له بالانصراف الى بلده ، فعل موفقاً » فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمراً وجعل يعجب من حسن لفظها ، وايجاز المراد فيها ، فقال له عمرو : فما نتيجتها يا أمير المؤمنين ؟ قال الكتابة له فى هذا الوقت بما سأل ، لئلا يتأخر فضل استحساننا كلامه ، وبجائزة تفى دناءة المطل . ومن كلام عمرو بن مسعدة « أعظم الناس أجراً ، وأنبههم ذكراً ، من لم يرض بموت العدل فى دولته ، وظهور الحجة فى سلطانه ، وايصال المنافع الى رعيته فى حياته ، حتى احتال فى تخليد ذلك فى الغابرين ، عنايةً بالدين ، ورحمةً بالرعية ، وكفاية لهمْ من ذلك ، ولو عنوا باستنباطه لكان يعرض أحد الأمرين ، إما الكد عن اصابة الحق فيه لكثرة مايعرض من الالتباس ، وإما اصابة الرأى بعد طول الفكرة ، ومقاساة التجارب ، واستغلاق كثير من الطرق الى دركه ، وأسعد الرعاة من دامت سعادة الحق فى أيامه ، وبعد وفاته وانقراضه »

فضل الايجاز

وقف رجل لسويد بن منجوف وقد أطال الخطبة بكلام افتتحه للصلح بين قوم من العرب « يا هذا أتيت مرعًى غير مرعاك ، أفلا أدلك عليه ؟ قال نعم قال

قل « أما بعد فان فى الصلح بقاء الأحوال والآجال ، وحفظ الأموال ، والسلام ».
فلما سمع القوم هذا الكلام تعانقوا وتواهبوا الترات

أبو مسلم

قال عبد الله بن شبرمة لما أمر أبو مسلم بمحاربة عبد الله بن على دخلت عليه فقلت « أيها الأمير ، تريد عظيما من الأمر؟ » قال وما هو ؟ قلت عم أمير المؤمنين وهو شيخ قومه ، مع نجدة ، وبأس ، وحزم ، وحسن سياسة . فقال لى ابن شبرمة أنت بحديث تعرب عن معانيه ، وشعر توضح قوافيه ، أعلم منك بالحرب ، ان هذه دولة قد اطّردت أعلامها ، وامتدت أيامها ، فليس لمناويها ، والطامع فيها ، يد تنيله الوثوب عليها ، فاذا ولت أيامها فدع الوزغ يذنّبه فيها . قال بعض حكماء خراسان لما بلغنى خروج أبى مسلم أتيت عسكره لأنظر الى تدبيره وهيبته، فأقمت فيه أياماً ، فبلغنى عنه شدة عُجْب ، وكِبر ظاهر ،فظننت انه تحلى بذلك لعىّ فيه أراد أن يستره بالصمت ، فتوصلت اليه بحيث أسمع كلامه ، وأغيب عن بصره ، فسلمت فرد رداً جميلا ، وأمر بادخال قوم يريد تنفيذهم فى وجه من الوجوه ، وقد عقدوا لرجل منهم لواء ، فنظر اليهم ساعة متأملا لهم ، وقال : افهموا عنى وصيتى لكم ، فانها أجدى عليكم من كثرة تدبيركم ، وبالله التوفيق ، قالوا نعم أيها السالار ومعناه السيد بالفارسية ، فسمعته يقول ومترجم يحكى كلامه بالفارسية لمن عبر له عنه بالعربية « أشعروا قلوبكم بالجراءة ، فانها سبب الظفر ، وأكثروا ذكر الضغائن فانها تبعث على الإقدام ، والزموا الطاعة فانها حصن المحارب ، وعليكم بعصبة الاشراف ، ودعوا عصبة الدناء ، فان الأشراف تظهر بأفعالها ، والدناء بأقوالها »

وذكر ادريس بن معقل أبا مسلم فقال بمثل أبى مسلم يُدرك ثار ، ويُنفى عار، ويؤكد عهد ، ويُبرم عقد ، ويسهل وعر ، ويخاض غَمْر ، ويُقلع ناب ، ويفتح باب .

حساب الخلفاء

قال رجل لأبى جعفر المنصور : أين ما تُحُدِّثَ به فى أيام بنى أميــة ، ان الخلافة اذا لم تقابل بانصاف المظلومين ، ولم تعامل بالعدل فى الرعية ، وقسمة الفىء بالسوية ، صار عاقبة أمرها بواراً ، وحاق بولاتها سوء العذاب ؟ قال فتنفس ثم قال قد كان ما تقول ، ولـكننا يا أخى استعجلنا الفانية على الباقية ، وكأن قد انقضت هذه الدار ، فقال له الرجل فانظر على أى حالة تنقضى

أبو الدوانيق

وقال أبو الدانيق وكان فصيحاً بليغاً « عجباً لمن أصار علمه غرضاً لسهام الخطايا ، وهو عارف بسرعة المنايا ، اللهم إن تقض للمسلمين صفحاً فاجعلنى منهم وإن تهب للظالمين فسحاً فلا تحرمنى ما يتطوّل به المولى على أحسن عبيده »

الاحنف بن قيس

وسئل الاحنف بن قيس عن العقل ؟ فقال رأس الأشياء : فيه قوامها ، وبه تمامها ، وهو سراج مابطن ، وملاك ما علن ، وسائس الجد ، وزينة كل أحد لا تستقيم الحياة إلا به ، ولا تدور الامور إلا عليه (ولما) خطب زياد خطبته المشهورة قام الأحنف بن قيس فقال : الفرس بشدّه ، والسيف بحدّه ، والمرء بجدّه ، وقد بلغ بك جدك ما أرى ، وإنما الثناء بعد البلاء ، فانا لا نثنى حتى نبلو

بن الزيات

وكتب ابن الزيات عهد الواثق على مكة بحضرة المعتصم « أما بعد فان أمير المؤمنين قد قلدك مكة وزمزم ، تراث أبيك الأقدم ، وجدك الأكرم ، وركضة

جبريل ، وسقيا اسمعيل ، وحفر عبد المطلب ، وسقاية العباس ، فعليك بتقوى الله تعالى ، والتوسعة على أهل بيته

وكتب : لو لم يكن من فضل الشكر الا أنك لا تراه الا بين نعمة مقصورة عليه وزيادة منتظرة له ، ثم قال لمحمد بن رباح كيف ترى ؟ قال كأنهما قرطان بينهما وجه حسن ، ومع ذلك ذكر ابن الزيات أمر الحرم بتعظيم وتفخيم

التهنئة بالحج

ألفاظ لأهل العصر فى التهنئة بالحج وتفخيم الحرم وأمر المناسك والمشاعر وما يتصل بها من الأدعية — قصد البيت العتيق ، والمطاف الكريم ، والملتزَم النبيه ، والمستلَم النزيه — وقف بالمعرف العظيم ، وورد زمزم والحطيم ، حرم الله الذى أوسعه للناس كرامة ، وجعله لهم مثابة ، وللخليل خلة ، وللذبيح خطة ، ولمحمد صلى الله عليه وسلم قبلة ، ولأمته كعبة ، ودعى اليه حتى لبى من كل مكان سحيق وأسرع نحوه من كل فج عميق ، يعود عنه من وفق وقد قبلت توبته ، وغفرت حوبته ، وسعدت سفرته ، وانجحت أوبته ، وحمد سعيه ، وزكا حجه ، وتقبل عجه وثجه — انصرف مولاى عن الحج الذى انتضى له عزاءمه ، وأنضى فيه رواحله ، وأتعب نفسه بطلب راحتها ، وأنفق ذخائره بشراء سعة الجنة وساحتها فقد زكت ان شاء الله تعالى أفعاله ، وتقبلت أعماله ، وشكر سعيه ، وبلغ هديه قد ثقلت عن ظهرك الثقل العظيم ، وشاهدت الموقف الكريم ، ومحصت عن نفسك بالسعى من الفج العميق ، الى البيت العتيق — حمداً لمن سهل عليك قضاء فريضة الحج ، ورؤية المشعر والمقام ، وبركة الأدعية والموسم ، وسعادة أفنية الحطيم وزمزم — قصد أكرم المقاصد ، وشهد أكرم المشاهد ، فورد مشارع الجنة ، وخيّم بمنازل الرحمة — قد جمعت مواهب الله لك : الحج أديت فرضه ،

وحرم الله وطئت أرضه ، والمقام الكريم قمته ، والحجر الأسود استلمته ، وزرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم مشافهاً لمسجده ، وشاهداً لمشهده ، وشاهداً باديه ومحضره ، وماشياً بين قبره ومنبره ، ومصلياً عليه حيث صلى ومتقرباً اليه بالقربة العظمى ، وعدت وسعيك مشكور ، وذنبك مغفور ، وتجارتك الرابحة ، والبركات عليك غادية ورائحة — تلقى الله دعاك بالإجابة ، واستغفارك بالرضا ، وأملك بالحج ، وجعل سعيك مشكوراً ، وحجك مبروراً — عرف الله تعالى مولانا مناهج مانواه ، وقصده وتوخاه ، ما يسعده في دنياه ، ويحمد عقباه

شعر قطري بن الفجاءة

قال أبو حاتم أتيت أبا عبيدة ومعي شعر عروة بن الورد فقال لي ما معك ؟ قلت شعر عروة. قال شعر فقير ، يحمله فقير ، ليقرأه على فقير ! قلت ما معي غيره فأنشدني أنت ما شئت فأنشدني

يارُب ظل عُقاب قد وقيت بهِ * مهري من الشمس والابطال تجتهدُ
ورب يوم حمًى أرعيت عقربهُ * خيل اقتسار وأطراف القنا قصدُ
ويوم لهو لأهل الخفض ظل بهِ * لهوى اصطلاء الوغى وناره تقد
مشهَّراً موقفي والحرب كاشفة * عنها القناع وبحر الموت يطرد
ورب هاجرة تغلي مراجلها * نحرتها بمطايا غارة تخد
تجتاب أودية الأفزاع آمنةً * كأنها اسد يصطادها أسد
فان أمت حتف أنفي لا أمت كمداً * على الطعان وقصر العاجز الكمد
ولم أقل كم أساقي الموت شاربهُ * وكأسه والمنايا شُرَّع ورُدُ

ثم قال هذا والله هو الشعر لاما يتعللون به من أشعار الخنائيث

والشعر لقطري ابن الفجاءة المازني وكان يكنى في السلم أبا محمد ، وفي الحرب أبا نعامةٍ ، وكان أطول الخوارج أياماً ، وأحدهم شوكة ، وكان شاعراً جواداً ، وهو القائل أيضاً

لا يركنن فتى الى الإحجام * يوم الوغى متهيباً لحمام

فلقد أرانى للرماح دريئة * من عن يمينى تارة وأمامى

حتى خضبت بما تحدر من دمى * أكناف سرجى أو عنان لجامى

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب * جذع البصيرة قارح الاقدام

المسيب بن علس

وقال المسيب بن علس

عتبت الملوك على عتبها * وسيان ان عتبت تعتبُ

وكالشهد بالراح ألفاظهم * وأخلاقهم منهما أعذبُ

وكالمسك ترب مقاماتهم * وترب أصولهم أطيبُ

بنو أسد

وقال آخر

اذكر محاسن من بنى أسد * تبدو يحن اليهم القلبُ

الشرق منزلهم ومنزلنا * غربٌ وأين الشرق والغربُ

من كل أبيض جُلُّ زينته * مسكٌ أحمُّ وعارض هضبُ

ومدجَّجٌ يسعى لغارته * وعقيرة تنتابه يحبو

آل حرب

آخر :

أدينكمُ بقية آل حرب * وهضبتها التى فوق الهضاب

تبارون الرياح ندًى وجوداً * وتمتثلون أفعال السحاب

يذكرنى مقامى اليوم فيكم * مقامى أمس فى عصر الشباب

سعيد بن حميد

كتب سعيد بن عبد الملك الى سعيد بن حميد « أكره أطال الله بقاءك أن أضعك ونفسى موضع العذر والقبول ، فيكون أحدنا معتذراً مقصراً ، والآخر قابلا متفضلا ، ولكن أذكر مافى التلاقى من تجديد البر ، وفى التخلف من قلة الصبر ، وأسأل الله تعالى أن يوفقك وإيانا لما يكون منه عقبى الشكر » فأجابه : « وصل كتابك أكرمك الله تعالى ، الحاضر سروره ، اللطيف موقعه ، الجميل صدوره ومورده ، الشاهد ظاهره على صدق باطنه ، ونحن أعزك الله نجعل عزاءك الاعتراف بفضلك ، ومجازاتك التقصير دونك ، ونرى أن لا عذر فى التخلف عنك ، وإن حال الاشتغال بيننا وبينك ، فان كنت سامحت على العذر قبل الاعتذار ، وسبقت الى فضيلة الاغتفار ، فلا زلت على كل خير دليلا اليه داعياً وبه آمراً ، ولقد التقينا قبل وصول كتابك لقاء أحدث قطراً ، وهاج شوقا ، وأرجو أن تتسع لنا الجمعة بما قاضت به الأيام ، فننال حظاً من محادثتك والأنس بك » — ولسعيد بن حميد حلاوة فى منظومه ومنثوره ، لكنه قليل الاختراع ، كثير الاغارة على من سبقه ، وكان يقال لو رجع كلام كل أحد اليه لبقى سعيد ابن حميد ساكتاً ! وفيه يقول أبو على البصير

رأس من يدعى البلاغة منى * ومن الناس كلهم فى حِرامه

وأخو ناولست أكنى سعيد بـ * ـن حميد تؤرخ الكُتْب باسمه

هذا المعنى ينظر الى قول منصور الفقيه وان لم يكن منه

تضيق به الدنيا فينهض هاربا * اذا نحن قلنا خيرنا الباذل السمْحُ

فان قيل من هذا الشقى أقل لهم * على شرط كتمان الحديث هو الفتح

عشق سعيد لفضل الشاعرة

وكان سعيد يهوى فضل الشاعرة فعزم مرة على سفر فقالت له

كذبتنى الود إن صافحت مرتحلا * كفّ الفراق بكف الصبر والجلَدِ
لا تذكرنّ الهوى والشوق لو فُجعت * بالشوق نفسك لم تصبر على البُعُدِ

نبذة من شعره

وكان سعيد عند بعض اخوانه فنهض منصرفا وأخذ بعضادتى الباب ، وأنشأ يقول

سلامٌ عليكم حالت الكأس بيننا * وولّت بنا عن كل مرأى ومسمعِ
فلم يبق الا أن يصافحنى الكرى * فيجمع سكراً بين جسمى ومضجعى

وقال

أرى ألسن الشكوى اليك كليلةً * وفيهنّ عن غير الثناء فتورُ
تقيم على العتب الذى ليس نافعاً * وليس لها الا اليك مصيرُ
وما أنت الا كالزمان تلونتْ * نوائب من احداثه وأمور
فان قلّ انصاف الزمان وجورهُ * فمن ذا على جور الزمان يجيرُ

اليك المفر من ظلمك

أما قوله

تقيم على العتب الذى ليس نافعاً

فمن قول المؤمل

لا تغضبنّ على قوم تحبهمُ * فليس منك عليهم ينفع الغضبُ
يا جائرين علينا فى حكومتهم * والجور أقبح ما يُؤتى ويرتكب
لسنا الى غيركم منكم نفرّ اذا * جُرتم ولكن اليكم منكم الهرَبُ

وأول من نبه على هذا المعنى النابغة الذبيانى فى قوله للنعمان بن المنذر

فانك كالليـل الذى هو مدركى * وان خلت ان المنتأى عنك واسع
خطاطيف حُجْنٌ فى حبال متينةٍ * تمدّ بها أيدٍ اليك نوازع

شعر أشجع السلمى

سرقه أشجع السُّلمى فقال لادريس بن عبد الله بن الحسين بن على ، وقد بعث اليه الرشيد من اغتاله فى الغرب

أتظن يا ادريس أنك مفلتٌ * كيد الخلافة أو يقيك حذارُ
ان السيوف اذا انتضاها عزمه * طالتْ وتقصر دونها الاعمار
هيهات إلا أن تحلّ ببلدةٍ * لا يهتدى فيها اليك نهار

شعر سلم الخاسر

وقال سَلْم الخاسر يعتذر الى المهدى

انى أعز بخير الناس كلهمُ * فأنت ذاك لما يأتى ويجتنبُ
وأنت كالدهر مبثوثا حبائلهُ * والدهر لا ملجأ منه ولا هربُ
ولو ملكت عنان الريح أصرفهُ * فى كل ناحيةٍ ما فاتك الطلبُ
فليس الا انتظارى منك عارفةً * فيها من الخوف منجاة ومنقلَب

سرقات شعرية

وقول سلم

ولو ملكت عنان الريح أصرفه

كأنه من قول الفرزدق للحجاج

ولو حملتنى الريح ثم طلبتنى * لكنت كودٍ أدركته مقادرُهْ

وقول على بن جبلة لحميد الطوسى

وما لامرىء حاولته منك مهربٌ * ولو رفعته فى السماء المطالعُ

أخذه البحترى فقال

سلبوا وأشرقت الدماء عليهمُ * محمرةً فكأنهم لم يسلبوا

فلو انهم ركبوا الكواكب لم يكن * ليجيرهم من جد بأسك مهربُ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فى نحو قول النابغة

واني وان حدثت نفسى بأننى * أفوتك ان الرأى منى لعازبُ

لأنك لى مثل المكان المحيط بى * من الأرض لولا استنهضتنى المذاهب

وأما قول سعيد

وما أنت الا كالزمان

والبيت الذى يليه فكأنه ألمّ فيه بقول شمعل الثعلبى وان لم يكن المعنى لنفسه

أمن جذبة بالرجل منى تباشرت * عداتى ولا عتب علىّ ولا هجرُ

فان أمير المؤمنين وفعلهُ * لكالدهر لا عارٌ بما صنع الدهر

وقال رجل من طىء وكان له ولد رجل منهم يقال له يزيد بن عروة يقال له زيد الخيل قتل رجلا من بنى أسد واسمه زيد فأقاد منه السلطان فقال الطائى يفتخر على الأسديين

علا زيدنا يوم الحمى رأس زيدكم * بأبيض مشحوذ الغرار يمانى

فان تقتلوا زيداً بزيد فانما * أقادكم السلطان بعد زمان

وقول الثعلبى مأخوذ من قول النابغة وهو أول من ابتكره

وعيرتنى بنو ذبيان خشيتهُ * وما علىّ بأن أخشاك من عار

عود الى شعر ابن حميد

ومن جيد شعر سعيد بن حميد

أهاب وأستحي وأرقب وعدهُ * فلا هو يبدانى ولا أنا أسأل

هو الشمس مجراها بعيدٌ وضوءها * قريب وقلبى بالبعيد موكل

وهذا المعنى وان كان كثيراً مشهوراً فما يكاد يدانى فى الاحسان فيه

القريب !! — ١ (١)

وقد قال أبو عيينة

غزتنى جيوش الحب من كل جانب * اذا حان من جند قفولٌ غزا جند

أقول لأصحابى هى الشمس ضوءها * قريب ولكن من تناولها بعد

وقال العباس بن الأحنف

هى الشمس مسكنها فى السماء * فعزّ الفؤاد عزاءاً جميلا

فلن تستطيع اليها الصعود * ولن تستطيع اليك النزولا

وقال البحترى

دنوت تواضعاً وعلوت قدراً * فشأناك انحدار وارتفاعُ

كذاك الشمس تبعد أن تدانى * ويدنو الضوء منها والشعاع

وقال ابن الرومى

وذخرته للدهر أعلم أنهُ * كالدهر فيه لمن يؤل مآلُ

ورأيته كالشمس ان هى لم تُنل * فالنور منها والضياء يُنال

وقال المتنبى

بيضاء تطمع فيما تحت حُلتها * وعزّ ذلك مطلوباً لمن طلبا

كأنها الشمس تعطى كف قابضها * شعاعها وتراه العين مقتربا

(١) تجد لهذا الباب وما بعده تفاصيل ممتعة فى كتاب « مدامع العشاق »

تلون الملاح

وقال سعيد بن حميد ويروى لفضل الشاعرة

ما كنت أيام كنت راضيةً * عنى بذاك الرضا بمغتبطِ
علماً بأن الرضى سيتبعهُ * منك التجنى وكثرة السخَطِ
فكل ما ساءنى فعن خلقٍ * منك وما سرنى فعن غلطِ

وفى هذا المعنى يقول أبو العباس الهاشمى من ولد عبد الصمد بن على ويعرف بابى العبر

أبكى اذا غضبت حتى اذا رضيت * بكيت عند الرضا خوفاً من الغضبِ
فالموت ان غضبت والموت ان رضيت * إن لم يرجَّ سلوٌّ عشت فى تعب

وقال العباس بن الأحنف

اذا رضيت لم يهننى ذلك الرضا * لصحة علمى أن سيتبعه عَتْبُ
وأبكى اذا ما أذنبت خوف عتبها * فأسألها مرضاتها ولها الذنب
وصالكمُ هجرٌ وقربكمُ قِلًى * وعطفكمُ صدٌّ وسلمكمُ حرب
وأنتم بحمد الله فيكم فظاظةٌ * وكل ذلول من أموركم صعب

وقال

قد كنت أبكى وأنت راضيةٌ * حذار هذا الصدود والغضبِ
ان تم ذا الهجر يا ظلوم ولا * تمّ فمالى فى العيش من أرب

وما أحسن قول القائل

وما فى الارض أشقى من محب * وان وجد الهوى حلو المذاقِ
تراهُ باكياً فى كل حين * مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكى إن نأوا حذراً عليهم * ويبكى ان دنوا خوف الفراق
وتسخن عينه عند التنائى * وتسخن عينه عند التلاقِ

الاقتباس من القرآن

وقال سعيد بن حميد اذا برعت فى كتابك بآية من كتاب الله تعالى أنرت ظلامه ، وزينت أحكامه، وأجدت كلامه

أمثال العرب والعجم والعامة وما يماثلها من كتاب الله تعالى أخرجها أبو منصور عبد الملك الثعالبى

قال على رضى الله تعالى عنه « القتل أنفى للقتل » وفى القرآن « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب » والعرب تقول لمن يعير غيره بما هو فيه « عير بجير بجره ونسى بجير خبره » وفى القرآن « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه » وفى معاودة العقوبة عند معاودة الذنب « ان عادت العقرب عدنا لها » وفى القرآن « وان عدتم عدنا ، وإن تعودوا نعد » وفى ذوق الجانى وبال أمره « يداك أوكتا وفوك نفخ » وفى القرآن « ذلك بما قدمت يداك » وفى قرب الغد من اليوم قول الشاعر * وان غدا لناظره قريب * وفى القرآن « أليس الصبح بقريب » وفى ظهور الأمر « قد وضح الأمر لذى عينين » وفى القرآن « الآن حصحص الحق » وفى الاساءة الى من لا يقبل الاحسان « أعط أخاك تمرة فان أبى فجمرة » وفى القرآن « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطانا » وفى فوت الأمر « سبق السيف العذل » وفى القرآن العظيم « قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » وفى الوصول الى المراد ببذل الرغائب « ومن ينكح الحسناء يعط مهرها » وفى القرآن « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وفى منع الرجل مراده

وقد حِيل بين العير والنزوانِ

وفى القرآن « وحيل بينهم وبين ما يشتهون » وفى تلافى الاساءة « عاد غيث على ما أفسد » وفى القرآن « ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا » وفى الاختصاص « كل مقام بمقال » وفى القرآن « لكل نبأ مستقر » العجم « من

احترق كدسه تمنى احتراق كدس الناس » وفى القرآن « ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء » العامة « من حفر لأخيه بئرا وقع فيها » وفى القرآن « قل كل يعمل على شاكلته » العامة « كل البقل ولا تسأل عن المبقلة » وفى القرآن « لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم » شاعر

كم مرة حفت بك المكارهْ * خار لك الله وأنت كارهْ

وفى القرآن « وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم » العامة « المأمول خير من المأكول » وفى القرآن « وللآخرة خير لك من الاولى » العامة « لو كان فى اليوم خير ماسلم علىّ الصياد » وفى القرآن « ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم » المتنبى * مصائب قوم عند قوم فوائد * وفى القرآن « وان تصبكم سيئة يفرحوا بها » شاعر * عند الخناز يرتنفق العذرة * وفى القرآن « الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات » العجم « لم يرد الله بالنملة صلاحا إذ أنبت لها جناحا » وفى القرآن « حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » العامة « الكلب لا يصيد كارها » وفى القرآن « لا إكراه فى الدين » العجم « كل شاة تناط برجلها » وفى القرآن « كل نفس بما كسبت رهينة »

كتب متفرقة

جملة من مكاتبات أهل العصر

أبو القاسم محمد بن على الاسكاف عن الأمير نوح بن نصر وعن أبيه عقد الملك لأبى طاهر وشمكير بن زياد يشكره على حميد سيرته « من حمدناه أعزك الله تعالى من أعيان الملة الذين بهم افتخارها ، وأعوان الدولة الذين بهم استظهارها ، بخلة ينزع فيها من خلال الفضل ، وخصلة يكمل بها من خصال العدل ، وانك أعزك الله من نحمده بالارتقاء فى درج الفضائل ، والاستواء فى كل الشواكل فانه ليس من محمدة الا وسهمك فيها فائز ، وذلك أعزك الله تعالى أمر قد أغنى

صدق خبره عن العيان ، وكفى بيان أثره تكلف الامتحان ، ولو أعطينا النفوس مناها، وسوغناها هواها ، لاوردنا عليك فى دور كل شارق جديد شكر ، وجددنا لك مع اعتراض كل خاطر جميل ذكر ، لكننا للعادة فى ترك الهوى ، والثقة بأنك مع صالح آدابك يحل الأدنى من الإحماد محل الاوفى ، نقضى لك بأنه وان عظم قدره يسير العدد ، وعلى ماهو وان تناهى لفظه باقى الفخر مدى الأبد ، وكان مما اقتضانا الآن تناوله به أخبار تواترت ، وأقوال تظاهرت ، باطباق سكان الحضرة ونيسابور من أهل عملك على شكر ماتريد لهم وفيهم من مواد عدلك وحسن فضلك ، حتى لقد ظلوا ولهم فى ذلك محافل تعقد ، ومشاهد تشهد ، يعجب بها السامع والرائى ، ويقترن بها المؤمن والداعى ، فان هذا أعزك الله حال يطيب مسمعه ، ويلذ موقعه ، حتى لقد ملأ القلوب بهجاً ، والصدور ثلجاً ، حتى استفزها فرط الارتياح ، وصدق الانشراح ، الى هذا الكتاب ان أعجلناه . وهذا الشكر ان أجزلناه ، بعد ذكر ذلك أفضل كل الافضال ، وأجمل كل الاجمال ، وتضاعف به حظك من الرأى اضعافا ، وأشرف محلك على كل المحال اشرافا ، ونحن نهنيك أعزك الله على التوفيق الذى قسمه الله لك ، والتيسير الذى وكله بك ، ويبعثك على استدامتها بصالح النية ، وبصادق البغية ، ليدنو من العدل على مايرعى ، ويحسن الهدى فيما يتولى ، فرأيك ابقاك الله تعالى فى إحلال ذلك محله من استبشار به تستكمله ، واستثمار له تعجله

كتاب تعزية

— ١ —

وكتب اليه يعزيه « ان أحق من سلّم لأمر الله تعالى ورضى بقدره ، حتى يمضى مصطنعا ، ويخلص مصطبرا ، وحتى يكون بحيث ما أمر الله من الشكر اذا وهب ، والرضا اذا سلب ، أنت أعزك الله تعالى لمحلك من الشكر والحجا ،

وحظك من الصبر والنُّهى ، ثم لما ترجع اليه من ثبات الجَنان عنـد النازلة ، وقوة الاركان لعز الدولة الفاضلة ، فان لك فيها وفى سهمك الفائز ، ومرسلك البارز ، عوضا عن كل مرزوّ ، ودركا لكل مرجوّ ، ونسأل الله تعالى ان يجعلك من الشا كرين لفضله اذا أبلى ، والصابرين لحكمه اذا ابتلى ، وان يجعلك لا بك التعزية ، ويقيك فى نفسك وفى ذويك الرزية ، بمنه وقدرته »

— ٢ —

وله اليه «ترامى الينا خبر مصابك بفلان ، نخلص الينا من الاغتمام به ما يحصل فى مثله ، ممن أطاع ووفى ، وخدم ووالى ، وعلمنا ان لفقدك مثله لوعة ، وللمصاب به لذعة ، فآثرنا كتابنا هذا اليك فى تعزيتك ، ويقيننا بأن عقلك يغنى عن عظتك ، ويهدى الى الاولى بشيمتك ، والأزيد فى رتبتك ، فليحسن أعزك الله صبرك على ما أخذه منك ، وشكرك لما أبقى لك ، وليتمكن من نفسك ماوفر لك ، من راب الصابرين ، وأجزل من ذخر المحسنين ، وايرد كتابك بما ألهمك الله تعالى من عزاء ، وابلاكه من جميل بلاء »

— ٣ —

وله اليه جواب «وصل كتابك أعزك الله تعالى مفتتحا بالتعزية عن فلان وتصف وجمك للمصيبة ، ونحن نحمد الله تعالى الذى ينعم فضلا ، ويحكم عدلا ، ويهب إحساناً . ويسلب امتحاناً ، على مجارى قبضته كيف حوت آخذة معطية ، وموقع مواقع مشيئته كيف مضت سارّة ومسيئة ، حمد عالمين أن لا حكم إلا له ، ولا حق الا به ، ومستمسكين بما أمر به عند المساءة من الصبر ، والمسرة من الشكر ، راجين ما أعده الله من الثواب للصابرين ، والمزيد للشاكرين ، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه نُنيب ، وأما وحشتك أعزك الله للحادث عن الماضى ، عفا الله عنك ، فمثلك من ذوى الصفاء والوفاء اختص بذلك واهتم له ، وعرف

مثله فاغتنم به ، فان الطاعة نسب بين أوليائها ، والنعمة سبب بين أبنائها ، فلا عجب أن يمسك فى هذا العارض ما يمس أولى المتاركة ، ويخصك من الاهتمام ماخص ذوى المشاركة »

كلمة نصح

وله اليه أيضاً فى أمر عراه « ورد خبرك أكرمك الله تعالى بنفوذك الى وجهك فمن جمعهم الله تعالى للسعى فى سبيله الى جملتك ، فأملنا أن يكون ذلك موصلا بأحسن الخيرة مؤديا الى أحسن المعية ، إلا أنا أحسسنا من الغزاة الذين بهم يعتضد، وإياهم يستنجد ، فتور نيات ، وفساد طويات ، وهذا كما علمت باب عظيم يجب الاطلاع بالفكر والرأى عليه ، والاحتراز بالجد والجهد من الخطل فيه ، فسبيلك أن تتأمل أمرك بعين استقصاء العورة ، واستدراك الآخرة ، فان أنت وجدت فى عِدتك تمام القوة ، وفى عُدتك مقدار الكفاية ، ولم تجد نيات أولئك الغزاة مدخولة ، ولا عُزامهم محلولة ، استخرت الله تعالى فى المسير بكل ما تقدر عليه من الحزم فى أمرك ، ثم ان تكن الأخرى وكان القوم على ما ذكرت من كلال البصائر ، وضعف المرائر ، عملت على التلوم لحديث يحدثك به كتابنا هذا ان اجتليت ما ذكرته ، وان لم تبلغ بلاغة ما اخترته ، فاعتلق بذيله»

المقامة القزوينية

وهذه المقامة من انشاء البديع ، قال عيسى بن هشام غزوت الثغر بقزوين سنة خمس وسبعين ، فما اجتزنا حزناً[1] ، ولاهبطنا بطنا ، حتى وقف بنا المسير على بعض قراها ، فمالت الهاجرة بنا الى ظل اثلات[2] فى حجرها عين

(١) الحزن ماغلظ من الارض ، والبطن ما انخفض منها (٢) الاثل نوع من الشجر يشبه الطرفاء

كلسان الشمعة ، أصفى من الدمعة ، تسبح فى الرضراض ، سبح النضناض [١] فنلنا من المأكل ما نلنا ، ثم ملنا الى الظل فقِلنا [٢] فما ملكنا النوم حتى سمعنا صوتاً أنكر من صوت الحمار ، ورجعاً أضعف من رجع الحوار [٣] يشفعهما صوت طبل كأنه خارج من ماضغى أسد ، فذاد عن القوم ، رائد النوم ، وفتحت العيون اليه ، وقد حالت الأشجار دونه ، وأصغيت فاذا هو يقول على إيقاع صوت الطبل

أدعو الى الله فهل من مجيبْ * الى ذَرًى رحبٍ وعيشٍ خصيب
وجنـة عاليـة ماتنى * قطوفهـا دانيةً ما تغيبْ
ياقوم انى رجـلٌ تائبٌ * من بلد الـكفر وأمرى عجيب
إن أكُ آمنت فكم ليـلةٍ * جحدت فيها وعبدت الصليب
يا رب خنزير تمششتهُ * ومسكر أحرزت منه النصيب [٤]
ثم هدانى الله وانتاشنى * من زلة الـكفر اجتهاد المصيب
فظَلْتُ أخفى الدين فى أسرتى * وأعبد الله بقلب منيب
أسجدُ للاّتِ حِذار العـدى * ولا أجى الـكعبة خوف الرقيب
وأسأل الله اذا جنّـنى * ليلى وأضنانىَ يومٌ عصيب
ربِّ كما انك أنقـذتنى * فنجنى انىَ فيهم غريب
ثم اتخـذت الليـل لى مركباً * وما سوى العزم أمامى نجيب
وَقَدْكَ من سيرىَ فى ليلةٍ * يكاد رأس الطفل فيها يشيبْ
حتى اذا ما جزت بحر العمى * الى حمى الدين نفضت الوجيب
وقلت إذ لاح شعار الهدى * نصر من الله وفتح قريب

ولما بلغ هذا البيت قال ياقوم ، وطئت والله بلادكم بقلب لا المشق شاقه ،

(١) الرضراض الحصى ، والنضناض الحية لا تستقر فى مكان (٢) قلنا : من القيلولة وهى النوم فى الظهيرة (٣) الحوار ولد الناقة الى أن يفصل عن أمه
(٤) تمششته : أكلت مشاشه وهى رءوس عظامه اللينة

ولا الفقر ساقه ، وقد تركت وراء ظهرى حدائق وأعنابا ، وكواعب أترابا ، وخيلا مسومة ، وقناطير مقنطرة ، وعُدّةً وعديدا ، ومراكبَ وعبيدا ، وخرجت خروج الحية من جُحْره ، وبرزت بروز الطائر من وكره ، مُؤْثِراً دينى على دنياى ، وجامعا يمناى الى يسراى ، واصلا سيرى بسُراى ، فلو رفعتم النار بشررها ، ورميتم الروم بحجرها ، وأعنتمونى على غزوها مساعدة وإسعاداً ، ومرافدة وارفاداً ، ولا شطط فكل قادر على قدرته ، وحسب ثروته ، ولا أستكثر البدرة ، ولا أرد الثمرة ، واقبل الذرة ، ولكل منى سهمان سهم أذلّقه للقاء ، وسهم أفوّقه بالدعاء ، وأرشق به أبواب السماء ، عن قوس الظلماء

قال عيسى بن هشام فاستغزنى رائع ألفاظه ، وسروت جلباب النوم ، وغدوت الى القوم ، واذا والله شيخنا أبو الفتح الاسكندرى ، بسيف قد شهره ، وزى قد نكره ، فلما رآنى غمزنى بعينه وقال : رحم الله امرأ أحسن حَدْسه ، وملك نفسه ، وأغنانا بفاضل قوله ، وقسم لنا من نيله ، ثم أخذ ما أخذ ، فقمت اليه فقلت أنت من أولاد بنات الروم؟ فقال

أنا حالى مع الزما * ن كحالى مع النسب
نسبى فى يد الزما * ن اذا سامه انقلبْ
أنا أمسى من النبيـ * ـط وأضحى من العرب

سليمان بن عبد الملك

قال سليمان عبد الملك ماسألنى فظ رد مسئلة يثقل علىّ قضاؤها ، ولا يخف علىّ أداؤها ، بلفظ حسن له يجمع له القلب فهمه الا قضيتها ، وان كانت العزيمة قصدت فى منعه ، وكان الصواب مستقرا فى دفعه ، ضنا بالصواب أن يرد سائله ، أو يحرم نائله

الحارث الغسانى

قال أبو عبيدة كان أبو قيس بن رفاعة يفدو سنة الى النعمان بن المنذر اللخمى وسنة الى الحرث بن أبى شمر الغسانى فقال له الحرث يوما وهو عنده : يا ابن رفاعة ، بلغنى انك تفضل النعمان علىَّ ؟ قال كيف أفضله عليك أبيتَ اللعنَ فوالله لقفاك أحسن من وجهه ، وأمك أشرف من أبيه ، ولأمسك أفضل من يومه ، ولشمالك أجود من يمينه ، ولحرمانك أنفع من بذله ، ولقليلك أكثر من كثيره

تطفل الثقلاء

الحمدونى : قال بعث الىَّ احمد بن حرب المهلبى فى غداةٍ السماء فيها مغيمة ، فأتيته والمائدة موضوعة مغطاة ، وقد وافت عجاب المغنية ، فأكلنا جميعاً ، وجلسنا على شرابنا ، فما راعنا الا داقّ يدق الباب ، فأتاه الغلام فقال : بالباب فلان فقال لى هو فتًى من آل المهلب ، ظريف ، نظيف ، فقلت ما نريد غير ما نحن فيه ، فاذن له فجاء يتبختر وقُدّامى قدح شراب فكسره فاذا رجلٌ آدمُ ضخم ، قال وتكلم فاذا هو أعيا الناس . فجلس بينى و بين عجاب ، قال فدعوت بدواة وكتبت الى أحمد بن حرب

كدر الله عيش من كدر العيـ ـش فقد كان صافيا مستطابا
جاءنا والسماء تهطل بالغيـ ـث وقد طابق السماعُ الشرابا
كسر الكاس وهى كالكوكب الدرّ * ىّ ضمّت من المدام رُضابا
قلت لما رُميت منه بما أكـ ـره والدهر ما أفاد أصابا
عجّل الله نقمةً لابن حربٍ * تدع الدار بعد شهر خرابا

ودفعت الرقعة له فقال ألا نفّستَ فقلتَ بعد حول ؟ فقلت أردت أقول

بعد يوم ، نخفت أن يصيبنى مضرة ذلك ، وفطن الثقيل فنهض ، فقال آذيته !
فقلت هو آذانى

طيلسان بن حرب

وقال الحمدونى فى طيلسان بن حرب

ولى طيلسان ان تأملت شخصه * تيقنت ان الدهر يفنى وينقرض
تصدع حتى قد أمنت انصداعه * وأظهرت الأيام من عمره الغرض
كأنى لاشفاقى عليه ممرض * أخا سقم مما تمادى به المرض
فلو أن أصحاب الكلام يرونه * لماروك فيه وادعوا أنه عرض

وقال فيه

يا ابن حرب كسوتنى طيلساناً * أمرضته الاوجاع فهو سقيم
فاذا ما لبسته قلت سبحا نك محيى العظام وهى رميم
طيلسان له اذا هبت الريح عليه بمنكبى همهيم
أذكرنى بيتاً لحسان فيه * حرق للفؤاد حين أقوم
لو يدب الحولى من ولد الذر * عليها لأندبتها الكلوم

وقال أيضاً

يا قاتل الله ابن حرب لقد * أطال إتعابى على عمد
بطيلسان خلت ان البلى * يطلبه بالوتر والحقد
أجد فى رفوى له والبلى * يلهو به فى الهزل والجد
ذكرنى الجثة لما غدت * أصحابها منها على حرد
ان انهم الرفاء فى رفيه * مضى به التمزيق فى نجد
غنيته لما مضى راحلاً * يا واحدى تتركنى وحدى!

وقال فيه

ان ابن حرب كسانى * ثوبا يطيل انحراقه

أظل أدفع عنه * وأتقى كل آفه
وقد تعلمت من خشـــيتى عليه التفافه

وقال أيضاً

طيلسانٌ مازال أقدم فى الدهـــر من الدهر مالرفويه حيله
وترى ضعفه كضعف عجوز * رثة الحال ذات فقر مُعيله
غمرته الرقاع فهو كمصر * سكنته نزاع كل قبيله
ان أزينه ياابن حرب بذمى * فجرير قد زان قبلى بجبله

جرير بن عبد الله البجلى وله صحبة قال غسان فى هجائه جريرا

لعمرى لئن كانت بجيلة زانها * جرير لقد أخزى جريرا كليبها

وقال الحمدونى فى معناه الاول

ياابن حرب انى أرى فى زوايا * بيتنا مثل ما كسوت جماعه
طيلسانٌ رفوته ورفوت الـــرفو منه حتى رفوت رقاعه
فأطاع البِلى وصار خليقا * ليس يعطى الرفّا على الرفو طاعة
فاذا سائلٌ رآنىَ فيهِ * ظن انى فتى من اهل الصناعة

وقال فيه

طيلسانٌ لابن حرب * يتداعى لا مساسا
قد طوى قرناً فقرناً * وأناسا فأناسا
لبس الأيام حتى * لم تدع فيه لباسا
غاب تحت الحسّ حتى * لا يُرى الا قياسا

رسائل بن العميد

— ١ —

كتب أبو الفضل بن العميد الى أبى عبد الله الطبرى « كتابى وأنا بحالٍ لو لم ينغص منها الشوق اليك ، ولم يرنّق صفوها النزاع نحوك ، لعددتها من

الاحوال الجميلة ، وأعددت حظى منها فى النعم الجليلة ، فقد جمعت فيها بين سلامة عامة ، ونعمة تامة ، وحظيت منها فى جسمى بصلاح ، وفى سعيى بنجاح ، لكن ما بقى أن يصفو لى عيش مع بعدى عنك ، ويخلو ذرعى مع خلوى منك ، ويسوغ لى مطعم ومشرب ، مع انفرادى دونك ، وكيف أطمع فى ذلك وأنت جزء من نفسى ، وناظمٌ لشمل انسى ، وقد حُرمت رؤيتك ، وعدمت مشاهدتك ، وهل تسكن نفس متشعبة ذات اقسام ، وينفع أنس ميت بلا نظام ، وقد قرأت كتابك جعلنى الله تعالى فداءك ، فامتلأت سرورا بملاحظة خطك ، وتأمل تصرفك فى لفظك ، وما أقرظهما فكل خصالك مقرّظ عندى ، وما أمدحهما فكل أمرك ممدوح فى ضميرى وعقدى ، وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديرى فيك ، فان كان كذلك والا فقد غطى هواك وما القى على بصرى»

— ٢ —

وله الى عضد الدولة يهنئه بولدين « أطال الله بقاء الأمير الاجل عضد الدولة ، دام عزه وتأييده ، وعلوه وتمهيده ، وبسطته وتوطيده ، وظاهر له من كل خير مزيده ، وهناه ما احتظاه به على قرب البلاد ، من توافر الاعداد ، وتكثر الامداد ، وتثمر الأولاد ، وأراه من النجابة فى البنين والاسباط ، ما أراه من الكرم فى الآباء والاجداد ، ولا أخلى عينه من قُرة ، ونفسه من مسرة ، ومتجدد نعمة ، ومستأنف مكرمة ، وزيادة فى عدده ، وفسح فى أمده ، حتى يبلغ غاية مهله ، ويستغرق نهاية أمله ، ويستوفى ما بعد حسن ظنه ، وعرفه الله السعادة فيما بشر عبده من طلوع بدرين عما انبعثا من نوره ، واستنارا من دوره ، وحفا بسريره ، وجعل وفدها متلائمين ، وورودها توأمين ، بشيرين بتظاهر النعم ، وتوافر القسم ، ومؤذنين بترادف بنين يجمعهم منخرق الفضا ، ويشرق بنورهم أفق العلا ، وينتهى بهم أمد النماء ، الى غاية تفوت غاية الاحصاء ، ولا زالت السبل عامرة ، والمناهل غامرة ، بصفائح صادرهم بالبشر ، وآملهم بالنيل القاصد

ابنا عضد الدولة

وقال أبو الطيب وذكر أبا دلف وأبا الفوارس ابنى عضد الدولة

فلم أر قبله شِبْلَىْ هِزَبْرٍ * كشبليه ولا فرسَىْ رِهانِ

فعاشا عيشة القمرين يحيى * بضوئهما ولا يتحاسدان

ولا ملكا سوى ملك الأعادى * ولا ورثا سوى من يقتلان

دعاء كالثناء بلا رياء * يؤديه الجنان الى الجنان

كتاب استبطاء وتهنئة

وكتب أبو القاسم الاسكافى عن نوح بن نصر الى وشمكير بن زياد فى استبطاء وتهنئة وصل كتابك ناطقاً مفتتحه بجميل العذر ، فيما نقل من المكاتبة ، وبعث من المطالعة ، ومعرباً مختتمه عن جملة خبر السلامة ، التى طبقت أعمالك ، والاستقامة التى عمت أحوالك ، وفهمناه ، ولولا أن مواتاتك أيدك الله تعالى فيما تأتى وتذر ، وتربى وتربة عادة لنا أورثناها قرابة ما بين وقايتنا ووقايتك ، وملاءمة حال ألجأتنا لحال استحقاقك ، لكنا ربما ضايقناك فى العذر الذى اعتذرت به ، وان كان واضحاً طريقه ، ونافسناك فيه وان كان واجباً تصديقه ، لفرط الأنس بكتابك ، والارتياح بخطابك ، اللذين لا يؤديان إلا خبر سلامة توجب الإحماد فنحن نأبى الا إجراء تلك العادة ، كما عودتنا ، لا التجافى عما تريد فيه من الزياده التى أردتها ، ولا ندع مع ذلك أن يصل تسويغك إلى الاقلال الذى اخترته باحمادك على الكتاب ، واكتسبته توخيا لأن تكون مؤهلا فى الحالين لخاصة التنويل ، مقدماً فى درج التفضيل ، موفىً حق الايثار ، موقىً لواحق الاستقصار ، وتستعين بالله على قضاء حقوقك ، على جميل النية فى أمورك ، فان ذلك لا يُبلغ إلا بقوته ، ولا يُدرك إلا بحوله ، وأما بعد فقد عفى أعزك الله تعالى ما أفاد كتابك بخبر السلامة

من أنسه ، على آثار من سبقه بخبر العلة من وحشة ، فأوجبنا مقابلة موهبة الله تعالى في المحبوب بصنع ، والمكروه بدفع ، فالشكر نستقبل به إخلاص المواهب لنا ، ونستديم به أخص المراتب بنا ، فرأيك أعزك الله تعالى في المطالعة بذكر تستمده في القوة والصحة من مزيد ، والطاعة والكفاية من توفيق وتسديد ، موفقاً ان شاء الله تعالى

ضروب من التهاني

ألفاظ لأهل العصر في ضروب التهاني وما ينخرط في سلكها

فمن ذلك في التهنئة بالمولود وما يجرى مجراها من الأدعية ، وما يختص منها بالملوك أو الرؤساء — مرحبا بالفارس المصدّق للظنون ، المقرّ للعيون ، المقبل للطالع السعيد ، والخير العتيد ، أنجب الأبناء لأكرم الآباء — أنا مستبشر بطلوع النجم الذي كنا منه على أمل ، ومن تطاول استسراره على وجل ، ان يشأ الله يجعله مقدمة أخوة في نسق كحلبة المستبق — قد طلع من أفق المجرة أسعد نجم في حدائق المروءة ، وأذكى بيت — يا بشراى بطلوع الفارس الميمون جده ، المضمون سعده ، عليه خاتم الفضل وطابعه ، وله سهم الخير وطالعه — الحمد لله على طلوع هذا الهلال الذي نراه ان شاء الله بدرا لا يصم السرار بهاه ، ولا يبلغ المحاق سناه ، قد نشرت قوابله الاقبال وعلو الجد ، واقترن طلوعه بالطالع السعد — هناك الله تعالى بقوة الظهر ، واشتداد الأزر ، الفارس المكثر سواد الفضل ، الموفر لحال الأهل ، المستوفى شرف الأرومة ، بكرم الأبوة والأمومة ، وأبقاه حتى نراه ، كما رأينا جده وأباه — عرفت آنفا ما كثر الله به عدده ، وشد عضده ، من طلوع الفارس الذي أضاء له الأفق ، وطال به باع السعادة ، فعظمت النعمى لدىّ وأوردت البشرى غاية الأمل علىّ — مرحبا بالفارس القادم ، بأعظم المغانم ، سوى الخلق : يلوح عليه سيما المجد ، ويتجاذب أطرافه الملك والحمد * وردت البشرى

بالفارس الذى أوسع رباع المجد تأهيلا ، ومنا كب الشرف ارتفاعاً ، وأعضاد العز اشتداداً ، وأتتنى بشرى البشائر ، والنعم المحروسة عن النظائر ، فى سلالة الغز وسليله ، وابن مسير الملك وسريره ، والأمير القادم بغرة المكارم ، الناهض الى ذروة العلياء ، بآباء أمراء ، وملوك عظماء ، — مرحبا بالفارس المأمول لشد الظهور ، المرجو لسد الثغور — الحمد لله الذى شد أزر الدولة ، ونظم قلادة الأمرة ، ودعم سرير المقرة ، ووطد منابر المملكة ، بالقمر السعد ، وشبل الاسد الورد — قد تبسمت المكارم والمعالى ، وتباشرت الخطب والقوافى ، بالفارس المأمول لشد أزر الملك ، وسد ثغر المجد ، وتطاول السرير شوقاً اليه ، واهتزت المنابر حرصاً عليه — قد اقتر جفن العالم عن العين البصيرة ، واستقرت فضحكت من اللمعة المنيرة ، هو آمال الامير ، فالتاج بجبينه سما ، والركاب بمقدمه زها ، اللهم أرنى هذا الهلال بدراً قد علا الاقدار قدراً ، وبلغه الله فيه مناه ، حتى نراه وأخاه ، منيفين على ذروة المجد ، آخذين من أوفر الحظوة بأعلى الجد.

ولهم — والله يمتع به ، ويرزق الخير منه ، ويحقق الامل فيه ، عرف الله تعالى آثار بركة المولود السعيد ، وعقد الفضل بالزيادة فى عدده ، وأقر عين المجد بالسيادة من ولده — عرفه الله تعالى من سيادة مقدمه ما يجمع الاعداء تحت قدمه عمرك الله تعالى حتى نرى هذا الهلال قمراً باهراً ، وبدرا زاهراً ، تكثر به عقدتك ، وتكبر معه غصة حسدتك ، من حيث لا تهتدى النوائب الى أغراضكم ، ولا تطلع الحوادث الى انتقاضكم ، متعك الله بالولد ، وجعله من أقوى العدد ، ووصله باخوة متوافرى العدد ، شادّى الازر والعضد ، هناك الله تعالى مولده ، وقرن باليمن مورده ، وأراك من بنيه أولادا بررة ، حتى نرى زيادة الله منه كما ترى مهابته ، والله يبلغك أفضل ماتقسمه السعود ، ويعلو به الجد ، حتى يستغرق مع اخوته مساعى الفضل ، ويشيدوا قواعد الفخر ، ويزاحموا صدور الدهر ، ويضبطوا أطراف الارض ، والله يحرسه من نواظر الايام ان ترنو اليه ، واطماع

الليالى أن تستولى عليه ، حتى يستقل باعباء الخدمة ، وينهض باثقال الدعوة ، ويخف فى الدفع عن البيضة ، ويسرع فى حماية الحوذة ، والله يديم لمولانا من العمر أطوله ، ومن العز أكمله ، ليطبق العالم بفضله وعدله ، ويدبر الارض بالنجباء من نسله

المولود العلوى

ولهم فى ذكر المولود العلوى — غصن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شجره أهل أن يحلو ثمره ، وفرع بين الرسالة والامامة منتماه ، خليق أن يحمد بدؤه وعقباه ، مرحباً بالطالع بأيمن طالع ، ومن هو من أشرف المناصب والمنابع ، حيث الرسالة والخلافة ، والامامة والزعامة ، أبقاه الله تعالى حتى يتهيأ منه صنائع المنن ، ويعد حسنه من بنى الحسن

التهنئة بالاملاك والنفاس

ولهم فى التهنئة بالإملاك والنفاس وما يتصل بهما من الادعية — من اتصل بمولاى سببه ، وشرف به منصبه ، كان خليقا بالرغبة الى الله تعالى فى توفيره وتكثيره ، وزيادته وتثميره ، لتزكو مناكب الفضل ، وتنمى مغارس المجد ، وتطيب معادن النبل والفخر — بارك الله لمولاى فى الامر الذى عقده ، وأحمد أباه وأسعده ، وجعله موصولا بنماء العدد ، وزكاء الولد ، واتصال الحبل ، وتكثير النسل ، والله تعالى يخير له فى الوصلة الكريمة ، ويقرنها بالمنحة الجسيمة ، قد عظم الله بهجتى ، وضاعف غبطتى ، بما أباحه من سرور ممتد ، لجمع شمل مجدد ، فلا زالت النعمة به محفوفة ، والمسارّ اليه مصروفة ، والوصلة أكيدة العقدة ، طويلة المدة ، سابغة البركة والفضل ، طيبة الذرية والنسل ، وصل الله هذا الاتصال السعيد ، وأعقد الحميد ، باكل المواهب ، واحمد العواقب ، وجعل شمل مسرتك

ملتئما ، وسبب أنسك منتظما ، عرفك الله تعجيل البركات ، وتوالى الخيرات ، ولا أخلاك الله من هـذه الوصلة بكثرة العدد ، ووفور الولد ، وانبساط الباع واليد ، على القدر والجد

التهنئة بالولاية

ولهم فى التهنئة بالولاية والاعمال وما يتصل بها من الادعية للولاة والوزراء والقضاة والعمال — عرفت أخبار البلد الذى أحسن الله الى أهله ، وعطف عليهم بفضله ، إذ أضيف الى مايلاحظه مولاى بعين إيالته ، ويشفى خلله بفضل اصالته ، أنا من سر بالولاية يلبس مولاى ظلالها ، ويسحب أذيالها ، بنعم مستفادة ، ورتب مستزادة ، سرورى بما أعمله بكسبه الثناء فى كل عمل يدبره ، من أحدوثة جميله ومثوبة جزيلة ، ويؤثره من إحياء عدل ، وإماتة جور ، وعمارة لسبل الخيرات ، وايضاح لطرق الكرامات ، سيدى يوفى على الرتب التى يدعى له بحلولها فيتهنأ لها بتجميلها ، بولايته وتحليها ، بكفايته الاعمال ، ان بلغت أقصى الآمال ، فكفاية مولاى تتجاوزها وتخطاها ، والرتب وان جلت قدراً ، وكبرت ذكراً ، فصناعته تنسقها وتنسؤها ، غير ان التهانى رسم لابد من اقامته ، وشرط لاسبيل الى نقض عادته — الاعمال وان بلغت أقصى الآمال فكفاية سيدى توفى عليها ايفاء الشمس على النجوم ، وترتفع عنها ارتفاع السماء على التخوم ، — سيدى أرفع قدراً ، وأنبه ذكراً ، من أن نهنئه بولاية وان جل أمرها ، وعظم قدرها — قد أعطيت قوس الوزارة باريها ، واضيفت الى كفئها وكافيها ، وفسخ فيها شرط الدنيا الفاسد فى اهداء حظوظها الى أوغادها ، ونقض بها حكمها الجائر فى العدول بها عن نجباء أولادها — الدنيا أعز الله الوزير مهنأة بانحياز الولاية الى رأيه وتنفيذه ، والممالك مغبوطة باتصالها الى أمره وتدبيره — قد كانت الدنيا مستشرفة بوزارته الى أن سعدت بما كانت الايام عنه مخبرة . وحظيت بما كانت

الظنون به مبشرة — أنا أهنئ الوزارة بالقائها الى فضله مقادتها ، وبلوغها فى ظله ارادتها ، وانحيازها من اياالته الى واضحة الفخر ، وترشحها من كفايته بعزة سائدة على وجه الدهر ، الحمد لله الذى أقر عين الفضل ، ووطأ مهاد المجد ، وترك الحساد يتعثرون فى ذيول الخيبة ، ويتساقطون فى فضول الحسرة ، وأرانى الوزارة وقد استكمل الشيخ اجلالها ، ووفى لها جلالها

فلم تك تصلح إلا لهُ * ولم يك يصلح إلا لها

والقاضى علم العلم شرقاً وغرباً ، ونجم الفضل غوراً ونجداً ، وشمس الأدب براً وبحراً ، فسبيل الأعمال أن تهنأ إذ ردت إلى نظره الميمون ، وعصبت برأيه المأمون . أسعد الله القاضى بما جدد له من رأى مولانا وارتضاه ، واعتمده لأجل أمر الشريعة وأمضاه ، وأسعد المسلمين والدين بما أصاره اليه ، وجمع زمامه فى يديه — عرف الله سيدى من سعادة عمله ، أفضل ماترقاه بأمله ، ولقاه من ناجح أمره أفضل ما أنتجه بفكره — جاد الله له فيما تولاه وتطوقه ، وبلغه فى كل حال أمله وحققه ، وعرفه من يمن ماباشره وتدبره ، الخير والبركات الحاضرة والمنتظرة ، وجعل المناهج اليه ارسالا ، لاتمل تواليا واتصالا — أسعده الله أفضل سعادة قسمت لوالى عمل ، وأسهم له أخص بركة أسهمت لسامى أمل ، أحضر الله السداد عزمه ، والرشاد همه ، وكنفه العصمة وأيده ، وقربه بالتوفيق ولا أفرده ، هنأه الله تعالى بالموهبة التى ساقها اليه ، ومد رواقها عليه ؛ اذ كانت من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب ، وحلت فيه محل الاستيجاب لا الايجاب ، والاستحقاق دون الاتفاق — هنأ الله همته بالفضل الذى الولاية أصغر آلاته ، والرياسة بعض صفاته

التهنئة بذكر الخلع

ولهم فى التهنئة بذكر الخِلَع والأجبية

أهنى سيدى بمزيد الرفعة ، وجديد الخِلعة ، التى تخلع قلوب المنازعين ، واللواء الذى يلوى أيدى المنابذين ، والحظ الذى لو امتطاه الى الافلاك لحازها ، أو سما به الى الجوزاء لجازها — بلغنى خبر ماتطوعت به سماء المجد ، وجادت به أنواء الملك — فض من الخلع أسناها ، ومن المراكب أبهاها ، ومن السيوف أمضاها ، ومن الأفراس أجراها ، ومن الإقطاعات أنماها — لبس خلعته متجللا منها ملابس العز ، وامتطى فرسه قارعا به ذروة المجد ، وتقلد سيفه حاصداً بحده طلى أعدائه ، وغامطى نعمائه ، واعتنق طوقه متطوقاً عز الأبد ، واعتضد بالسوارين المودين بقوة الساعد والعضد ، وساس أولياءه ولواء العز عليه خافق ، وهو بلسان الظفر والنصر ناطق — قد لبس خلعته التى تعمد بها ، وامتطى حملانه الذى واصل بها احسانه ، وتمنطق بحسامه الذى ظاهر أبواب انعامه ، وتختم بخاتميه اللذين بسطا من يديه ، ووقع من دواته ، التى أعلت من درجاته ، قد ذرت عليه سماء الشرف عُرى الخلعة ، التى تتراءى صفحات العز على أعطافها وتمترى مزايا المجد من أطرافها ، وركب الحملان التى تتناول قاصية المنى من ناصيته والمركب الذى يستحد بالجلبة على السير والسيف والمنطقة الناطقان عن نهاية الاكرام الناظران قلائد الاعظام — خلع تخلع قلوب الاعداء عن مقارها ، وتعمر نفوس الاولياء بمسارها ، وسيف كالقضاء مضاءاً أو أحد ، ولواء يخفق قلوب المنازعين إذا خفق ، وحملات تصدع منكب الدهر اذا نطق

التهنئة بالقدوم من سفر

ولهم فى التهنئة بالقدوم من سفر

أهنى سيدى ونفسى بما يسر الله من قدومه سالما ، وأشكر الله على ذلك شكراً قائما ، غيبة المكارم مقرونة بغيبتك ، وأوبة النعم موصولة بأوبتك ، فوصل الله تعالى قدومك من الكرامة ، بأضعاف ماقرن به مسيرك من السلامة هنأ الله إيابك ، وبلغك محابك ، مازلت بالنية مسافراً ، وبافعال الذكر والفكر لك ملاقيا ، الى أن جمع الله شمل سرورى بأوبتك ، وسكّن نافر قلبى بعودتك ، فأسعدك الله بتقدمك سعادة تكون فيها مقابلا ، وبالامانى ظافراً ، ولا أوحش منك أوطان الفضل ، ورباع المجد ، بمنه وكرمه

دمامة الشيب

قال الهيثم بن عدى أنشدنى مجالد ابن سعيد شعراً أعجبنى فقلت من أنشدكه ؟ قال كنا يوماً عند الشعبى فتناشدنا الشعر فلما فرغنا قال : قال أيكم يحسن أن يقول مثل هذا وأنشدنا

خليلىَّ مهلاً طال مالم أقل مهلا * ولا شرفا منى المقال ولا جهلا
وإنّ صبا ابن الأربعين سفاهةٌ * فكيف مع اللاتى مثلت بها مثلا
يقول لىَ المفتى وهنّ عشيةً * بمكة يسحبن المهذبة السُّحلا
تقِ الله لاتنظر اليهن يافتى * وما خلتى بالحج ملتمساً وصلا
فوالله لا أنسى وان شطت النوى * عرانينهن الشم والاعين النجلا
ولا المسك فى أعرافهن ولا البُرى * جواعل فى أواسطها قضباً جُدْلا
خليلىّ لا والله ما قلت مرحباً * لاول شيبات طلعن ولا أهلا
خليلىّ ان الشيب زادَ كرهتهُ * فما أحسن المرعى وما أقبح المحلا

قال مجالد فكتبت الشعر ثم قلنا للشعبى من يقوله فسكت فحسبنا انه قائله

عمرو بن حممة الدوسى

قال الشرقى بن القطامى لما مات عمرو بن حممة الدوسى ، وكان أحد من تتحاكم العرب اليه ، قدم من سفره ثلاثة نفر من أهل المدينة قادمين من الشام الهدم بن امرىء القيس بن الحرث بن زيد ، وهو أبو كلثوم بن الهدم الذى نزل عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، وعتبة بن قيس بن منبه بن أمية بن مسعود ، وحاطب بن قيس بن هدبة التى كانت سبب حرب حاطب ، فعقروا رواحلهم على قبره ، وقام الهدم فقال

لقد ضمت الابراك منك مُرزَّأً * عظيمَ رمادِ النار مشترك القدْر

اذا قلت لم تترك مقالا لقائل * وان صُلت كنت الليث تحمى حمى الامر

حليمٌ اذا ما الحلم حل حزامهُ * وقوفٌ اذا كان الوقوف على جمر

ليبكك من كانت حياتك عزهُ * وأصبح لما مُتّ يقضى على الصقر

سقى الارض ذات الطول والعرض مسجمٌ * أحمّ الذرى واهى العرى دأم القطر

وما نبغ سقى الارض لـكنّ تربةً * أحلك فى أحشائها مخلد القبر

وقام عتبة بن قيس فقال

برغم العلا والجود والمجد والندى * طواك الردى ياخير حافٍ وناعلِ

لقد نال صرف الدهر منك مرزَّأً * نهوضاً باعباء الامور الاثاقل

يضم العفاة الطارقين فناؤهُ * كما ضم أم الرأس شعث القبائل

ويسرو دجا الهيجا مضاء عزيمة * كما كشف الصبح اطراد الغياطل

ويستهزم الجيش العرمرم باسمهِ * وان كان جراراً كثير الصواهل

فاما تصبك الحادثات بنكبةٍ * رمتك بها إحدى الدواهى الصوائل

فلا تبعدن ان الحتوف موارد * وكل فتى من صرفه غير وائل

وقام حاطب بن قيس فقال

سلام على القبر الذى ضم أعظماً * تحوم المعالى نحوه فتسلّمُ
سلام عليه كلما ذرّ شارقٌ * وما امتد قِطع من دجى الليل مظلم
لعمرو الذى خطت عليه يد الوفا * حدايير عوجاً بينها متهمم
لقد هدم العلياء موتك جانبا * وكان قديما ركنها لا يهدم

بلاغة الاعراب

قال الاصمعى سمعت اعرابيا يذكر قومه فقال : كانوا اذا اصطفوا تحت القتام ، ومطرت بينهم السهام ، يشربون الحمام ، واذا تصالحوا بالسيوف ، فغرت أفواهها الحتوف ، فرب قرن عارم قد أحسنوا أدبه ، وحرب عبوس قد أضحكتها أسنتهم ، وخطب شمير ذللوا مناكبه ، ويوم عماس قد كشفوا ظلمته بالصبر ، حتى تجلى ، كانوا البحر لا ينكر غماره ، ولا ينهنه تياره — قال العتبى سئل اعرابى عن حاله فقال : أجدنى مؤاخذاً بالنقلة ، محجوبا بالمهلة ، أفارق ماجمعت ، وأقدم على ما صنعت ، فياحيائى من كريم قدم المعذرة ، وأطال النظرة ، ان لم يتداركنى بالمغفرة ، ثم قضى — وقال بعض الرواة كان يقال الاخوان ثلاثة : أخ يخلص لك المودة ، ويبلغ لك فى مهمك جهده ، وأخ دوينه يقتصر بك على حسن نيته ، دون رفده ومعونته ، وأخ يجاملك بلسانه ، ويشتغل عنك بشانه ، ويوسعك من كذبه وإيمانه — قال اسحق بن ابراهيم الموصلى وقفت علينا اعرابية فقالت ياقوم تعثر بنا الدهر ، اذ قل منا الشكر ، وفارقنا الغنى ، وحالفنا الفقر ، فرحم الله امرأ فهم بعقل ، وأعطى من فضل ، وواسى من كفاف ، وأعان على عفاف

ذلة السؤال

قال أبو بكر الحنفي حضرت مجلس الجماعة بالكوفة وقد قام سائل يتكلم عند صلاة الظهر ثم صلاة العصر والمغرب ، فلم يُعط شيئاً فقال : اللهم انك بحاجتي عالم غير معلَّم ، وواسع غير مكلف ، وأنت الذي لا يرزؤك نائل ، ولا يحفيك سائل ، ولا يبلغ مدحتك قائل ، أنت كما قال المثنون ، وفوق ما يقولون ، أسألك صبراً جميلا ، وفرجاً قريباً ، ونصراً بالهدى ، وقرة عين فيما تحب وترضى . ثم ولى لينصرف ، فابتدره الناس يعطونه ، فلم يأخذ شيئاً ، ثم مضى وهو يقول.

ما اعتاض باذل وجهه بسؤالهِ * عوضاً ولو نال الغنى بسؤالِ

واذا السؤال مع النوال وزنتهُ * رجح السؤال وخفَّ كل نوال

المقامة المكفوفية

ومن مقامات الاسكندرى انشاء البديع : حدثنا عيسى بن هشام قال كنت اجتاز ، فى بلاد الأهواز ، وقُصاراى لفظة شرود أصيدها ، أو كلمة بليغة أستفيدها ، فأدانى السير الى رقعة فسيحة ، واذا هناك قوم مجتمعون على رجل يستمعون اليه وهو يخبط الارض بعصاً على إيقاع لا يختلف ، وعلمت أن مع الإيقاع لحناً ، ولم أبعد لأنال من السماع حظاً ، أو أسمع من البليغ لفظاً ، فما زلت بالنظارة ، أزحم هذا وأدفع ذلك ، حتى وصلت الى الرجل . وسرحت الطرف فيه . فاذا رجل مكفوف ، فى شملة من صوف ، يدور كالخذْروف ، متبرنسا بأطول منه ، معتمداً على عصا فيها جلاجل ، يضرب الارض بها على إيقاعٍ غَنِج ، ولفظٍ هَزِج ، من صدرٍ حَرِج ، وهو يقول

ياقوم قد أثقل ذنبي ظهري * وطالبتني طَلَتي بالمهر

أصبحت من بعد غنًى ووفرٍ * ساكن قَفْرٍ وحليف فقرِ

ياقوم هل بينكمُ من حُرٍّ * يعيننى على صروف الدهر
ياقوم قد عِيل بفقرى صبرى * وانكشفت عنى ذيول الستر
وفض ذا الدهر بأيدى النثر * ما كان لى من فضة وتبر
آوى الى بيت كقيد الشبر * خامل قَدر وصغير قِدر
لو ختم الله بخيرٍ أمرى * أعقبنى من عسرتى بيسر
هل من فتى فيكم كريم النَّجْر * محتسب فىَّ عظيم الاجر
ان لم يكن مغتنما للشكر

قال عيسى بن هشام: فرقّ له والله قلبى، واغرورقت عينى، وما لبثت أن أعطيته ديناراً كان معى، فأنشأ يقول

ياحسنها فاقعةً صفراء * ممشوقةً منقوشةً قوراء
يكاد أن يقطر منها الماء * قد أثمرتها همةٌ علياء
نفس فتى يملكهُ السخاء * يصرفها فيه كما يشاء
ياذا الذى يغنيه ذا الثناءُ * ما يتقصّى قدرك الإطراء
فامض على الله لك الجزاءُ

ورحم الله من شدها فى قرن مثلها، وآنسها بأختها، فأناله الناس ما أنالوه، ثم فارقهم وتبعته، وعلمت أنه متعام لسرعة ماعرف الدينار، فلما نظمتنا خلوة مددت يمناى الى يسرى عضديه، وقلت والله لتريني سرك، أولأ كشفن سترك فكشف عن توأمتى لوز(١)، وحدر لثامه، فاذا هو والله شيخنا أبو الفتح الاسكندرى فقلت أنت أبو الفتح؟ فقال: لا

أنا أبو قلمون * فى كل لون أكونُ
اخترْ من الكسب دوناً * فانّ دهرك دون
زجّ الزمان بحمق * ان الزمان زَبونُ
لا تُخدعنّ بعقل * ما العقل إلا الجنون

(١) كناية عن حدة عينيه

شعر كشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم

ما زال حر الشوق يغلب صبرها * حتى تحدر دمعها المتعلقُ
وجرى من الكحل السحيق بخدها * خط تؤثره الدموع السُّبَّقُ
فكأن مجرى الدمع حلية فضةٍ * في بعضه ذهب وبعضٌ مُحرَّق

وقال

ما لذةٌ أكملُ في طيبها * من قُبلة في إثرها عضة
كأنما تأثيرها لمعةٌ * من ذهب أُجرِيَ في فضة
خلستها بالكره من شادنٍ * يعشق بَعضى بالمنى بعضه

وقال

ومستهجن مدحى له إن تأكدت * له عقد الاخلاص والحر يمدح
ويأبى الذى فى القلب إلا تبيناً * وكل إناء بالذى فيه يرشح

وقال

واذا افتخرت بأعظم مقبورة * فالناس بين مكذب ومصدقِ
فأقم لنفسك فى انتسابك شاهداً * بحديث مجد للقديم محقّق

وقال

يامسدىَ العرف إسراراً وإعلانا * ومُتبع البر والاحسان احسانا
اقلع سحابك قد غرقتنى نعما * ما أدمن الغيث إلا كان طوفانا

هذا مولد من قول أبى نواس

لا تُسدِيَنّ الىّ عارفةً * حتى أقوم بشكر ما سلفا

البحترى

أُلحّ جوداً ولم تضرر سحائبهُ * وربما ضر فوق الحاجة المطرُ
مواهبٌ ما تجشمنا السؤال لها * ان السؤال قَليبٌ ليس يحتفَر

وقد أخذ على ذى الرمة قوله

ألا يا اسلمى يادار مىّ على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطرُ

قالوا وأحسن منه قول طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمةٌ تهمى

وقد تحرز ذو الرمة مما يؤل بدعائه لها بالسلامة فى أول البيت

وقال كشاجم

أيا نشوان من خمرٍ بفيهِ * متى تصحو وريقك خندريسُ
أرى بك ما أراه بذى انتشاء * ألحّ عليه بالكاس الجليس
تورُّد وجنةٍ وفتور لحظٍ * تمرّضه وأعطاف تميسُ

وقال

وما زال يبرى جملة الجسم حبها * وينقصه حتى نقصت على النقصِ
وقد ذبت حتى صرت إن أنا زرتها * أمنت عليها أن يرى أهلها شخصى

حسن الاعتذار

كتب ابن مكرم الى بعض الرؤساء « نبت بى غرة الحداثة ، فردتنى اليك التجربة ، وقادتنى الضرورة ، ثقةً باسراعك الىّ وان ابطأت عنك ، وقبولك لعذرى وان قصرت عن واجبك ، وان كانت ذنوبى سدت علىّ مسالك الصفح عنى ، فراجع فى مجدك وسؤددك ، وإنى لا أعرف موقفاً أذل موقفى ، لولا أن المخاطبة فيه لك ، ولا خطة أدنى من خطتى ، لولا أنها فى طلب رضاك »

وهذا المعنى الذى ذهب اليه من الرجوع الى الرئيس بعد تجربة غيره قد أكثر الناس منه قديماً وحديثاً وسأفيض فى طرق ذلك

طرائف المدح

وأنشد أبو عبيدة لزياد بن منقذ الحنظلى وهو أخو عبد مناة بن أد بن طابخة فولدت لمالك بن حنظلة عديا ويربوعا(١) فهؤلاء من ولده يقال لهم العدوية وكان زياد نزل بصنعاء فاجتواها ومنزله بنجد فقال فى ذلك قصيدة يقول فيها وذكر قومه

مخدّمون ثقالٌ فى مجالسهم * وفى الرحال اذا صاحبتهم خَدَمُ
لم ألق بعدهمُ حيا فأخبرَهم * إلا يزيدهمُ حبا الىّ هُمُ

وقال مسلم بن الوليد

حياتك ياابن سعدان بن يحيى * حياةٌ للمكارم والمعالى
جلبت لك الثناء فجاء عفواً * ونفس الشكر مطلقة العِقال
وترجعنى اليك وقد نأت بى * ديارى عنك تجربة الرجال

المبرد

أخٌ لك عاداه الزمان فأصبحتْ * مذممةً فيما لديه المطالبَ
متى ماتذوّقه التجارب صاحباً * من الناس ترددها اليك التجاربُ

وأنشد

حياة أبى العباس زينٌ لقومهِ * لـكل امرىء قاسى الأمور وجربا
ويعتب أحيانا عليه ولو مضى * لـكنا على الباقى من الناس أعتبا

وفاء الصولى للمكتفى

وقال الصولى جرى ذكر المكتفى بحضرة الراضى فأطنبت وأكثرت الثناء عليه ، فقال لى : ياصولى كنت أنشدتنى لجرير

أسلّيك عن زيد لتسلو وقد جرى * بعينيك من زيد قذىً ليس يبرحُ

---

(١) هكذا فى الاصل ويظهر أنه سقط شىء

فقلت يا أمير المؤمنين، من شكر القليل ، كان للكثير أشد شكرا ، وأعظم ذكرا ، قال فأين أنا لك من المكتفى ؟ فأنشدته للطائى

كم من وساع الجود عندى والندى * لما جرت جدوى وكان عطوفا
أحسنتما صفدى ولكن كنت لى * مثل الربيع حياً وكان خريفا
وكلا كما اقتعد العُلا فركبتها * فى الذروة العليا وجاء رديفا
ان غاض ماء المزن فضت وان قست * كبد الزمان علىّ كنت رءوفا

وكان المكتفى أول من نادمه الصولى ، واختلط به

ولم يل الخلافة أحد اسمه على إلا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وعلى بن المعتضد المكتفى بالله ، وكان سبب اتصاله به وانقطاعه اليه أن رجلا يعرف بمحمد بن احمد الماوردى ينزع الى المكتفى بالرقة ، وكان ألعب الناس بالشطرنج ، فلما قدم عليه ببغداد وهو خليفة ، قال يا أمير المؤمنين أنا أعلم الناس بهذه الصناعة ، فأقطعنى ما كان للرازى الشطرنجى ، فغاظ ذلك المكتفى ، وندب له الصولى فلم ير معه الماوردى شيأ ، فقال له المكتفى صار ماء وردك بولا ، قال الصولى فأقبل المكتفى علىّ ورتبنى فى الجلساء ، فجئت يوما فحجبت عنه ، واتصل بى ان خصمى شمت بى ، فكتبت قصيدة للمكتفى أقول فيها

قد ساء ظن الناس بى وتنكّروا * لما رأونى دون غيرى أُحجبُ
ان كان غلبته تقرّب أمرهُ * دونى فانى عن قليل أغلبُ

فضحك وأمر لى بمائتى دينار ، واندرجت فى خدمته

بيعة يزيد

اجتمعت وفود العرب عند معاوية رحمه الله تعالى ، وكان اذا أراد أن يفعل شيأ ألقى منه طرفا الى الناس ، فاذا امتنعوا كف ، وان رضوا امضى ، فعرض ببيعة يزيد ، فقامت خطباء معدّ فشققوا الكلام ، واطنبوا فى الخطاب ، فوثب

شاب من غسان قابضا على قائم سيفه ، فقال يا أمير المؤمنين ان الحكم للسيف ، وبعد النسيم الحيف ، فان هؤلاء عجزوا عن الصيال ، فعوّلوا على المقال ، ونحن القاتلون اذا صُلنا ، والمعجبون اذا قلنا ، فمن مال عن القصد أقمناه ، ومن قام بغير الحق قوّمناه ، فلينظر ناظرٌ الى موطن قدمه ، قبل أن يدحض فيهوى هُوِىّ الحجر من رأس النيق ، ثم قعد ، فتفرق الناس عن قوله ، ونسوا ما كانوا فيه من الخطب

فى الاقدام الحياة

وقال المهلب يوما لجلسائه أراكم تعنفونى فى الإقدام ، قالوا إى والله انك لسَقوط بنفسك فى المهالك ، قال اليكم عنى فوالله لولا ان آتى الموت مسترسلا لأتانى مستعجلا ، انى لست آتى الموت من حبه ، انما آتيه من بغضه ، ثم تمثل بقول الحصين بن الحمام المرى

أرى كلنا يهوى الحياة لنفسهِ * حريصاً عليها مستهاماً بها صبّاً
فحب الجبان النفس أورده التقى * وحب الشجاع النفس أورده الحربا

أبو دلف

وقال أبو دلف

الحرب تضحك عن كرى وإقدامى * والخيل تعرف آثارى وأيامى
سيفى نديمى وريحانى مثقفتى * وهمتى نية التفصيل للهام
وقد تجرد لى بالحسن منفردا * امضى وأشجع منى يوم اقدامى
سلت لواحظه سيف السقام على * جسمى فأصبح جسمى ربع اسقامى

وكان أبو دلف شاعراً مجيدا ، وجوادا كريما ، جامعا لآلات الادب والظرف ، وله شعر جيد فى كل فن ، وهو القائل

أحبك ياجنان وأنت منى * محل الروح من جسد الجبانِ

ولو أنى أقول مكان روحى * خلفت عليك بادرة الزمانِ
لإقدامى اذاما الخيل جالت * وهاب كُماتها حَر الطعان

وكان يتعشق جارية ببغداد فاذا شخص الى الحضرة زارها فركب فى بعض قدماته إليها ، فلما صار بالجسر مشى على طرف طيلسان بعض المارين ، فخرقه ، فأخذ بعنانه ، وقال : يا أبا دلف ، ليست هذه كرخك ، هذه مدينة السلام ، الذئب والشاة بها فى مربع واحد ! فثنى عنانه متوجهاً الى الكرخ ، وكتب الى الجارية

أقطعتْ عن لقائك الأشغال * وهمومٌ أتت علىّ ثقالُ
فى بلاد يهان فيها عزيز الـــــقوم حتى تناله الانذالُ
حيث لا مدفع بسيف عن الضيـــــم ولا للكماة فيها مجالُ
ومقام العزيز فى بلد الهو * ن اذا أمكن الرحيلُ محال
فعليك السلام يا ظبية الكر * خ أقتم وحان منا ارتحال

عبد الله بن طاهر

ودخل أبو دلف على المأمون بعد الرضا عنه فسأله عن عبد الله بن طاهر فقال : خلفته يا أمير المؤمنين ، أمين غيب ، نصيح جيب ، أسداً عادياً ، قائماً على براثنه ، يسعد به وليك ، ويشقى به عدوك ، رحب الفناء لأهل طاعتك ، ذا بأس شديد لمن زاغ عن قصد محجتك ، قد فقهه الحزم ، وأيقظه العزم ، فقام فى نحر الأمور على ساق التشمير ، يبرمها بأيده وكيده ، ويفلها بحده وجده ، وما أشبهه فى الحرب إلا بقول العباس ابن مرداس

أكرّ على الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيها أم سواها

فقال قائل: ما أفصحه على جبليته! فقال المأمون وان بالجبل قوماً أمجادا ، كراماً أنجاداً ، وإنهم ليوفون السيف حظه يوم النزال ، والكلام حقه يوم المقال

رسائل الميكالى

— ١ —

فصل لأبى الفضل الميكالى من كتاب تعزية عن أبى العباس ابن الامام أبى الطيب « لئن كانت الرزية بمصيبةمؤلمة، وطرق العزاء والسلوة مبهمة ، لقد حلت بساحة من لا تنتقض بها مرائره ، ولا تضعف عن احتمالها بصائره ، بل تلقاها بصدر فسيح يحمى أن يفتح الحزن بابه ، وصبر مشيح يخشى أن يحبط الجزع أجره وثوابه ، ولمَ لا وآداب الدين من عنده تُلتمس ، وأحكام الشرع من بنانه ولسانه تُستفاد وتقتبس ، والعيون ترمقه فى هذه الحالة لتجرى على سَنَنه وتأخذ بآدابه وسُننه ، فان تعزّ القلوب فبحسن تماسكه عزاؤها ، وان حسنت الأفعال فالى حميد أفعاله ومذاهبه اعتزاؤها »

— ٢ —

وله من تعزية الى أبى عمرو البحترى « سقى الله روحه ، ونوّر ضريحه ، فلقد عاش نبيه الذكر ، جليل القدر ، عبق الثناء والنشر ، يتجمل به أهل بلده ، ويتباهى بمكانه ذوو مودته ، ويفتخر الأثر وحاملوه بتراخى بقائه ومدته ، حتى اذا تسنّم ذروة الفضائل والمناقب ، وظهرت محاسنه كالنجوم الثواقب ، اختطفته يد المقدار ، ومحت أثره بين الآثار ، فالفضل خاشع الطرف لفقده ، والكرم خالى الربع من بعده ، والحديث يندب حافظه ودارسه ، وحسن العهد يبكى كافله وحارسه »

— ٣ —

وله : فأما الشكر الذى أعارنى رداه ، وقلدنى طوقه وسناه ، فهيهات أن ينتسب الا إلى عادات فضله وإفضاله ، ولا يسير إلا تحت رايات عرفه ونواله ، وهو ثوب لايحلى إلا بذكره طرازه ، واسم له حقيقته ولسواه مجازه ، ولو أنه حين ملك

رقى بأياديه ، وأعجز وسعى عن حقوق مكارمه ومساعيه، خلى لى مذهب الشكر وميدانه ، ولم يجاذبنى زمامه وعنانه ، لتعلقت عن بلوغ بعض الواجب بعروة طمع ، ونهضت فيه ولو على وهن وظَلَع ، ولكنه يأبى إلا أن يستولى على أمد الفضائل ، ويتسنم ذرى الغوارب منها والكواهل ، فلا يدع فى المجد غاية إلا سبق اليها فارطاً ، وتخلف عنها سواه حسيرا ساقطا ، لتكون المعالى بأسرها مجموعة فى ملكه ، منظومة فى سلكه ، خالصة له من دعوى القسيم وشركه

— ٤ —

وله فصل من كتاب الى أبى سعيد بن خلف الهمذانى « فأما التحفة التى شفعها بكتابه فقد وصلت ، فكانت ضَرة لزهر الربيع ، موفية بحسن الخط على الوشى الصنيع ، وليس يهتدى لمثل هذه اللطائف فى مبرة الاخوان ، الا من يعد من افراد الاقران ، ولا يرضى من نفسه فى إقامة شعائر البر بالافراد دون القران ، والله يمتعه ما منحه من الخصائص التى هى فى أذن الزمان شنوف ، وفى جيده عقد مرصوف »

عتاب

وقال أبو يعقوب الخريمى يعاتب الوليد بن أبان

أتعجب منى ان صبرت على الاذى * وكنت امرأً ذا إربة متجملا
فانى بحمد الله لا رَأْىَ عاجز * رأيت ولا أخطأت للحق مفصلا
ولكن تدبرت الامور فلم أجد * سوى الحلم والاغضاء خيراً وأفضلا
وأقسم لولا سالف الود بيننا * وعهدٌ أبت اركانه ان تزيّلا
وايامك الغر اللواتى تقدمت * وأوليتنيها منعما متطوّلا
رحلت قلوص الهجر ثم اقتعدتها * الى البعد ما ألفيت فى الارض معملا
وأكرمت نفسى والكرامة حظها * ولم ترنى لولا الهوى متذللا

وعارضت اطراف الصبا ابتغى أخاً * يعين اذا ما الهم بالمرء أعضلا
أخاً كأبي عمرو وأنَّى بمثله * اذا الحر بالمجد ارتدى وتسربلا
جزى الله عثمان الخريمىّ خير ما جزى صاحباً جزل المواهب مُفضِلا
أخاً كان ان أقبلت بالود زادنى * صفاء وان أدبرت حنّ وأقبلا
أخاً لم يخنى فى الحياة ولم أبتْ * يخوّفنى الاعداء منه التنقلا
اذا حاولوهُ بالسعاية حاولوا * به هضبة تأبى بان تتحلحلا
يحكّمنى فى ماله ولسانه * ويركب دونى الزاعبىّ المؤللا
كفى جفوة الاخوان طول حياته * وأورث مما كان أعطى وأجزلا
وبات حميدا لم يكدر صنيعهُ * ولم أقله طول الحياة وماقلا
وكنتَ أخاً لو دام عهدك واصلاً * نصوراً اذا ما الشر خبّ وهرولا
فغيّرك الواشون حتى كأنما * ترانى شجاعا بين عينيك مقبلا[1]

أبو يعقوب الخريمى

وأبو يعقوب هذا اسحق بن حسان. قال المبرد كان يعقوب جيد الشعر ، مقبولا عند الكتاب ، وله كلام قوى ، ومذهب متوسط ، وكان يرجع الى نسب كريم فى الصغد ، وكان له ولاء فى غطفان ، وكان اتصاله بمولاه أبى عثمان ابن خريم المرى الذى يقال له خريم الناعم ، وكان أبو عثمان هذا قائدا جليلا ، وسيداً كريما ، وسئل عن لذة الدنيا فقال : الأمن فانه لا عيش لخائف ، والعافية فانه لا عيش لسقيم ، والغنى فانه لا عيش لفقير . وقيل له ما بلغت من نعمتك ؟ قال لم ألبس جديداً فى صيف ، ولا خلَقا فى شتاء . وفى نسبه فى الصغد يقول

أبا لصغد باس ان يغيرَنى الجهلُ * سفاها ومن أخلاق جارتنا البخلُ

---

(١) الشجاع هنا الثعبان

يقول فيها

وما ضرنى أن لم تلدنى محاجرٌ * ولم تشتمل جرم علىّ ولا عكلُ
وَوَدَّ الفتى فى كل نيل يُنيلهُ * اذا ما انقضى لو أن نائله جزل
وأعلم علما ليس بالظن أنهُ * لكل أناس من ضرائبهم شكلَ
وأن اخلاء الزمان غَناؤهم * قليل اذا ما المرء زلت به النعل
تزوّد من الدنيا متاعاً لغيرها * فقد شمرت حدباء وانصرم الحبل
وهل أنت الا هامةُ اليوم أوغدٍ * لأ مك من احدى طوارقها الثكل

وقال يتشوق الحسن بن البحناج

ألا مُبلغ عنى خليلا ودونهُ * مطا سفرٍ لا يطعم النوم طالبُهْ
رسالة ثاوٍ بالعراق وروحهُ * بفسطاط مصر حيث جمت عجائبه
له كل يوم حنةٌ بعد أنةٍ * يجيش بها فى الصدر شوقٌ يغالبه
الى صاحب لا يخلق النأى عهدهُ * لناه ولا يشقى به من يصاقبه
تخبّره حرا نقيا ضميرهُ * جميلا محياه كريما ضرائبه
هو الشهد سلماً والذعاف عداوةً * وبحر على الورّاد تجرى غواربه
فياحسن الحسن الذى عم فضلهُ * وتمت أياديه وجمت مناقبه
اليك على بعد المزار وصعبهِ * نوازع شوق ما تُرد عوازبه
أرى بعدك الاخوان ابناء عِلةٍ * ذوى نسب فى ودهم لا أناسبه
فهل يرجعنْ عيشى وعيشك مرةً * ببغداد دهرٌ منصفٌ لا نعاتبه
ليالى أرى لى فى جنابك روضةً * وآوى الى حصن منيع ترائبه
واذ أنت لى كالشهد بالراح صفقا * بماء رصاف صفقته جنائبه
عسى ولعل الله يجمع بيننا * كما لاءمت صدع الاناء مشاعبه

معان متفرقة

«فقر وفصول فى معان شتى»

قال العتابى : حظ الطالبين من الدرك بحسب ما استصحبوا من الصبر
بعض الحكماء: الحلم عُدة للسفيه ، وجُنة من كيد العدو ، وانك لن تقابل سفيها بالاعراض عن قوله الا أذللت نفسه ، وفللت حده ، وسللت عليه سيوفا من شواهد حلمك عنه ، فتولوا لك الانتقام منه — وقال آخر : العجلة مكسبة للمذمة ، مجلبة للندامة ، منفرة لأهل الثقة ، مانعة من سداد الرغبة — وأتى العتابى وهو بالرى رجل يودعه فقال أين تريد ؟ قال بغداد . قال انك تريد بلدا اصطلح أهله على صحة العلانية ، وسقم السريرة ، كلهم يعطيك كله ، ويمنعك قلبه وقال يحيى بن خالد لرجل دخل عليه ما كان خبرك مع فلان ؟ قال أمذيت مكاشفته ، واشتريت مكابرته ، بألف درهم ، فقال يحيى لا تبرح حتى يكتب الفضل وجعفر عنك هذا القول . قال الأصمعى سمعت اعرابيا يدعو ويقول: اللهم ارزقنى عمل الخائفين ، وخوف العاملين ، حتى أتنعم بترك التنعم رجاء لما وعدت ، وخوفا مما أوعدت — العتابى : أما بعد فانه ليس بمستخلص غضارة عيش الامن خلال مكروهه ، ومن انتصر بعاجلة الدول ، ومؤاجلة الاستقصاء ، فسكّينة الأيام ترمقه

صدق الوداد

كتب بعض الكتاب الى أخ له « ان رأيت أن تحدد لى ميعاداً لزيارتك ، أتوق به الى وقت رؤيتك ، ويؤنسنى الى حين لقائك ، فعلت » فأجابه « أخاف ان أعدك وعدا يعترض دون الوفاء به مالا أقدر على دفعه ، فتكون الحسرة أعظم من الفرقة » فأجابه « أنا أسر بوعدك ، وأكون جذلا بانتظارك ، فان عاق عن الانجاز عائق ، كنت قد ربحت السرور بالتوقع لما أحبه ، وأصبت أجرى على

الحسرة بما حرمته» وكتب أخ الى أخ له يستدعيه «أما بعد فانه من عانى الظمأ بفرقتك استوجب الرى من رؤيتك» وكتب آخر فى بابه «يومنا يوم طاب أوله، وحسن مستقبله، وأتت السماء بقطارها، فحلت الارض بأنوارها، وبك تطيب الشمول، ويشفى الغليل، فان تأخرت عنا فرقت شملنا، وان تعجلت الينا نظمت أمرنا» قال اسحق قال لى ثمامة بن اشرس وقد أصبت بمصيبة «لمصيبة فى غيرك لك ثوابها، خير من مصيبة فيك لغيرها أجرها» ومر عمرو بن ذر بابن عياش المنتوف وكان سفه عليه فأعرض عنه، وتعلق بثوبه، وقال «ياهناه إنا لم نجد لك جزاء اذ عصيت لله فينا خيرا من أن نطيعه فيك» أخذه من قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه «ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه» وكتب بعض الكتاب الى رئيسه «مارجائى عدلك، بزائد على تأميلى فضلك، كما أنه ليس خوفى صيالك، بأكثر من خشيتى نكالك، لأنك لا ترضى للمحسن بصغير المثوبة، كما لا تقنع للمسيء إلا بعاجل العقوبة» وقال آخر «ما عسيت أن أشكرك عليه من مواعد لم تشب بمطل، ومرافد لم تشب بمن، وعهد لم يمازجه ملق، وود لم يشبه مذق» وقال آخر «علق أسباب الجلالة غير مستشعر فيها بنخوة، وترامت له أحوال الصرامة غير مستعمل معها السطوة، هذا مع دماثة فى غير حَصَر، ولين جانب من غير خور»

فصل لابن الرومى: انى لوليك الذى لم تزل تنقاد لك مودته من غير طمع ولا جزع، وان كنت لذى رغبة مطمعاً، ولذى رهبة مفزعاً

أبو فراس الحمدانى:

كذاك الوداد المحض لا يرتجى لهُ * ثوابٌ ولا يخشى عليه عقابُ

حنيفة و نمير

غزت حنيفة نميراً فأتبعتهم نمير فانتصفوا منهم ، فقيل لرجل منهم كيف صنع قومك ؟ قال اتبعوهم وقد أحقبوا كل حمالة خيفانة ، فما زالوا يخصفون المطى بحوافر الخيل ، حتى لقوهم ، فجعلوا المرّان أرشية الموت ، فاستقبلوا بها أرواحهم

اللهم آمين

ودعا أعرابى فقال : اللهم ان كان رزقى نائياً فقرّبه ، أو قريباً فيسّره ، أو ميسراً فعجله ، أو قليلا فكثّره ، أو كثيراً فثمّره

كتاب عنبسة الى المأمون

وكتب عنبسة بن اسحق الى المأمون وهو عامله على الرقة ، يصف خروج الأعراب بناحية سنجار وعيثهم بها « يا أمير المؤمنين قد قطع سبل المجتازين من المسلمين والمعاهدين نفر من شذاذ الاعراب الذين لا يرقبون فى مؤمن إلاّ ولا ذمة ولا يخافون من الله حداً ولا عقوبة ، ولو لا تقى بسيف أمير المؤمنين وحصده هذه الطائفة ، وبلوغه فى أعداء الله ما يردع قاصيهم ودانيهم ، لأذنت بالاستنجاد عليهم ، ولأسعيت الخيل اليهم ، وأمير المؤمنين معان فى أموره بالتأييد والنصر » فكتب اليه المأمون

أسمعت غير كهام السمع والبصر * لا يقطع السيف الا فى يد الحذرِ
سيصبح القوم من سيفى وضاربهِ * مثل الهشيم ذرته الريح بالمطر

فوجه عنبسة بالبيتين الى الاعراب فما بقى منهم اثنان

المطلب بن عبد الله

وكتب المطلب بن عبد الله بن مالك الى الحسن بن سهل فى رجل توسل به « طلب العافين الوسائل الى الأمير أعزه الله ينبيء عن شروع موارد إحسانه ويدعو الى معرفة فضله ، وما أنصفَه أعزه الله تعالى مَن توسل الى معروفه بغيره ورأى الأمير فى التطول على من قصرت معرفته عن ذلك ما يريد الله تعالى فيه موفقاً » فكتب اليه الحسن « وصلك الله فيما وصلتنى فى صاحبك من الأجر والشكر ، وأراك الإحسان فى قصدك الىّ بامتثاله برضا يفيدك شكره ، ويعقبك أجره ، ورأيك فى إتمام ما ابتدأت به وإعلامى ذلك مشكوراً » وكان المطلب ممدوحاً كريماً قد حسد دعبل شرفه ونعامه ، وغبط إحسانه واكرامه ، إذ يقول

اضرب بندى طلحة الطلحات معترفا * بلؤم مطّلب فينا وكن حكما
تخلص خزاعة من لؤم ومن كرم * فلا تعدّ لها لؤماً ولا كرما

وأمر طلحة أعرف من أن يوصف ، وما أبعد قول دعبل من قول البحترى لصاعد بن مخلد وأهل بيته

بنى مخلدٍ كفوا تدفق جوركم * ولا تحبسونا حظنا فى المكارمِ
ولا تنصروا مجدى قيان ومخلد * بأن تذهبوا عنا بسمعة حاتم
وكان لنا اسم الجود حتى جعلتمُ * تعضون منا بالخلال الكرائم

يزيد بن مزيد

قال الزبير بن بكار لما مات يزيد بن مزيد بارمينية قام حبيب بن البراء خطيباً فقال : أيها الناس لا تقنطوا من مثله وان كان قليل النظير ، وهبوه من صالح دعائكم ، مثل الذى أخلص فيكم من نوالكم ، والله ما تفعل الديمة المطلة فى البقعة الجدبة ، ما عملت فينا يداه ، من عدله ونداه . سرق هذا أبو لبانة فقال :

ما بقعةٌ جادها غيث وقربها * فأزهرت بأقاحى النبت ألوانا
أبهى وأحسن مما آثرت يدهُ * فى الشرق والغرب معروفاً وإحساناً

وقال ابن المبارك يمدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن الملهب بن أبى صفرة.

واذا تُباع كريمة أو تشترى * فسواك بائعها وأنت المشترى
واذا توعّرت المسالك لم يكن * فيها السبيل إلى نداك بأوعر
واذا صنعت صنيعة أتممتها * بيدين ليس نداهما بمكدّر
واذا هممت لمعتفيك بنائل * قال الندى فأطعته لك أكثر
يا واحد العرب الذى ما إن لهم * من معدَل عنه ولا من مقصَر

رسائل البديع

— ١ —

كتب البديع أبو عبد الله احمد بن الحسين بن يحيى «أما أبو فلان فلاشك أن كتابى يرد منه على صدر محا اسمى من صحيفته ، وقطع حظى من وظيفته ، ونسى اجتماعنا على الحديث والعزل ، وتصرفنا فى الجد والهزل ، وتقلبنا فى أعطاف العيش ، بين الوقار والطيش ، وارتضاعنا ثدى العشرة ، اذ الزمان رقيق القشرة ، وتواعدنا أن يلحق أحدنا بصاحبه ، وتصالحنا من قبل ، أن لا نصرم الحبل ، وتعاهدنا من بعد ، أن لا ننقض العهد ، وكأنى به وقد اتخذ إخواناً فلا بأس ، فان كان للجديد لذة فللقديم حرمة ، والأخوة بردة لا تضيق بين اثنين ، ولوشاء لعاشرنا فى البين ، وكأن سائلى أن أرتاد له منزلا ماؤه روى ، ومرعاه غذى ، وأكاتبه لينهض اليه راحلته ، فهاهى نيسابور ضالته التى نشدتها وقد وجدتها ، وخراسان أمنيته التى طلبتها وقد أصبتها ، وهذه الدولة بغيته التى أرادها وقد وردتها ، فان صدقنى رائداً ، فليأتنى قاصداً .

— ٢ —

وله الى بعض إخوانه تعزية عن أبيه : وصلت رقعتك ياسيدى والمصاب لعمر الله كبير ، وأنت بالجزع جدير ، ولكنك بالعزاء أجدر ، والصبر عن الأحبة رشد كأنه الغى ، وقد مات الميت فليحى الحى ، والآن فاشدد على مالك بالخمس ، فأنت اليوم غيرك بالأمس ، وكان الشيخ رحمه الله وكيلك، تضحك ويبكى لك ، وقد مولك ماألف فى سراه وسيره ، وخلفك فقيراً الى الله غنياً عن غيره ، وسيعجم الشيطان عودك ، فان استلانك رماك بقوم يقولون خير المال ماأُتلف بين الشراب والشباب ، وانفق بين الحباب والاحباب ، والعيش بين القداح والاقداح، ولولا الاستعمال، ماأريد المال ، فان أطعتهم فاليوم فى الشراب ، وغدا فى الخراب ، واليوم واطربا للكاس ، وغدا واحربا من الافلاس ، يا مولاى ذلك الخارج من العود يسميه الجاهل نقرا ، ويسميه العاقل فقرا ،وكذلك المسموع فى الناى ، هو فى الأذن زمر ، وفى الابواب سمر ، فان لم يجد الشيطان مغمزاً فى عودك من هذا الوجه ، رماك بقوم يمثلون الفقر حذاء عينيك ،فتجاهد قلبك ، وتحاسب بطنك ، وتناقش عرسك ، وتمنع نفسك ،وتتوقى دنياك بوزرك ، وتراه فى الآخرة فى ميزان غيرك، لا ولكن قصداً بين الطريقين ، وميلا عن الفريقين لا منع ولا إسراف ، والبخل فقر حاضر ، وضر عاجل، وانما يبخل المرء خيفة ما هو فيه .

ومن ينفق الساعات فى جمع مالهِ * مخافة فقر فالذى صنع الفقرُ

وليكن لله فى مالك قسم ، وللمروأة قسم ، فصل الرحم ما استطعت ، وقدر اذا قطعت ، فلأن تكون فى جانب التقدير ، خير من أن تكون فى جانب التبذير .

— ٣ —

. وله الى رئيس نساعناية برجل « كتابى أطال الله بقاء الرئيس والـكاتب مجهول والـكتاب فضول ، وبحسب الرأى موقعه ، فان كان جميلا فهو تطوّل ، وان كان شيئاً فهو تقوّل ، وأية سلك الظن ، فله أيده الله تعالى المن ، من نيسابور عن سلامة شاملة نسأل الله تعالى أن لا يلهينا بسكرها عن شكرها ، والحمد لله رب العالمين يقول الشيخ أيده الله تعالى من هذا الرجل ؟ وما هذا الـكتاب ، فاما الرجل فخاطب ود أولاً ، وموصل شكر ثانيا ، وأما الـكتاب فلِحام أرحام الـكرام فان يعن الله الـكرام تتصل الارحام . هذا الشريف قد حاربه زمان السوء . فأخرجه من البيت الذى بلغ السماء مفخرًا . ثم طلب فوقه مظهرا . وله بعدُ جلالة النسب ، وطهارة الاخلاق ، وكرم العهد ، وحضرنى فسألته عما وراءه ، فأشار الى ضالة الاحرار ، وهو الـكرم مع اليسار ، ونبه على قيد الـكرام ، وهو البشر مع الانعام ، وحدث عن برد الأكباد ، وهو مساعدة الزمان للجواد ، ودل على نزهة الأبصار ، وهو الثراء ، ومُتْعَة الأسماع ، وهو الثناء ، وقلما اجتمعا ، وعزَّ ما وُجدا معا ، وذكر أن الشيخ الرئيس أيده الله جِماع هذه الخيرات ، وسألنى الشهادة له ، وبذل الخط بها ، ففعلت ، وسألت الله إعانته ، على همته ، فرأىُ الشيخ أيده الله تعالى فى الوقوف على ما كتبت ، وفى الاجابة إن نشط ، الموفَّق ان شاء الله

— ٤ —

وله الى بن أخيه « وصل كتابك بما ضمنته من تظاهر نعم الله عليك ، وعلى أبويك ، فسكنت الى ذلك ، من حالك ، وسألت الله بقاءك ، وأن يرزقنى لقاءك ، وذكرت مصابك بأخيك ، رحمه الله تعالى ، فـكأنما فتّ عضدى . وطعنت فى كبدى ، فقد كنت معتضداً بمكانه ، والقدر جارٍ لشانه ، وكذلك المرء يدبّر ، والقضاء

يدمر ، والآمال تنقسم ، والآجال تبتسم ، فالله يجعلك فرطاً ، ولا يريني فيك سوا أبداً ، وأنت ان شاء الله تعالى وارث عمره ، وسداد ثغره ، ونعم العوض بقاؤك

ان الأشاء اذا أصاب مشذّبا * منه أغلّ ذُرًى وأثّ أسافلا

وأبوك سيدى أيده الله تعالى وألهمه الجميل ، وهو الصبر ، وأناله الجزيل ، وهو الأجر ، وأمتعه بك طويلا ، فما سُؤْتَ بديلا ، وأنت ولدى ما دمت والعلم شانك ، والمدرسة مكانك . والدفتر نديمك ، وان قصرت ولا إخالك ، فغيرى خالك

— ٥

وله من كتاب الى أبى القاسم الداودى بسجستان : كتابى أطال الله بقاء الفقيه ، كتاب من ينسى الايام وتذكره ، ويطويها وتنشره ، ويبيد أبناء دهره ، وراء ظهره ، ويخرج أهل زمانه ، من ضمانه ، فاذا تناولهم بيمناه ، وتسلمهم بيسراه ، أقسم أن صفقته هى الرابحة ، وكفته هى الراجحة ، وأنا أيد الله الفقيه على قرب العهد ، بالمهد ، قد قطعت عرض الارض ، وعاشرت أجناس الناس ، فما أحد إلا بالجهل اتّبعته ، وبالخبرة بعته ، وبالظن أخذته ، وباليقين نبذته ، وما حمدٌ وضعته فى أحد إلا ضيعته ، ولا مدح صرفته الى أحد إلا غربته ، ومن احتاج الى الناس ، وزنهم بالقسطاس ، ومن طاف نصف الشرق ، فقد لقى رُبع الخلق ، ومن لم يجد فى النّصف لمحة دالة ، لم يجد فى الكل غرة لائحة ، وكان لنا صديق يقول ان عشت سبعين عاماً مت ولم أملك دينارا ، إلا أنى قد عشت ثلاثين ولم أملك فلساً ، وهذا لعمرى ياس ، يوجبه قياس ، وقنوط ، بالحجة منوط ، ودعابة ستكون جداً ، ووراء هذه الجملة موجدة على قوم ، وعربدة الى يوم ، والفقيه السيد واسع مجال الهمم ، ثابت مكان القدم ، وأنا فى كنفه صائب سهم الأمل ، وافر جناح الجدل ، والحمد لله على ما يوليه ، ويولينا معشر مواليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وذريته .

— ٦ —

وله الى ابراهيم بن حمزة خادم الاستاذ الجليل « قد أتبع قدمه الى الخدمة قلمه وأتلى لسانه فى الحاجة بنانه ، وقد كان استأذنه فى توقير هذا اليوم فى مجلس السيد الجليل فاذن له على عادته السليمة ، وشيمته القويمة ، ومن وجد كلأً رتع ، ومن صادف غيثاً انتجع ، ومن احتاج للحاجات سأل ، وبقى أن يُشفع الأستاذ الجليل بإزاء الحوض حفرة ، وينظم الى روض الاحسان مطرة ، ويطرز أنسنا بأبى فلان ، فقد وُصف لى حتى تُقت شوقاً اليه ، ووجداً به ، وشغفاً له ، وغلواً فيه ، ورأيه فى الاصغاء الى الكرم عالٍ ان شاء الله تعالى

المقامة السجستانية

ومن إنشائه فى مقامات أبى الفتح السكندرى حدثنا عيسى بن هشام قال حدانى الى سجستان أرب ، فاقتعدت طيته . وامتطيت مطيته ، واستخرت الله تعالى فى العزم حدوته أمامى ، والحزم جعلته قدامى ، حتى هدانى اليها ، ووافيت دروبها وقد وافت الشمس غروبها ، واتفق المبيت حيث انتهيت . ولما انتضى نصل الصباح ، وبرز جبين المصباح[1] ، مضيت الى السوق أتخذ منزلا ، فحيث انتهيت من دائرة البلد الى نقطتها ، ومن قلادة السوق الى واسطتها ، خرق سمعى صوت له من كل عرق معنى ، فانتحيت وفده ، حتى وقفت عنده ، فاذا رجل على فرسه مختنق بنفسه ، قد ولانى قَذاله وهو يقول : من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى ، أنا باكورة اليمن ، أنا أحدوثة الزمن ، أنا أدعيّة الرجال ، وأحجية ربات الحجال ، سلوا عنى الجبال وحُزونها ، والبحار وعيونها والخيل ومتونها ، من لذى ملك أسوارها ، وعرف أسرارها ، ونهج سمتها ، وولج حَرَّتها ، وسلوا الملوك وخزائنها ، والاغلاق ومعادنها ، والعلوم وبواطنها ،

(١) المصباح هنا الشمس

والخطوب ومغالقها ، والحروب ومضايقها ، من الذى أخذ مختزنها ، ولم يؤد ثمنها ومن الذى ملك مفاتحها ، وعرف مصالحها ، أنا والله فعلت ذلك ، وسفرت بين الملوك الصيد ، وكشفت أستار الخطوب السود ، أنا والله شهدت حتى مصارع العشاق ، ومرضت حتى لمرض الاحداق ، وهصرت الغصون الناعمات ، وجنيت حتى الخدود الموردات ، ونفرت عن الدنيات نفور طبع الكريم عن وجوه اللئام ونبوت عن المحرمات نبو سمع الشريف عن قبيح الكلام ، والآن لما أسفر صبح المشيب ، وعلتنى أبهة الكبر ، عمدت لاصلاح أمر المعاد ، باعداد الزاد ، فلم أر طريقاً أهدى الى الرشاد مما أنا سالكه ، يرانى أحدكم راكب شرس وهوس ، فيقول هذا أبو العجب ، لا ، ولكنى أبو العجائب ، عاينتها وعانيتها ، وأم الكبائر قايستها وقاسيتها ، وأخو الاغلاق ، صعبا أخذتها ، وهوناً اضعتها ، وغالياً اشتريتها ، ورخيصاً بعتها ، فقد والله صحبت لها المواكب ، وزاحمت المناكب ، ورعيت الكواكب ، وأنضيت الركائب ، ولا من عليكم ، فما حصلتها إلا لأمري ، ولا أعددتها إلا لنفسى ، لكنى دفعت الى مكاره نذرت معها أن لا أدخر عن المسلمين نفعها ، ولا بد لى أن أخلع ربقة هذه الأمانة من عنقى الى أعناقكم ، وأعرض دوائى هذا فى أسواقكم ، فليشتره منى من لا يتقزز من موقف العبيد ولا يأنف من كلمة التوحيد ، وليصنه من أنجبت جدوده ، وسقى بالماء الطاهر عوده. قال عيسى بن هشام فدرت الى وجهه لأعلم علمه ، فاذا شيخنا أبو الفتح الاسكندرى وانتظرت إجفال العامة بين يديه ، ثم تعرضت فقلت كم يحل دواءك هذا ، قال يحل الكيس ما مست الحاجة ، فانصرفت وتركته

المقامة القردية

ومن إنشائه فى هذا الباب : حدثنا عيسى بن هشام قال بينا أنا بمدينة السلام قافلا من البيت الحرام ، أميس ميس الرجلة ، على شاطىء الدجلة ، أتأمل تلك الطرائف

وأتقصّى تلك الزخارف ، اذ انتهيت الى حلقة رجال مزدحمين ، يلوى الطرب أعناقهم ويشق الضحك أشداقهم ، فساقنى الحرص الى ما ساقهم ، حتى وقفت بمسمع صوت الرجل دون مرأى وجهه ، لشدة الهجمة ، وفرط الزحمة ، واذا هو قرّاد يُرقص قرده ، ويُضحك من عنده ، فرقصت رقص المحرّج ، وسرت سير الأعرج ، فوق أعناق الناس ، يلفظنى عاتق هذا لسرة ذاك ، حتى افترشت لحية رجلين ، وقعدت بين اثنين ، وقد أشرقنى الخجل بريقه ، وأرهقنى المكان لضيقه ، فلما فرغ القراد من شغله ، وانتفض المجلس عن أهله ، قمت وقد كسانى الريب حلته ، ووقفت لأرى صورته ، فاذا أبو الفتح الاسكندرى ، فقلت ما هذه الدناءة ويحك ! فقال :

الذنب للأيام لا لى * فاعتب على صرف الليالى

بالحمق أدركت المنى * ورفلت فى ثوب الجمال

المقامة الاصفهانية

ومن انشائه فى هذا الباب أيضاً : حدثنا عيسى بن هشام قال كنت بأصبهان اعتزم المسير الى الرىّ ، فحللتها حلول الفىء ، أتوقع النقلة كل لمحة ، وأترقب الرحلة كل صبحة ، فلما حُمّ ما توقعته ، وازف ما ترقبته ، نودى للصلاة نداء سمعته ، وتعين فرض الاجابة ، فانسللت من بين الصحابة ، أغتنم الجماعة أدركها ، وأخشى فوات القافلة أتركها ، لكنى استعنت ببركة الصلاة ، على وعثاء الفلاة ، فصرت الى أول الصفوف ، ومثلت للوقوف ، وتقدم الامام المحراب ، وقرأ فاتحة الكتاب ، وثنى بالاحزاب ، بقراءة حمزة ، مدةً وهمزة ، وأتبع الفاتحة بالواقعة ، وأنا أتصلى بنار الصبر وأتصلّب ، وأتقلى على جمر الغيظ وأتقلب ، وليس الا السكوت والصبر ، أو الكلام والقبر ، لِمَا عرفت من خشونة القوم فى ذلك المقام ، أن لو قطعت الصلاة دون السلام ، فوقفت بقدم الضرورة على تلك الصورة ، الى انتهاء السورة ، وقد قنطت من القافلة ، ويئست من الراحلة

ثم حنى قوسه للركوع ، بنوع من الخشوع ، وضرب من الخضوع ، لم أعهده قبل ذلك ، ثم رفع رأسه ويده ، وقال سمع الله لمن حمده ، وقام ، حتى شككت أنه نام ، ثم أكب لوجهه ، فرفعت رأسي أنتهز فرصة ، فلم أر بين الصفوف فرجة ، فعدت للسجود ، حتى كبر للقعود ، وقام ابن الزانية ، للركعة الثانية ، وقرأ الفاتحة والقارعة ، قراءة استوفى فيها عمر الساعة ، واسترق أرواح الجماعة ، فلما فرغ من ركعتيه ، مال للتحية بأخدعيه ، فقلت قد قرب الفرج ، وآن المخرج ، فقام رجل فقال : من كان منكم يحب الصحابة والجماعة، فليعرني سمعه ساعة ، قال عيسى بن هشام فلزمت أرضي ، صيانة لعرضي ، فقال حقيق عليّ ان لا أقول على الله الا الحق ، قد جئتكم ببشارة من نبيكم ، لكني لا أؤديها حتى يطهر الله هذا المسجد من نذل جحد نبوته ، وعادى أمته ، قال عيسى بن هشام فربطني بالقيود ، وشدني بالحبال السود ، ثم قال رأيته صلى الله عليه وسلم كالشمس تحت الغمام ، والبدر ليلة التمام ، يسير والنجم يتبعه ، ويسحب الذيل والملائكة ترفعه ، ثم علمني دعاء ، وأوصاني أن أعلم ذلك أمته ، وقد كتبته في هذه الاوراق بخلٍ ، ومسك ، وزعفران ، وسك ، فمن استوهبه مني وهبته ، ومن أعطى ثمن القرطاس أخذته ، قال عيسى بن هشام فانثالت عليه الدراهم ، حتى حيرته . ونظرت فاذا شيخنا أبو الفتح الاسكندري ، فقلت كيف اهتديت الى هذه الحيلة ، ومتى اندرجت في هذه القبيلة ، فانشأ يقول

الناس حُمُر فجوّز * وابرز عليهم وبرّز
حتى اذا نلت منهم * ما تشتهيه ففرّز

جارية تنبذ أبناء الخلفاء

وصف لعبد الملك بن مروان جارية لرجل من الانصار ذات أدب وجمال ، فساومه ابتياعها فامتنع وامتنعت ، وقالت : لا احتاج الى الخلافة ، ولم أرغب

فى الخليفة والذى أنا فى ملكه أحب الىّ من الارض ومن فيها ، فبلغ ذلك عبد الملك فأغراه بها ، فأضعف الرضا لصاحبها وأخذها قسرا ، فما أعجب بشىء اعجابه بها ، فلما وصلت اليه وصارت فى يديه أمرها بلزوم مجلسه ، والقيام على رأسه ، فبينما هى عنده ، ومعه ابناه الوليد وسليمان ، قد أخلاهما للمذاكرة ، فأقبل عليهما فقال : أى بيت قالته العرب أمدح ؟ فقال الوليد قول جرير فيك

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راحِ

وقال سليمان بل قول الأخطل

شُمْسُ العداوة حتى يُستقاد لهم * وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا

فقالت الجارية بل أمدح بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت

يُغشون حتى ما تهرّ كلابهم * لا يُسألون عن السواد المقبلِ

فأطرق ، ثم قال أى بيت قالته العرب أرقّ ؟ فقال الوليد قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حوَرٌ * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فقال سليمان بل قول عمر بن أبى ربيعة

حبذا رَجْعُها يديها اليها * من يدىْ دِرْعها تحلّ الازارا

فقالت الجارية بل بيت يقوله حسان

لو يدبّ الحولىّ من ولد الذر * عليها لأندبتها الكلومُ

فأطرق ثم قال أى بيت قالته العرب أشجع ؟ فقال الوليد قول عنترة

إذ يتقون بىَ الأسنة لم أخِم * عنها ولكنى تضايق مقدمى

فقال سليمان بل قوله

واذا المنية فى المواطن كلها * فالموت منى سائق الآجالِ

فقالت الجارية بل بيت يقوله كعب بن مالك

نصل السيوف اذا قَصرْنَ بخطونا * قُدُماً ونلحقها اذا لم تلحقِ

فقال عبد الملك أحسنْتِ ، وماترى شيأ فى الاحسان اليك أبلغ من ردك لى أهلك . فأجمل كسوتها ، وأحسن صلتها ، وردها الى أهلها

نهشل بن جرى

ومثل ذلك قول نهشل بن جرى

إنا بنى نهشل لا ندعى لأبٍ * عنهُ ولا هو بالابناء يشرينا

ان تُبتدر غايةٌ يوما لمكرمةٍ * تلق السوابق منا والمصلينا

إنا لمن معشر أفنى أوائلهم * قول الكماة ألا أين المحامونا

لو كان فى الالف منا واحد فدعوا * مَنْ فارسٌ خالهم إياه يعنونا

اذا الكُماة تأبّوا ان ينالهمُ * حد السيوف وصلناها بأيدينا

انما أردت هذا البيت . وقوله * لو كان فى الالف منا واحد * أخذه من قول طرفة بن العبد

اذا القوم قالوا مَن فتًى خلت انى * عُنيت فلم أكسل ولم أتبلدِ

وكان نهشل شاعرا ظريفا ، وهو نهشل بن جرىّ بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ، وكان اسم جده ضمرة هذا شقة ، ورد على النعمان ابن المنذر فقال من أنت؟ فقال أنا شقة ، وكان قضيفا نحيفا دميما ، فقال له النعمان تسمع بالمعيدىّ لا أن تراه ، والمعيدى تصغير المعدى ، فذهبت مثلا ، فقال أبيتَ اللعنَ ان الرجال لا تُكال بالقُفزان ، وليست بمُسُوك يستقى بها من الغدران ، وانما المرء بأصغرَيْه قلبه ولسانه ، اذا نطق نطق ببيان ، واذا قاتل قاتل بجنان ، فقالت أنت ضمرة! ونهشل هو القائل

ويومٍ كأن المصطلين بحرهِ * وان لم يكن جمرٌ وقوف على جمرِ

أقمنا به حتى تجلّى وانما * تُفرّج أيام الكريهة بالصبرِ

الحرص على المروءة

وكان عبد الملك يقول: يابنى أمية احسابكم اعراضكم ، لاتعرضوها على الجهال ، فان الذم باقٍ مابقىَ الدهر ، والله ماسرنى انى هجيت ببيت الاعشى ولى طِلاع الارض ذهبا [1] ، وهو قوله فى علقمة بن علاثة

يبيتون فى المشتَى مِلاءً بطونهم * وجاراتهم غَرْثَى يبتن خمائصا

والله مايبالى من مُدح بهذين البيتين ان لا يُمدح بغيرهما وهما قول زهير

هنالك إن يُستخبلوا المال يخبلوا * وان يسئلوا يعطوا وان يَيْسروا يغلوا

على مكثريهم حق من يعتريهمُ * وعند المقلين السماحة والبذل

حسن الختام

وقال ابن الاعرابى أمدح بيت قاله المحدثون قول أبى نواس

أخذت بحبلٍ من حبال محمدٍ * أمنت به من طارق الحدثانِ

انتهى

---

(١) طلاع الارض ملؤها ، وعين طلاع : ملآى من الدمع ، وتقول « لو أن لى طلاع الارض ذهباً ما استغنيت عن زهر الآداب »

احياء زهر الآداب

الحمد لله ! لقد بلغتُ ماطمحتُ إليه من إحياء زهر الآداب « وأصبح — كما قال الأستاذ محمد الهمياوى — واقفاً على رجليه وكان دائماً يجلس القرفُصاء على كَتِفَي العقد الفريد »

ولم يبق الا الوفاء بما وعدنا به من الفهارس التى تريح القارىء من أسباب العناء ، وليتنا كنا مبتكرين لهذا النوع من الترتيب ، فقد قضى الله أن يسبقنا الافرنج اليه ، وللسابق الفضل ، ولكن من الحزم أن لا يفوتنا حسن الاتّباع ، وقد فاتنا فضل الاختراع ، والحمد لله من قبلُ ومن بعد ، وإليه وحدهُ نرفع الرجاء ، ومنه وحدهُ نطلب الجزاء

زكى مبارك

خرّيج الجامعة المصرية

٢١ صفر سنة ١٣٤٤ — ٩ سبتمبر سنة ١٩٢٥

فهرس الجزء الرابع

من زهر الآداب

تصحيح اغلاط

الجزء الاول

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٧	١١	قَلْعَة	قُلْعَة (١)
٦٥	٨	فاخرت	ناحرت (قابلت)
١٢٩	٧	لُعاب	لِعاب (٢)
١٩٣	١٦	اياك والذلة	اياك والدالة
١٩٨	١٩	الدهر	الزّهر
٢٠١	١٥	مَرة	مِرة (قوى)
٢٢٣	٧	عيدان نجد	عيدان نبع
٢٣٦	٧	مثال	منال
٢٥٧	١١	التقلب	التلفت
٢٥٧	١٣	استمدت	استننت

(١) فسرت هذه الكلمة بالحصن، وهي كذلك حين تكون بفتح فسكون، ولها معنى آخر حين تكون بضم فسكون. قال صاحب الاساس «وشر المجالس مجلس قلعة وهو الذي يقلع عنه الجالس اذا جاء من هو أعز منه»

(٢) فسرت خطأ بالرضاب، واللعاب هنا معناه الملاعبة

الجزء الثانى

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٤	١٩	النحيرة	النحيزة
١٤	٢٠	التقريض	القريض
١٧	٥	الفرية	القريّة
٣٤	٢٢	القِرم	القَرْم
٤٢	١٨	تحل	نحل
٤٤	١	فقد اخبرونى	قفوا اخبرونى
٤٦	٦	العِتاد	العَتاد
٤٦	٢٢	تناخير	تشاخير
٥٩	٨	اللاعة	الأثّعة
٦٤	١٥	غناء	غباء
٦٨	٢٠	يد فى	فى يد
١٢٩	٥	اختلفت	احتفلت
١٣٣	١٤	بلحا	ثلجاً
١٤٨	٦	السكر	السكران
١٨١	٥	ملهية	ملعبة
١٩٩	١٦	الطّلا	الطّلى
٢٠٧	١٦	جسى	حسبى
٢١١	١٦	مَزة	مُزة
٢٣٣	١٤	بحيث	حيث

٢٣٨

فاما الذى آ   أمنه الردى   وأما الذى حاولت بالشكل ثا كل

هدا خطأ وصوابه

فأم الذى أمنه   آمنة الردى   وأم الذى حاولت بالشكل ثا كلُ

الجزء الثالث

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١١	٢٢	فيثها	نيها
١٢	٢	تخطى عبيد الواحد	تخطأ عبد الواحد
١٢	٢٠	جازلة	خاذلة
١٢	٢٢	القيدين	العينين
١٧	١٧	بالبقاع	باليفاع
١٩	١٢	تزداد	تزدار
٢٧	٢	التحصين	التخصير
٢٧	٢٠	العينى	العمّى
٤٥	١٠	بجدران	بحوران
٧١	١٨	حفصة	خصَفة
٧١	٢٠	يخسر	يخبر
٧٢	١٠	المشترين الغدر	المشتوين القد
٧٤	١٥	فرخ الرجحى	فرج الرُّخَّجى
٧٥	١٩	الغيبة بعد الغيبة	الفينة بعد الفينة
٧٧	١٦	شربومها	شؤبوبها
٨٨	٢	ركن ململ	ركنى يلملم
٧٩	٢٠	الكشوح	المكشوح
١٤٦	١٠	ثمر الانام	ثمر الأثام
١٤٦	١١	اغترام	اعترام
١٥٩	١٤	مخائض	مخامص
٢٣٢	١٢	يتحول	أتحول

فهرس القوافى

حرف الالف

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

حرف الباء

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

حرف التاء

الجزء الأول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

حرف الثاء

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

حرف الجيم

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

حرف الحاء

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

حرف الخاء

الجزء الاول

الجزء الثانى

حرف الدال

الجزء الاول

صفحه

الجزء الثانى

صفحة

الجزء الثالث

الجزء الرابع

حرف الذال

الجزء الاول

حرف الراء

الجزء الأول

صفحة

الجزء الثانى

حرف الزاى

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الرابع

حرف السين

الجزء الأول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

حرف الضاد

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

حرف الغين

الجزء الثانى

حرف الفاء

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

حرف القاف

الجزء الاول

الجزء الثاني

حرف الكاف

الجزء الأول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

حرف اللام

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

حرف الميم

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

حرف النون

الجزء الأول

الجزء الثانى

صفحة

الجزء الثالث

الجزء الرابع

حرف الهاء

انما اعتبرنا الهاء قافية مراعاة للنطق

الجزء الاول

صفحه

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

حرف الواو

الجزء الثانى

حرف الياء

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

فهرس الموضوعات [1]

الحكم

الجزء الاول

(١) لا نريد بهذا الفهرس حصر ما في الكتاب من الموضوعات ، فان ذلك عمل عسير ، وانما نريد الاشارة الى الموضوعات الاساسية التى تمس اليها حاجة الباحث والأديب

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

التراجم

الجزء الاول

صفحه

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

صفحه

الوصف

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

المدح

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

الهجاء

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

الرسائل

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

النكت

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

التعابير

الجزء الاول

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع

متفرقات

الجزء الثانى

الجزء الثالث

الجزء الرابع



الموازنة بين الشعراء

تأليف



بعون الله وتيسيره يظهر هذا الكتاب بعد قليل